بسم الله الرحمن الرحيم

(المقالة : 1)

کيفية السعي بين الصفا و المروة

الشيخ محمد القايني

ملخّص البحث:

بحثنا في هذه الوجيزة عن کيفية السعي بعد البناء علی وجوب استيعاب ما بين الصفا والمروة بالسعي والمشي، وحکينا عن المعروف تدقيقاً في الأداء، حکمنا بعدم وجوبه جزماً، بل ولا مطلوبية الاحتياط بمثله قطعاً، ثم تعرضنا لحکم فرض الشك في صدق مفهوم السعي المستوعب وأنّ الحکم فيه البرائة لا الاحتياط والاشتغال بعد ردّ بعض ما يتصور في المسألة من التفصيل.

\* \* \*

الذي يظهر من بعض الكلمات ومن جملتها کلام صاحب الجواهر،[[1]](#footnote-1) في حدّ السعي بين الصفا و المروة هو التدقيق في الاستيعاب حتی أنهم صرّحوا بلزوم لصق عقب القدم عند البدء بالصفا والأصابع بالمروة، بل قد يظهر من بعضهم لزوم لصق العقبين بالصفا بل لزوم العود إلی نقطة البدء؛ فيلصق أصابع رجله بموضع لصق عقب القدم عند البدء قال في الجواهر.

قد عرفت سابقاً عدم وجوب الصعود علی الصفا فيكفي حينئذٍ أن يجعل عقبيه ملاصقاً له، لوجوب استيعاب المسافة التي بينه و بين المروة؛ نعم قد يحتمل الإكتفاء بأحد القدمين ولكن الأحوط جمعهما. ثم إذا عاد ألصق أصابعه بموضع العقب حتی يحصل الاستيعاب المزبور الذي عليه المدار في الظاهر وإلّا فلادليل علی وجوب السعي منحنياً خصوص قدم الإبتدائي بل لعل إطلاق الأدلة يقضي بخلافه، فإنه ليس فيها إلّا السعي بينهما الذي يتحقق بذلك، و بالانتهاء إلی ما يحاذي الابتداء.

بل مقتضی الإطلاق المزبور نصاً وفتویً عدم وجوب كون السعي بالخط المستقيم ضرورة صدق السعي بينهما به وبغيره.

بل نصوص السعي راكباً في الرجال و النساء كالصريحة بخلافه، و لكن مع ذلك لايسعی بترك الفرد المتيقن الذي عليه العمل. بل فيما حضرني من بعض الكتب نسبة الكيفية المزبورة أولاً إليهم:، بل فيه أنه قيل الظاهر اتفاق الأصحاب عليه و إن کنا لم نتحقق شيئاً من ذلك.

نعم في الرياض: لولا اتفاق الأصحاب في الظاهر علی وجوب الصاق العقب بالصفا والأصابع بالمروة لكان القول بعدم لزوم هذه الدقة والإكتفاء بأقل من ذلك بما يصدق معه السعي بين الصفا و المروة عرفاً وعادةً لايخلو من قوة؛ کما اختاره بعض المعاصرين لما ذكره من أنّ المفهوم من الأخبار أنّ الأمر أوسع من ذلك بل السعي علی الإبل الذي دلّت عليه الأخبار وأن النبي9 كان يسعی علی ناقته لايتفق فيه هذا التضييق... بل يكفي فيه الأمر العرفي و لكن الأحوط ما ذكروه فقد عرفت أنّ مقتضی اطلاق الأدلة السعي بينهما و يمكن فهم الاستيعاب منها... لكن كونه علی الوجه المزبور محلّ نظر بل منع، وليس في كلامهم ظهور في ذلك و إنما ذكره بعض متأخر المتأخرين بل لعلّ إطلاق الفتاوی بخلافه.

أقول: والمتحصّل من كلامه أنّ المشهور أو المدّعی عليه الإجماع أمور: أحدها: إلصاق عقب القدم بل العقبين بالصفا في البدء. ثانيها: إلصاق أصابع الرِجل بالمروة عند الوصول إليها. ثالثها: إلصاق أصابع الرجل بالصفا عند العود. رابعها: إلصاق أصابع الرِجل عند الرجوع إلی الصفا بنفس موضع إلصاق العقب عند البدء منه. خامسها: كون السعي في خط مستقيم

ثم استشكل هو في ذلك كلّه بحسب النصّ بل الفتوی وأنّ المعيار هو السعي بين الجبلين عرفاً ومع ذلك احتاط في المسألة.

الذي يخطر بالبال والله العالم أنّ الحكم بلزوم لصق عقب القدم إلی الصفا و نحو ذلك من التدقيق والوسوسة نشأ من بعض كلمات السابقين كالعلامة حيث ذكروا في مقام الردّ علی الحكم بلزوم الصعود علی الصفا والمروة قياساً علی وجوب غسل جزء زائد علی الواجب في الوضوء من باب المقدمة بالفرق بين المقامين وذلك بإمكان استيعاب السعي الواجب بدون ضم جزء زائد و هو الصعود علی الصفا والمروة حيث يمكن تحقيق الإستيعاب بلصق عقب القدم بالصفا و الأصابع بالمروة فكان الحكم بذلك تحقيقاً للإستيعاب و عدم توقف احراز الواجب في مثله علی إدخال زائد علی الواجب ولا أظن وجود إجماع تعبدي في المقام ولا تلقی ذلك من الأئمة:، بل لاينبغي توهم وجود رواية بمضمون ذلك غير واصل إلينا، كيف وإنّ حجّ النبي9 والأئمة: كان بمرأی من الناس بتفاصيل أجزائه و لم يعهد من أحد منهم أمثال هذه الوساوس و لا نبّه علی ذاك في شيء من النصوص و لو كان الواجب هو مثل ذلك و المعصوم بمرصد الناس و رؤاهم لنقل ذلك إلينا بل تكرر ذكره في النصوص.

و لعمري أنّ أمثال هذه التدقيقات في السعي وكذا في الطواف مما يقطع بعدم كونها مطلوبة في الشريعة بل هي ناشئة من الوسواس وتخيّل الصناعة واقتضائه الإحتياط بمثل ذلك في كلمات المتأخرين ولا أظن في كلمات القدماء ما يوهم مثل ذلك كما أشار إليه في الجواهر لخلوّ النصوص من الفريقين عن أمثال ذلك، بل التقيد بهذه التدقيقات من الصوارف عن حضور القلب والشواغل عن التوجه والتقرب و العبادة.

ولعمري إنه كان ينبغي لمن يراعي أمثال هذه التدقيقات أن يلصق أنفه أو وجهه أو مؤخّر رأسه بالمقصد والمبدإ أعاذنا الله من الشذوذ و الإعوجاج في الفهم و العمل.

بل يخطر بالبال بعد فرض وجوب الاستيعاب في السعي بين الجبلين أنّ الاستيعاب الحقيقي مما يحصل بغير ما ذكر من التدقيقات، حيث إنّ الواجب في السعي هو البدء من الصفا و الختم بالمروة و يحصل ذلك كلّه بالحضور عند الجبلين بلاحاجة إلی إلصاق عقب القدم أو أصابعه.

ألا تری أنّ من جاء إلی باب دار يصدق مجيئه إلی باب الدار وإن لم يلصق بالباب إصبعاً أو عقباً؛ وليس السعي بين الجبلين سوی السير بينهما علی وجه يحضر عندهما لا أن يلتصق بهما بمؤخر البدن أو مقاديمة.

وقد صرح في بعض النصوص في السعي بالعندية، أفتظن أنّ من جاء من عند زيد إلی عمرو أنه ألصق عقبه بزيد أو أصابع رجله بعمرو فضلاً عما أشار إليه في الجواهر بإلصاق الرجلين.

والذي حملني علی تعقيب البحث هذا، هو ما نقل لنا و نحن بمدينة الرسول9 في حجّنا لسنة 1443 هـ.ق. أنّ إدارة الحرم بمكة جعلت علی فاصل من جبل الصفا حواجز تمنع الناس من اللصوق إلی جبل الصفا.

و المحكي عن بعض الفقهاء حلّ المشكلة عن طريق دعوی كون جبل الصفا سابقاً أوسع مما عليه الآن، وأنه حذف بعضه؛ وقد بينّا أنه لا حاجة إلی مثل هذه التوجيهات حتی أنه لو فرض جبل الصفا قديماً بحدّه الموجود هذا اليوم، كان الحضور عنده بغير اتصال وإلصاق كافياً في صدق السعي منه وإليه.

ثمّ إنه لو شك في صدق السعي المستوعب علی السعي علی الوجه الذي ذكرناه فهذه شبهة مفهومية ولامجال في مثلها للاستصحاب ولا لقاعدة الإشتغال، بل المرجع هو أصل البرائة لأنّ المسألة من دوَران الأمر بين الأقل والأكثر الإرتباطيين حيث نشك في جزئية الزائد علی القدر المتيقن.

وقد فصّلنا الكلام في أمثال المقام من السعي والطواف ونحوهما فيما حققناه سابقاً في مسائل الحج المستحدثة بمناسبة حكم الطواف في الطابق العلوي والوقوف فيما نشك دخوله في عنوان عرفات ومشعر ونحو ذلك مما يشك في صدق العناوين بشبهة مفهومية.

غير أنه ربما يفصل في الشبهات المفهومية للحكم بالبرائة بين الموارد بدعوی أنّ مورد الشك قد يكون تعيين الوظيفه والموقف فيه بيد الشارع حيث إنّ التكليف وحدوده من شؤون الشارع، فحيث لايتحقق من الشارع موقف خاص كان المورد مجری البرائة كالشك في صدق الصلاة علی الفاقد لجزء أو شرط بناءً  علی الوضع للصحيح، فإنّ تعيين حدود الصلاة من شؤون الشارع و ليس بيد غيره.

وقد يكون المشكوك مما نسبته إلی الشارع من حيث كونه مشرعاً وإلی غيره من العرف سيان، كتعيين حدود منی وعرفات والمشعر بل وصدق الطواف في بعض المواقع؛ ومن جملة ذلك صدق عنوان الصفا والسعي منه وإليه وما شاكل ذلك، فإن صدق المفاهيم ليس من شؤون الشارع، وإنما هو تابع للوضع وأمره بيد العرف جعلاً وتشخيصاً ودخل الشارع فيه لايختلف عن دخل العرف، فإذا شك في صدق عناوين من هذا القبيل كان المورد مجری للإحتياط للشك في الخروج عن عهدة التكليف المعلوم، والذي لايكون تحديد الموقف فيه من صلاحيات الشارع بما هو شارع، ولئن تدخل فيه فباعتبار كونه من أهل العرف لا من حيث كونه مشرّعاً.

و يردّه أنا لانری فرقاً فارقاً بين هذه الموارد، فإنه في القسم الثاني أمر الحكم والتشـريع بيد الشارع كالقسم الأول، حيث إنّ الحكم يشـرّع لواقع المفاهيم لا لعناوينها وإنما العناوين وسائط في ترتّب الحكم علی المعنونات.

فكما أنّ الصلاة التي هي متعلق الحكم هي واقع الصلاة لاعنوانها، ومع الشك في تقوّم العنوان بجزء أو شرط يحكم بالبرائة، ولايكون من الشك في المحصّل؛ كذلك في فرض الشك في صدق عرفات أو مشعر علی نقطة للشك في سعة المفهوم وضيقه فإذا شك في كون جبل عرفات من جملة الموقف وكذا بعض الأمكنة المشكوك في صدق مشعر عليها وكذا حيث يشك في كون سفح جبال منی، أو بعض المواقع المنحوتة، أو أعالي جبال منی، لإحتمال كون منی هي الوادي ولا يدري صدقها علی أعالي جبال منی ونحو ذلك ففي كل ذلك أمر الحكم بيد الشارع من حيث العنوان و من حيث الشك فيه.

مثلاً إذا شك في صدق الإكرام والإحترام علی نزع العمامة للقادم، کان ثبوت التكليف بالنسبة إلی الزائد عن ذلك مشكوكاً لامحالة، فـجری فيه البرائة؛ ولايقال إنّ وجوب الإحترام معلوم والخروج عن عهدته بالمشكوك مشكوك، فيجب الإحتياط لأنه من الشك في سقوط التكليف بعد العلم بثبوته؛ والسرّ في ذلك أنّ متعلق التكليف إذا كان معلوماً وكان الشك في محصّله، لافيما ينطبق عليه، فالمورد مجری للإحتياط عند الشك، كما لو شك في تحقق الطبخ بحرارة أو بزيادة عنها، فإنّ الإيقاد وإيجاد الحرارة ليس هو متعلق التكليف، وإن كان إمتثال التكليف منوطاً به، بخلاف ما إذا كان المشكوك مما يحتمل انطباق متعلق التكليف عليه، فإنّ ثبوت التكليف في الأزيد تضييق زائد يرفع بالبرائة.

وظني أنّ المسألة لا إبهام فيها وإنما تعرّضنا لها ببعض التفصيل دفعاً للشبهة الطارئة علی بعض الأذهان و الله العاصم والهادي إلی السداد.

هذا ما تيسر لي ضبطه بجوار سيدي ومولاي رسول الله9 ومجاورتي لآله الطاهرين سادتي وأئمتي المدفونين بالبقيع أثناء زيارتي لبيت الله الحرام للحج إن شاءالله تعالی، حامداً مصلياً على محمد وآله الأطيبين سنة 1443هـ  .ق. وذلك بطلب من بعض الإخوان أيده الله تعالى.

**\* \* \***

(المقالة : 2)

(...وَ أرِنَا مَنَاسِكَنَا...)  
(1)

محسن الأسدي.[[2]](#footnote-2)

لعلّنا في هذه المقالة، نوفّق في دراسة آيات قرآنيّة، ذُكرت فيها مفردة النسك ومشتقاته، وبيان مدى علاقتها بالحجِّ والعمرة أحكاماً ومفاهيم وآداباً وتأريخاً..، بل تطلق في الأعم الأغلب على ما يتضمنه الحجُّ من شعائر وعبادات ومواقع، إن لم نقل قد اختصّت بها... وهو ما نريد الوقوف عنده في هذه المقالة بأكثر من حلقة إن شاء الله تعالى.

\* \* \*

والآيات التي توفّرت فيها مفردة النسك والمنسك ..

في سورة البقرة: (رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ) 2: 128 .

(وأتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ للَّهِ فَإِنْ أحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) 2: 196.

(فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي ٱلآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ) 2: 200 .

في سورة الأنعام: 162(قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ).

في سورة الحجِّ: 34 (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ ٱلأَنْعَامِ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُواْ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ).

(لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ فِي ٱلأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ)،: 67 .

ولم يكن هناك في التنزيل العزيز إلّا هذه الآيات ذكرت هذه المفردات: مَنَاسِكَنَا، نُسُكٍ، منَاسِكَكُمْ، ونُسُكِي، مَنسَكاً، مَنسَكاً، نَاسِكُوهُ.

والتي جاءت سبع مرّات في ستَّة مواضع من آيات قرآنيّة مباركة، لعلّ أغلبها إن لم يكن جميعها تشير إلى الحجّ والعمرة أعمالاً كالإحرام والطواف والسعي... ومواضع أو مواقف؛ عرفة؛ والمشعر ومنى... وفي رأي أنَّ هذه المواضع أو المعالم وتلك الأعمال، والتي تكفّلت الكتب والرسائل الفقهيّة تفصيل أحكامها الشرعية... سمّيت مناسك؛ إمّا لأنها الـموضع الـمعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه لـخير أو شرّ، أو لأنها الأماكن التي يُتردّد إليها في الحجّ والعمرة، أو لأنها جمع «مَنْسك»، وهو الـموضع الذي ينسك لله فـيه، ويتقرّب إلـيه فـيه بـما يرضيه من عمل صالـح إمّا بذبح ذبـيحة له، وإمّا بصلاة أو طواف أو سعي، وغير ذلك من الأعمال الصالـحة ولذلك قـيـل ـ والكلام للطبري ـ لـمشاعر الـحجّ: مناسكه؛ لأنها أمارات وعلامات يعتادها الناس، ويتردّدون إلـيها. أو أنَّ النسك هو العبادة وأنَّ الناسك هو العابد، وقد اختصّ بأعمال الحجّ، أو أنه شاع بأعمال الحجّ، أو هي كما يقول قتادة: الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والإفاضة عن عرفات والإفاضة من جمع ورمي الجمار حتى أكمل الله الدين.

ووصف الشيخ الطوسي قول قتادة هذا بعد أن ذكره أيضاً مع أقوال في تبيانه بقوله: فهذا القول أقوى؛ لأنّه العرف في معنى المناسك.

ولعلَّ هناك غير هذا نجده في أقوالهم. فهذا الشيخ الطبري في تفسيره لقوله تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً ... ). سورة الحجّ: 34، 67 .

بعد أن يذكر:.. أنَّ أصل الـمنسك فـي كلام العرب الـموضع الـمعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه لـخير أو شرّ، يقال: إنَّ لفلان منسكاً يعتاده: يراد مكاناً يغشاه ويألفه لـخير أو شرّ.

يقول: وإنـما سمّيت مناسك الـحجّ بذلك، لتردّد الناس إلـى الأماكن التـي تعمل فـيها أعمال الـحجّ والعُمرة.

أو ... ولذلك قـيـل لـمشاعر الـحجّ: مناسكه؛ لأنها أمارات وعلامات يعتادها الناس، ويتردّدون إلـيها. هذا ما خلص إليه الطبري.

وكذا قالها الْفَرَّاءُ: «وَ بهِ سُمِّيَتِ المَناسِكُ»، ولكن بعد أن ذكر: المَنْسَكُ والمَنْسِكُ فِي كَلام ِ الْعَرَب؛ الْموْضِعُ الْمعْتَادُ الَّذِي تَعْتَادُهُ. وَيُقَالُ: إنَّ لِفُلانٍ مَنْسِكاً يَعْتَادُهُ فِي خَيْر ٍ كَانَ أو غَيْرهِ،...

مضيفاً قول الشاعر ذي الرمة:

وربَّ القلاص الخوص تدمى أنوفها

بنخلة والساعين حول المناسك ...

فيما ابْنُ الأَثير بعد أن يذكر:.. ومَنْسِك، بفَتْح السِّين وَكَسْرهَا، وَهُوَ المتَعَبَّد وَيَقَعُ عَلَى الْمصْدَر وَالزَّمَان وَالْمكَان، يقولها واضحةً صريحةً: ثُمَّ سُمِّيَتْ أمور الْحَجِّ كُلُّهَا مَناسك.

وعن قتادة؛ المناسك: معالم الحجّ. أو هي جميع أفعال الحجّ كما عن غيره...

أما الراغب فيذهب إلى اختصاصه بأعمال الحجّ؛ حيث يقول: نسك: النسك العبادة والناسك العابد، «واختصّ بأعمال الحجّ».

وكذلك يقول البيضاوي: والنُّسُك في الأصل غاية العبادة، وشاع في الحجّ؛ لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة...

والكلام نفسه ردده بعده كلٌّ من ابن عجيبة والفيض الكاشاني في تفسيريهما وكذا الآلوسي.

فيما القرطبي ذكر الاختلاف دون ترجيح لرأي، مكتفياً بقوله: وهو في الشـرع اسم للعبادة يقال: رجل ناسك إذا كان عابداً.

وهذا كلامه: إنَّ أصل النُّسك في اللغة الغسل يقال منه: نسك ثوبه إذا غسله. وهو في الشرع اسم للعبادة يقال: رجل ناسك إذا كان عابداً. واختلف العلماء في المراد بالمناسك هنا فقيل: مناسك الحجّ ومعالمه قاله قتادة والسُّدي... وقيل: جميع المتعبَّدات. وكلّ ما يُتعبَّد به إلى الله تعالى يقال له: مَنْسَك ومَنْسِك. والناسك: العابد.

قال النحاس: يقال نَسَك يَنْسُك، فكان يجب أن يقال على هذا: مَنْسُك، إلّا أنه ليس في كلام العرب مَفْعُل.

محمد رشيد رضا: والمنسك... معناه غاية العبادة، وغلب استعمال النسك في عبادة الحجّ خاصّة، والمناسك في معالمه أو أعماله.

إذن فالمناسك وهي جمع منسك بفتح السين وكسـرها، ويقع على المصدر والزمان والمكان، هو: المتعبد؛ وسميت أمور الحجّ كلّها مناسك.

والمنسك: المذبح، وقد نسك ينسك نسكاً إذا ذبح، والنسيكة: الذبيحة.

قال مجاهد وعطاء وابن جُريج عن القرطبي: المناسك المذابح أي مواضع الذبح...

ومن كلامهم: النسك: الطاعة والعبادة، وكلّ ما تُقرب به إلى الله عزَّ وجلَّ.

والنسك: ما أمرت به الشريعة، والورع ما نهت عنه، والنسك: العبادة، الناسك: العابد. والمناسك: مواقف النسك وأعمالها. واختصّ بأعمال الحجّ والذبيحة واحدة منها ولها أهمية كبرى.

وحتى جاء في تفسير الآية، البقرة: 124 (وَإِذِ ٱبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ...).

أقوال منها: ما ذهب إليه كلٌّ من الربيع وقتادة؛ أنَّ الكلمات الواردة في الآية الكريمة هي: «منسك الحجّ». وفي تفسير الكشاف؛ قيل: هي مناسك الحجّ، كالطواف والسعي والرمي والإحرام والتعريف وغيرهنّ.

فيما قال جماعة: تلك الكلمات مناسك الحجّ خاصة. وقال بعضهم: بل الكلـمات التـي ابتلـي بهن عشر خلال... وبعضهنّ فـي مناسك الـحجّ. وفي قول:.. وأربعة فـي الـمشاعر: الطواف، والسعي بـين الصفـا والـمروة، ورمي الـجمار، والإفـاضة. عن ابن عبـاس فـي قوله تعالى: (وَإِذِ ٱبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ...). قال: منهن مناسك الـحجّ. وعنه: ابتلاه بالمناسك. وقال آخرون في قوله تعالى: (إنّـي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إمَاماً). إماماً فـي مناسك الـحجّ.

وعن مـجاهد فـي قوله: (وَإِذِ ٱبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ...). قال الله لإبراهيـم: إنـي مبتلـيك بأمر، فما هو؟ قال: تـجعلنـي للناس إماماً. قال: نعم. قال: ومن ذريتـي؟ قال: لا ينال عهدي الظالـمين. قال: تـجعل البـيت مثابةً للناس. قال: نعم. وأمْناً قال: نعم. وتـجعلنا مسلـمين لك، ومن ذرّيتنا أمة مسلـمة لك قال: نعم. وترينا مناسكنا وتتوب علـينا. قال: نعم. قال: وتـجعل هذا البلد آمناً قال: نعم. قال: وترزق أهله من الثمرات من آمن منهم قال: نعم.[[3]](#footnote-3)

أقول: وقد ذكرتها آيات قرآنيّة، ويبدو أنَّ مجاهداً لم يُجهد نفسه سوى اقتباسها من التنزيل العزيز.

وهناك ردٌّ لهذا ولغيره، كما ذكر صاحب تفسير المنار قال: وقال شيخنا في الدرس: جعل التكليف بالكلمات؛ لأنها تدل عليها، وتعرف بها عادةً، ولم يذكر الكلمات ما هي ولا الإتمام كيف كان؛ لأنَّ العرب تفهم المراد بهذا الإبهام والإجمال، وأنَّ المقام مقام إثبات أنَّ الله تعالى عامل إبراهيم معاملة المبتلي، أي المختبر له؛ لتظهر حقيقة حاله، ويترتب عليها ما هو أثر لها، فظهر بهذا الابتلاء والاختبار فضله بإتمامه ما كلفه الله تعالى إياه وإتيانه به على وجه الكمال. هذا هو المبادر.

وبعد كلامه هذا يقول: ولكنَّ المفسرين لم يألوا في تفسير الكلمات والخبط في تعيينها، فقال بعضهم: إنَّها مناسك الحجّ،...

ومع هذه الإشارة، نذكر التلخيص التالي عن المراد من النسك أو معانيه: فمما لا ريب فيه عندهم أنَّ النسك يتضمن العبادة والطاعة، بل حقيقته العبادة، ومنه يسمى العابد الناسك، مع توفّر نية التقرّب إلى الله تعالى، والآية 162 من سورة الأنعام في هذا واضحة إذ تقول: وسيأتي الكلام عنها. (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ).

ومع ذلك، فإنَّ النسك وجمعه مناسك، كما تحدثوا، جاءت بمعانٍ عديدة، فهي تأتي بمعنى: الدِّين.. العبادة مطلقاً.. المتعبد.. تعبداتنا.. الذبائح التي يُتقرّب بها إلى الله تعالى، أو الموضع الذي تقدّم فيه الذبائح قربةً إلى الله تعالى.. شعائر الحجّ، ومنها: الأماكن التي تؤدّى فيها شعائر الحجَّ. كالصَّفَا والمَرْوَة، وهما من شعائر الله بنصّ القرآن: سورة البقرة: 158 (إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ).[[4]](#footnote-4)

وهذه الخلاصة تدعو إلى تتبع مفردة النسك ومشتقاتها في مصادرها اللغوية والتفسيرية والحديثية، وما ورد عن أهل اللغة لايبتعد كثيراً عما ذكره أهل التفسير والحديث.

النسك لغةً وأنواعه:

نَسَكَ فلانٌ ينسُك نِسْكاً ونَسْكاً ونُسْكاً؛ ونَسْكَةً، ومَنْسِكاً ومَنْسَكاً: تَزهَّد وتَعَبَّد.

(نَسُكَ) نُسْكاً، ونَساكة: صار ناسِكاً. (انْتَسَكَ): تزهَّد وتعبَّد. (تَنَسَّكَ): انْتَسَك.

(النَّاسِكُ): المتعبِّد المتزهِّد. (ج) نُسَّاكٌ.. (النَّاسِكَةُ): المتعبِّدة..

(المَنْسَكُ): طريقة الزُّهد والتعبُّد. يُقال: إنَّ له مَنسِكاً ومَنسَكاً ينسُكه، وفي التنزيل العزيز: سورة الحجّ؛ الآيتان:34،67 وسنقف عندهما.

و المَنسَكُ والمَنْسِكُ، «مَنْسَكاً» مرّةً تأتي بفتح السين على أنَّها مصدر ميمي. وأخرى تأتي بكسر السين على أنَّها اسم مكان، فهو على هذا موضعٌ تُذْبَح فيه النَّسيكة. (ج) مَناسِك.

و(مَنَاسِك الحجّ): عباداتُه. وفي التنزيل العزيز: (فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ ...). سورة البقرة: 200.

(النُّسْكُ): كلُّ حقٍّ لله تعالى. و الذَّبيحةُ يُتَقَرَّب بها إلى الله. والنسك بضمتين: اسم منه، وفي التنزيل: (إنَّ صلاتي ونُسُكي). و ذبح ذبيحةً تقرَّب بها إلى الله.

(ج) نُسُكٌ، ونَسائِك. وفي التنزيل العزيز: (فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أوْ صَدَقَةٍ أوْ نُسُكٍ). سورة البقرة: 196.

ابن منظور: نسك: النُّسْكُ والنُّسُك: الْعِبَادَةُ وَالطَّاعَةُ، وَكُلُّ مَا تُقُرب بهِ إلى اللهِ تَعَالَى، وَقِيلَ لِثَعْلَب: هَلْ يُسَمَّى الصَّوْمُ نُسُكاً؟ فَقَالَ: كُلُّ حَقٍّ لِلهِ عزَّ وَجَلَّ يسمى نُسُكاً.

نَسَك لله تَعَالَى يَنْسُكُ نَسْكاً ونِسْكاً ونَسُكَ، الضَّمُّ عَن اللِّحْيَانيِّ،...

وَرَجُلٌ ناسِك: عَابدٌ. وَقَدْ نَسَك وتَنَسَّكَ أي تَعَبَّدَ. ونَسُك، بالضَّمِّ، نَساكة أي صَارَ نَاسِكًا، وَالْجَمْعُ نُسَّاك.

والمَنْسَك والمَنْسِك: المَذْبَحُ. وَقَدْ نَسَكَ يَنْسُك نَسْكاً إذا ذَبَحَ... والنُّسُكُ والنِّسِيكة: الذَّبيحَةُ، وَقِيلَ: النُّسُك: الدَّمُ، والنَّسِيكة: الذَّبيحَةُ، تَقُولُ: مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، فَعَلَيْهِ نُسُك أي دَمٌ يُهَريقُه بمَكَّةَ، شَرَّفَهَا اللهُ تَعَالَى، وَاسْمُ تِلْكَ الذَّبيحَةِ النَّسِيكَة، وَالْجَمْعُ نُسُك ونَسَائِكُ. والنُّسُك: مَا أمرت بهِ الشريعةُ، والوَرَع: مَا نَهَتْ عَنْهُ.

وَقِيلَ: المَنْسَكُ النَّسْك نَفْسُهُ. والمَنْسِكُ: الموْضِعُ الَّذِي تُذْبَحُ فِيهِ النَّسِيكة والنَّسائك. النَّضْرُ: نَسَك الرجلُ إِلى طَريقَةٍ جَمِيلَةٍ أي دَاوَمَ عَلَيْهَا. ويَنْسُكون البيتَ: يأتونه.

وَقَالَ أبو إسحاق: قرئَ (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً). ومَنْسِكاً، قَالَ: والنَّسْكُ فِي هَذَا الموْضِع يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى النَّحْر؛ كأنه قَالَ: جَعَلْنَا لِكُلِّ أمّة أن تَتَقربَ بأن تَذْبَحَ الذَّبَائِحَ لِلهِ، فَمَنْ قَالَ: مَنْسِك فَمَعْنَاهُ مَكَانُ نَسْك مِثْلَ مَجلِس مَكَانُ جُلُوس، وَمَنْ قَالَ: مَنْسَك فَمَعْنَاهُ الْمَصْدَرُ نَحْوَ النُّسُك والنُّسُوك.

غَيْرُهُ: والمَنْسَك والمَنْسِك الْمـَوْضِعُ الَّذِي تُذْبَحُ فِيهِ النُّسُك، وقرئَ بهِمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: (جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ).

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: المَنْسَكُ والمَنْسِكُ فِي كَلام الْعَرَب؛ الموْضِعُ المعْتَادُ الَّذِي تَعْتَادُهُ. وَيُقَالُ: إِنَّ لِفُلانٍ مَنْسِكاً يَعْتَادُهُ فِي خَيْر كَانَ أو غَيْرهِ، و بهِ سُمِّيَتِ المَناسِكُ.

ابْنُ الأَثير: قَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ المَناسِك والنُّسُك والنَّسِيكة فِي الْحَدِيث، فالمَنَاسك جَمْعُ مَنْسَك ومَنْسِك، بفَتْح السِّين وَكَسْرهَا، وَهُوَ المتَعَبَّد وَيَقَعُ عَلَى المصْدَر وَالزَّمَان وَالْمكَان، ثُمَّ سُمِّيَتْ أمور الْحَجِّ كُلُّهَا مَناسك.

الراغب: نسك: النسك العبادة والناسك العابد، واختصّ بأعمال الحجّ، والمناسك مواقف النسك وأعمالها، والنسيكة مختصّة بالذبيحة، قال: (فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أوْ صَدَقَةٍ أوْ نُسُكٍ). سورة البقرة: 196 .

- (فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ...). سورة البقرة: 200 .

- (مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ).

والمَنْسَك والمَنْسِكُ: شِرْعة النَّسْك. وَ فِي التَّنْزيل: (وَأَرِنا مَناسِكَنا...). أي مُتَعَبَّداتِنا... وَقِيلَ: المَنْسَكُ النَّسْك نَفْسُهُ.

والنُّسُك: مَا أمرت بهِ الشريعةُ، والوَرَع: مَا نَهَتْ عَنْهُ.

ولعلّها كناية ما أجملها للناسك!

تلك التي نجدها في كلام ذكره بعض أهل اللغة في معاني هذه المفردة (نسك، النسك، المناسك) والتي لاتخلو من جمال وجلال، تصلح أن تكون كنايةً عن تخليص النفس مما لحق بها من أدران وتصفيتها وتطهيرها، وهو قولهم: إنَّ أصْلَ النُّسُكِ فِي اللُغَةِ الْغَسْلُ يُقَالُ مِنْهُ نَسَكَ ثَوْبهُ إذَا غَسَلَهُ، و الثَّوبَ ونحوه نَسْكاً: غسله بالماء فطهَّرَه. والأَرضَ: طيَّبَها وسمَّدَهَا. و البيتَ: أتاه، نَسَك الرجلُ إِلى طَريقَةٍ جَمِيلَةٍ أي دَاوَمَ عَلَيْهَا، وأجملها أنهم يَنْسُكون البيتَ أي يأْتونه...

ونَسَك الثَّوْبَ: غَسَلَهُ بِالْماءِ وَطَهَّرَهُ، فَهُوَ مَنْسوك؛ وَقَدْ اُنْشِدَ فِيهِ بَيْتُ شِعْر:

**ولا يَنْبتُ المَرْعَى سِباخُ عُراعِر وَلَوْ نُسِكَتْ بِالمْاءِ سِتَّةَ أشْهُر**

وأرض ناسِكة: خَضْرَاءُ حَدِيثَةُ المطَر، فَاعِلَةٌ بمَعْنَى مُفَعْولَةٍ.

ابْنُ الأَعرابي: النُّسُك سَبائك الْفِضَّةِ؛ كلُّ سَبيكة مِنْهَا نَسِيكَةٌ، وَقِيلَ لِلْمُتَعَبِّدِ ناسِكٌ؛ لأَنه خَلَّص نَفْسَهُ وَصَفَّاهَا لِلهِ تَعَالَى مِنْ دَنَس الْآثَام كالسَّبيكة المُخَلَّصة مِنَ الخَبَثِ.

وكذا قال ثَعْلَبٌ لما سُئِلَ عَن النُسكِ، أو عن النَّاسِكِ مَا هُوَ؟

فَقَالَ: هُوَ مأخوذ مِنَ النَّسِيكة، وَهُوَ سَبيكة الفِضة المُصَفَّاة كأنه خَلَّص نَفْسَهُ وَصَفَّاهَا لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وفي قول عنه: النَّسِيك: الذَّهَبُ، والنَّسِيك: الْفِضَّةُ. والنَّسِيكة: الْقِطْعَةُ الْغَلِيظَةُ مِنْهُ.

وبما أنَّ النسك هو أصل العبادة، وبأنَّ المتعبّد ناسِكٌ؛ لأَنه خَلَّص نَفْسَهُ وَصَفَّاهَا لِلهِ تَعَالَى مِنْ دَنَس الْآثَام كالسَّبيكة المُخَلَّصة مِنَ الخَبَثِ. وأنَّ أصل النسك هو الغسل والتطهير والتطييب... كما صُرّح به من قِبَل أهل اللغة والتفسير، يمكن أن يتضح أنَّ تسمية أعمال الحج وشعائره بالمناسك، له هذه المناقبية الرائعة والصفات الجميلة والتي تتضمن منافع هذه الفريضة المباركة سواء أكانت روحية أو أخلاقية أو مادية... وكما ذكر النَّضْرُ في لسان العرب: نَسَك الرجلُ إِلى طَريقَةٍ جَمِيلَةٍ أي دَاوَمَ عَلَيْهَا...

فما أجملها طريقةً؛ مناسك الحجّ وشعائره، ورؤية الحجاج مُحرمين ملبّين يبتغون فضلاً من ربِّهم وتطهيراً ومغفرةً ورضواناً!

ولعلَّ لهذا والله أعلم، سمّيت بالمناسك، وهي مفردة جميلة وصفت بها في الأعم الأغلب منظومة الحجّ والعمرة دون غيرها من العبادات الأُخر؛ واجبة ومستحبة وهي كثيرة..!

ونختم هذا بما نُسب إلى أبي العلاء المعري من أنَّ النسك عنده هو الدين، وأنَّ الحقّ منه ما كان عن يسر في صحة واقتدار، يقول:

**الدين هجر الفتى اللذات عن يسر في صحة واقتدار منه ما عمرا**

وله أيضاً:

**ففوزوا بنسك في الحياة وثبتوا لأقدامكم في الأرض قبل انهيارها**

ويأمر بالارتياح إلى النسك وأصحابه، فيقول:

**إلى النسك ارتح وأصحابه إذا فاتك القوم لم يرتح**

ويرى أنَّ النسك والمرء في شبابه، أما بعد الأربعين فالتنسك ضرورة، يقول من الطويل:

**تَنَسَّكتَ بَعدَ الأَربَعينَ ضَرورَةً وَلَم يَبقَ إلّا أن تَقومَ الصَوارخُ**

**فَكَيفَ تُرَجّي أن تُثابَ وَإنما يَرى الناسُ فَضلَ النُسكِ وَالمَرءُ شارخُ.**[[5]](#footnote-5)

مع التفسير:

لنقف عند الآيات التي توفّرت على مفردة النسك والتي جاءت كما ذكرنا سبع مرّات في ستَّ آيات قرآنيّة مباركة، وحسب الترتيب القرآني للسور إعراباً ولغةً وقراءةً وبياناً؛.. بدءًا بالآيتين:

(رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ \* رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ ). سورة البقرة: 128ـ 129.

بدءًا نقول: يشكّل الدعاء في المشروع الإبراهيمي الركيزة الأعظم في إظهار جوهر العلاقة بين العبد وربّه، وفي انشداد الإنسان لمبدعه؛ وفي بيان الصلة الوثيقة بين الخالق والمخلوق؛ وفي انكشاف قوة الأول وضعف الثاني، غناء الأول وفقر الثاني، اكتفاء الأول وحاجة الثاني و... والدعاء شكّل المنهج القويم الثابت والنافع والمثمر لدعوة الأنبياء وحركتهم وبالذات لإبراهيم7؛ لهداية الناس إلى خالقهم، وإبعادهم عن سبل الضلال وتيه الانحراف عن الصراط المستقيم... كما أنَّ أدعية إبراهيم تحمل أهداف دعوته، والمنهج الذي سلكه في مشروعه التوحيدي المبارك، وبالذات في فريضة الحجّ وكذا العمرة بناءً للبيت وتعريفاً بمناسك زيارته والتي لم تخلو من الاستعانة بالله تعالى على تحقيقها... لقد كان نبيُّ الله وخليله إبراهيم7 دائمَ الدعاء والتضرع لربّه، وكان لابنه نبيّ الله إسماعيل7 حصة مهمّة، يشارك فيها أباه في بعض ذلك، فكانا معاً في دعائهما وفي ابتهالهما وتضرعهما، كما في الآيتين المذكورتين، وقد جاءتا ضمن مقطع قرآني متوفّر على بعض الأدعية الإبراهيميّة، بعد الذكر المبارك للبيت الحرام: (وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَٱلْعَاكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ).

ولعلَّ الجمع في الكلام بينهما؛ لما تحكياه من أهميّة للمناسك، ودور كلّ من إبراهيم7 ورسول الله9 في إراءتها للناس (إبراهيم7 في الآية الأولى ورسول  الله9 في الثانية، كما يأتينا).

ولأنَّ ما توفّرتا عليه من الدعاء مع انضمامه إلى باقي الأدعية في آيات اُخر، تشكّل بمجموعها ذكراً جميلاً للحركة التوحيدية لنبيّ الله إبراهيم7، ولاستعانته الدائمة بالله تعالى على مقارعة الشرك واجتثاث معالمه وآثاره، تمهيداً لبناء المشروع التوحيدي الإيماني والعملي في الناس... فضلاً عن أنها قد واكبت سيرته العطرة، وراحت تحكي لنا مناقبه وجهوده التي لا تنفك عن قدرة السماء وإرادتها في أربع آيات وهي:

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَداً آمِناً وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ).

والمعطوف عليه هو ذلك الدعاء المشترك بين إبراهيم وابنه إسماعيل8:

(وَإِذْ يَرْفَعُ إبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإسْمَاعِيلُ ربَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إنَّكَ أنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ).

وفيها إسماعيل معطوف على إبراهيم، لاشتراكهما في الدعاء، بعد أن كانا مشتركين في رفع القواعد؛ فإبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة أو أنهما رفعا القواعد معاً... وكأنهما يقولان: لقد أمرتنا ياربّ أن نرفع القواعد من البيت، وها نحن قد فعلنا ما أمرتنا، وأنجزنا هذه الخطوة من مشروع السماء المبارك، فتقبل منا! ولم يكتفيا بهذا، بل راحا سويةً يدعوان الله تعالى؛ يطلبان أربعة أمور تضمنتها الآية الأولى:

(رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ). سورة البقرة: 128.

كان المطلب الثالث هو: (وَ أرِنَا مَنَاسِكَنَا).

هذه الآية تُعدُّ واحدةً من آيات في مقطع قرآني مبارك يتوفّر على أدعيةٍ لنبيّين؛ الأب إبراهيم وابنه إسماعيل8، تسبقها أدعية مباركة وتلحقها، ولا غرابة في هذا فالدعاء هنا يمثل طلبهما الخامس فقد تجسّد عظيماً واضحاً حين لم يتوقفا بدعائهما ذلك ولم يكتفيا به، بل عقّباه بالدعاء لهذه الأمّة المسلمة المنبثقة من ذريتهما بالهداية وعلى يدي رسول​ٍ منها لا من غيرها؛ ليكون خاتم الحركة التوحيدية لإبراهيم ولجميع الأنبياء والرسل: من قبل إبراهيم7 ومن بعده، قائلين: (رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهمْ إنَّكَ أَنتَ ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ).

وقد تتضح المناسبة بين هاتين الآيتين، حين نعرف أنَّ إبراهيم وإسماعيل تعلما مناسك الحجّ مباشرةً، فيما تعلمتها ذريتُهما من بعدهما بواسطة رسول الله9. ولعلَّ هذه خلاصة ما ذكره البقاعي في تفسيره:

... ولما كان المسلم مضطراً إلى العلم قال: (وَ أرِنَا مَنَاسِكَنَا) وفي ذلك ظهور لشرف عمل الحجّ حيث كان مُتلقي عن الله بلا واسطة؛ لكونه علماً على آتي يوم الدين حيث لا واسطة هناك بين الربّ والعباد...

ثمَّ يقول: ولما طلب ما هو له في منصب النبوّة من تعليم الله له المناسك بغير واسطة، طلب لذريته مثل ذلك بواسطة من جرت العادة به لأمثالهم، فقال: (رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ). أي الأمّة المسلمة التي من ذريتي وذرية ابني إسماعيل (رَسُولاً مِّنْهُمْ) ليكون أرفق بهم وأشفق عليهم، ويكونوا هم أجدر باتباعه والترامي في نصره، وذلك الرسول هو محمد9، فإنه لم يبعث من ذريتهما بالكتاب غيره، فهو دعوة إبراهيم7 أبي العرب وأكرم ذريته...

فهذه أدعية ثلاثة في المقطع المذكور، اشترك فيها كلٌّ من إبراهيم وإسماعيل8 وهي:

(...رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ).

(رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ...).

(رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ...).

وهمايكرران نداءهما الخالي من أداة البعد أي حرف النداء (يا) واكتفا بقولهما (رَبَّنَا) وعن فائدة تكرير النداء في هذه الآيات، يقول ابن عاشور: إظهار الضراعة إلى الله تعالى، وإظهار أنَّ كلَّ دعوى من هاته الدعوات مقصودة بالذات، ولذلك لم يكرر النداء إلّا عند الانتقال من دعوة إلى أخرى، فإنَّ الدعوة الأولى لطلب تقبل العمل، والثانية لطلب الاهتداء، فجملة النداء معترضة بين المعطوف هنا والمعطوف عليه في قوله الآتي:

(رَبَّنَا وَ ٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً...). سورة البقرة: 129 .

يقول الرازي: اعلم أنَّ هذا هو النوع الرابع من الأمور التي حكاها الله تعالى عن إبراهيم وإسماعيل8، وهو أنهما عند بناء البيت ذكرا ثلاثة من الدعاء... [[6]](#footnote-6)

ولعلَّ بين هذه الأدعية أيضاً ترابطاً وفوائدَ... منها أنَّ المناسك التي أردا من الله تعالى أن يُريَها لهما تتعلّق بالبيت المبارك الذي قاما برفع قواعده فتشيده، فكانا شريكين في بناء البيت وفي الدعاء... ثمَّ في تطهيره كما في الآيتين: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْـرِكْ بِي شَيْئاً وَ طَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ). سورة الحج: 26. (وَ إِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَ أَمْناً وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَٱلْعَاكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ). سورة البقرة: 125 .

من أن تلوثه أيدي الشرك وعبادة الأوثان؛ تمهيداً لأداء هذه المناسك، وإعداداً لمشاعر الحجّ والعمرة، فهو ميدانها الأصيل لكلّ مَن يريد أن يكون في دائرة أولئك الذين لبّووا نداء إبراهيم7 المتمثّل في سورة الحج : 27.(وَأَذّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلّ فَجٍّ عَميِقٍ).

ليكون من قاصدي البيت حاجًّا أومعتمراً فيطوف به، ويسعى بين الصفا والمروة... وبالتالي يلج في دائرة الطائفين والقائمين والعاكفين والركع السجود...

ثمَّ إنهما بعد أن دعوا الله سبحانه: (رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ...). دَعَوا الله عزَّوجلَّ أيضاً: (رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ...)، وسيأتي الكلام عنها.

هذا، و لابدَّ من الإشارة إلى أنَّ هذه الآية المباركة في سورة البقرة جاءت ضمن مقطع قرآني كريم (الآيات: 124ـ 129)، بدءًا بتأسيس الإمامة الإبراهيميّة، بعد أن اجتاز نبيّ الله إبراهيم7 جميع الابتلاءآت، وحقّق فوزاً عظيماً يُرضي السماء، فما أعظمه من برهان على منزلته عند ربّه، ورضا الله عزَّ وجلَّ عنه! حتى منحه هذا الوسام الكبير، والفضل الجليل، ألا وهو الإمامة كما جاءت بذلك هذه الآية المباركة: 124(وَإِذِ ٱبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ)!

إلّا أنَّ إبراهيم7 ولمعرفته بجلالة هذه الدرجة التي منحتها له السماء، ولعظمها في عينه، تمنّى أن لا تبقى عليه فقط، وأن لا تقف عنده، وأن لا تختصّ به دون غيره من ذريته، بل أن يحظى أولاده وأحفاده بهذا العطاء الطيب، وهم يشكّلون امتداده الطبيعي، فلا يبتعدون عن دائرتها، بل أن يكونوا جزءًا فاعلاً فيها؛ ولهم نصيب منها، فرفع يديه راجياً متمنياً متوسلاً: (قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي).

فاستجابت السماء ذلك منه، لكن ليس على إطلاق حتى جزء الذرية هذا، أو عموم هذه البعضيّة من الذرية، دون أن تقيّدها بالصالحين وتخصصها بالمتقين من نسله7، الذين هم الأعظم اتباعاً لشرعه، والأكثر اقتفاءً لآثاره، والأصدق التزاماً بعهد الإمامة، وتُبعد الظالمين عنها، فلا ينالون شيئاً من العهد المبارك هذا؛ لأنَّهم ظلموا أنفسهم وظلموا الآخرين، فلا مجال لهم ولا مكان في عهد الإمامة الإبراهيميّة، طرداً للظلم بكلّ أشكاله وإبعاداً لجميع أتباعه ومريديه...

وبمثل هذا ما قرره سيد قطب بقوله أنَّ: الظلم أنواع وألوان: ظلم النفس بالشرك، وظلم الناس بالبغي... والإمامة الممنوعة على الظالمين تشمل كلّ معاني الإمامة: إمامة الرسالة، وإمامة الخلافة، وإمامة الصلاة... وكلّ معنى من معاني الإمامة والقيادة. فالعدل بكلّ معانيه هو أساس استحقاق هذه الإمامة في أية صورة من صورها. ومن ظلم أي لون من الظلم فقد جرّد نفسه من حقّ الإمامة، وأسقط حقَّه فيها بكلّ معنى من معانيها...[[7]](#footnote-7)

إنَّ أدب الدعاء لإبراهيم7 بعد آية الإمامة وبيانها وإجابتها، بل ورفضها الصريح المتمثّل بقولها: (لاَ يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ). سورة البقرة: 124 يتجلّى أيضاً بعد ثلاث آيات أي في الآية: 128 (... وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ...)، وحدّد في دعائه مع ابنه إسماعيل8 أمنيتهما صريحةً أن تكون (أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا...)، ولكن لبعض ذريتهما! وهذا هو أدبه الذي صار منهجه حتى في دعائه الآخر: (رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ)؛ سورة إبراهيم: 40 .

ولعلّهما أيضاً كانا8 ملتفتين إلى أنَّ الدعاء لجميع ذريتهما وللأُمّة المنبثقة منها، ليس فيه رعاية للأدب مع الله عزَّ وجلّ؛ لأنها أُمّة ستكون كثيرة وواسعة، وبحسب سنته تعالى في خلقه، منها أناس محسنون وفي قبالهم ظالمون، ومنها أناس مهتدون وآخرون فاسقون: (وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ)، سورة الصافات: 113. (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)، سورة الحديد: 26 .

فلم يخالفا سنة الله تعالى في خلقه، فكان سؤالهما لا لها جميعاً، بل للبعض منها بالهداية للإسلام ولمعرفة المناسك التي نسباها لأنفسهما (مَنَاسِكَنَا)،

وقد عرفاها واعتزّا بها وحَرَصا عليها، وإلّا فهي مناسكه تعالى لعباده، أحبّ وارتضى أن يُعبد من خلالها..! وأنَّها تُشكّل خير منظومة عبادية ترقى بالأرواح وتطهر النفوس، وتجعلها أعظم انشداداً لخالقها، والتزاماً بشرائعه، وبالتالي وجدا فيها كلَّ خير في الدنيا والآخرة، فتمنّاها إبراهيم لأّمّته كما تمنّى لها الإمامة، وهذه سيرته7؛ ما إن تمنّ عليه السماءُ بعطاءٍ وخير وفضل إلّا وأحبّه ورجاه لبعض ذريته، وصارت سنّةً مُتّبعةً في عقبه، ولا غرابة في هذا وهو صاحب الوصية الكبرى لهم، فما أن نال نعمة الإسلام حتى اتجهت أنظاره إلى ذريته يُوصيهم بها: (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ \* وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ). سورة البقرة: 132- 133.

نلاحظ هذا الأدب الإبراهيمي في كلام ابن عاشور حين يقول:.. وإنما سألا ذلك لبعض الذرية جمعاً بين الحرص على حصول الفضيلة للذرية وبين الأدب في الدعاء؛ لأنَّ نبوءة إبراهيم تقتضي علمه بأنه ستكون ذريته أمماً كثيرةً، وأنَّ حكمة الله في هذا العالم جرت على أنه لا يخلو من اشتماله على الأخيار والأشرار، فدعا الله بالممكن عادةً، وهذا من أدب الدعاء، وقد تقدم نظيره في قوله تعالى: (قَالَ وَمِن ذُرِّيَتِي). سورة البقرة: 124.

وظلّت هذه الفقرة من الآية موضع استدلالهم في الآية التالية لها، والتي فيها: (وَمِنْ ذَرّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِـمَةً لَكَ).

وهذا يعني أنَّ آية الإمامة لإبراهيم7 قد نزلت قبل دعائهما هذا الذي فيه تخصيص لبعض ذريتهما أن يجعل الله سبحانه منها (أُمَّةً مُسْلِـمَةً). كما أنَّ بعض مفردات آية الإمامة هذه كالابتلاء والكلمات والإمامة استفاد منها بعضهم في مسألة مفردة المناسك... وهذا كلّه سنلاحظه في الآية الأولى: (رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ)، سورة البقرة: 128؛ التي نقف عندها إعراباً وقراءةً ولغةً وتفسيراً:

الإعراب:

(رَبَّنا)، منادى مضاف محذوف منه حرف النداء، ولا بدَّ من تقدير قول محذوف؛ أي يقولان: ربَّنا، ويكثر حذف الحال إذا كان قولاً أغنى عنه المقول.

(وَاجْعَلْنا): عطف على ما تقدّم.

(مُسْلِمَيْنِ): مفعول به ثان.

يقول السمين الحلبي: (مُسْلِمَيْنِ)، مفعولٌ ثان للجَعْل؛ لأنَّه بمعنى التصيير، والمفعولُ الأولُ هو «نا».

(لَكَ): الجار والمجرور متعلقان بمحذوف نعت مسلمين.

(وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا)، الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف دلّ عليه المذكور؛ أي واجعل من ذريتنا.

(أُمَّةً) مفعول به أول للفعل المحذوف، ومن ذريتنا هو المفعول الثاني.

(مُسْلِمَةً): نعت.

(لَكَ): نعت ثان لأُمّة.

(وَأَرِنَا) الواو عاطفة، وأر فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول.

(مَناسِكَنا): مفعول به ثان.

(وَتُبْ عَلَيْنا): عطف أيضاً.

(إِنَّكَ): إنَّ واسمها.

(أَنْتَ): ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ.

(التَّوَّابُ): خبر أول.

(الرَّحِيمُ): خبر ثان، والجملة الاسمية خبر إنَّ، ولك أن تعرب الضمير ضمير فصل لا محل له من الإعراب. والتواب الرحيم: خبران لأنَّ، (رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ...)، يفيد الحصر أي نكون مسلمين لك لا لغيرك، تمنّيا أن تكون هناك أُمّة ترث ما هما عليه من الإسلام والمناسك...

القراءة:

أبو حيان: ... وقراءة عبد الله: وأرهم مناسكهم وتب عليهم. واحتمال أن يكون: وأرنا مناسكنا على حذف مضاف، أي وأر ذريتنا مناسكنا... ثمَّ يقول:.. دعوا بأن يجعلهما مسلمين ومن ذريتهما أمّة مسلمة، وبأن يريهما مناسكهما، وبأن يتوب عليهما...

وعن (مُسْلِمَيْنِ) في دعائهما8: (رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ): مفعول به ثان لـ «اجعلنا». يقول السمين الحلبي: قوله (لَّكَ) فيه وجهان، أحدُهما: أن يتعلَّق بمُسْلِمَيْن، لأنه بمعنى نُخْلِصُ لك أوجهَنَا نحو: (أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للَّهِ)، فيكونَ المفعولُ محذوفاً لفَهْم المعنى. والثاني: أنه نعتٌ لِمُسْلِمَيْن، أي: مُسْلِمَيْن مستقرَّيْن لك أي: مستسلمَيْن، والأولُ أقوى معنًى.

أما القراءة فقد قرىء (مُسْلِمَيْن) على الجمع، كأنهما أرادا أنفسهما وهاجر، أو أجريا التثنية على حكم الجمع لأنها منه. هذا ما ذكره الزمخشري في تفسيره للآية.

الشيخ الطوسي: روي في الشواذ عن عوف بن الاعرابي أنه قرأ (مسلمين) على الجمع.

قرأ ابن عباس «مسلمِين»، بصيغةِ الجمع، وفي ذلك والكلام للسمين الحلبي تأويلان أحدُهما: أنهما أجْرَيَا التثنية مُجْرَى الجمع، وبه استدلَّ مَنْ يَجْعَلُ التثنيةَ جمعاً. والثاني: أنهما أرادا أنفسهما وأهلَهما كهاجر.

يقول الطبري: وهذا أيضاً خبر من الله تعالـى ذكره عن إبراهيـم وإسماعيـل أنهما كانا يرفعان القواعد من البـيت وهما يقولان: (رَبَّنا وَاجْعَلْنَا مُسْلِـمَيْنِ لَكَ)، يعنـيان بذلك: واجعلنا مستسلـمين لأمرك خاضعين لطاعتك، لا نُشْرك معك فـي الطاعة أحداً سواك، ولا فـي العبـادة غيرك... معنى الإسلام الـخضوع لله بـالطاعة.

الشيخ الطوسي: ... وإنما سألا الله تعالى أن يجعلهما مسلمين بمعنى: أن يفعل لهما من الألطاف ما يتمسكان معه بالإسلام في مستقبل عمرهما؛ لأنَّ الإسلام كان حاصلاً في وقت دعائهما، ويجري ذلك مجرى أحدنا، إذا أدب ولده وعرّضه لذلك حتى صار أديباً، جاز أن يقال: جعل ولده أديباً. وعكس ذلك إذا عرضه للبلاء والفساد، وجاز أن يقال: جعله ظالماً محتالاً فاسداً. ويجوز أن يكونا قالا ذلك تعبداً كما قال تعالى: (رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ)، سورة الأنبياء: 112.

ويقول البيضاوي: مخلصين لك، من أسلم وجهه، أو مستسلمين من أسلم إذا استسلم وانقاد، والمراد طلب الزيادة في الإخلاص والإذعان، أو الثبات عليه.

(وَمِنْ ذَرّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِـمَةً لَكَ). وعن إضافة الذرية إليهما، يقول محمدرشيدرضا: أضافا الذرية إلى ضمير الاثنين، للدلالة على أنَّ المراد الذريّة التي تنسب إليهما معاً، وهي ما يكون من ولد إسماعيل، اللفظ ظاهر في هذا المعنى،...

مِن التبعيضيّة:

وهي التي يمكن حذفها ووضع (بعض) مكانها، وهنا وإن جوّز بعضهم أنها للتبيين، لكنَّ القول إنَّها للتبعيض يبقى القول الأرجح. وقد خصَّ إبراهيم7 بعضهم ولم يُعمّم؛ لأنه تعالى سبق وأن أعلمه أنَّ في ذريته الظالمين؛ الظالم لنفسه والظالم لغيره في قوله: في آية الإمامة: 124 سورة البقرة، (لاَ يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ ...).

(رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ...)، يفيد الحصر أي نكون مسلمين لك لا لغيرك، تمنّيا أن تكون هناك أمّة ترث ما هما عليه من الإسلام والمناسك...

أبو حيان:.. وقراءة عبد الله: وأرهم مناسكهم وتب عليهم. واحتمال أن يكون: وأرنا مناسكنا على حذف مضاف، أي وأر ذريتنا مناسكنا... ثمَّ يقول:.. دعوا بأن يجعلهما مسلمين ومن ذريتهما أمّة مسلمة، وبأن يريهما مناسكهما، وبأن يتوب عليهما... أن يبعث في هذه الأُمّة، والتي سيكون وجودها بعد قرون وأجيال في مكة المكرمة وما حولها، مَن يواصل مسيرتهما تلك، ويرفع عنها ما قد يُصيبها من تحريف واعتداء وتضييع، ويُعلمها دينها وشرائعه، والتي منها المناسك العبادية لبيته العتيق الذي هم بقربه وحوله وهو بينهم؛ ليحجّوه على علم ومعرفة، فكان رسول الله9 الذي لم يُبعث سواه في مكة المكرمة، استجابةً لدعائهما.

فهذا الشيخ الطبري في تفسيره يقول: فإنهما خَصَّا بذلك بعض الذرية؛ لأنَّ الله تعالـى ذكرُه قد كان أعلـم إبراهيـم خـلـيـله7 قبل مسألته هذه أنَّ من ذرّيته من لاينال عهده لظلـمه وفجوره...ويقصد الطبري ما جاء في الآية: 124 من سورة البقرة.

ويواصل قائلاً: فخّصا بـالدعوة بعض ذرّيتهما. وقد قـيـل: إنهما عنـيا بذلك العرب، فعن السدي: (وَمِنْ ذُرّيَتِنَا أمَّةً مُسْلِـمَةً لَكَ) يعنـيان العرب.

ويردُّ الطبري هذا بقوله: وهذا قول يدلّ ظاهر الكتاب علـى خلافه؛ لأنَّ ظاهره يدلّ علـى أنهما دعوا الله أن يجعل من ذريتهما أهل طاعته وولايته والـمستـجيبـين لأمره، وقد كان فـي ولد إبراهيـم العرب وغير العرب، والـمستـجيب لأمر الله والـخاضع له بـالطاعة من الفريقـين، فلا وجه لقول من قال: عنى إبراهيـم بدعائه ذلك فريقاً من ولده بأعيانهم دون غيرهم إلّا التـحكم الذي لا يعجز عنه أحد. وأما الأمّة فـي هذا الـموضع، فإنه يعنـي بها الـجماعة من الناس، من قول الله: (وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ)، سورة الأعراف: 156.

الشيخ الطوسي: وإنما خصّا بالدعوة بعض الذرية في قوله: (وَمِن ذُريَتِنَا) لأنَّ (من) للتبعيض من حيث أنَّ الله تعالى: كان أعلمه أنَّ في ذريتهما من لا ينال العهد؛ لكونه ظالماً.

وقال السدي: إنما عنيا بذلك العرب. والأول هو الصحيح. وهو قول أكثر المفسرين.

وحسب ما ذكر القرطبي: أنه لم يدع نَبيٌّ إلّا لنفسه ولأمّته إلّا إبراهيم، فإنه دعا مع دعائه لنفسه ولأمّته ولهذه الأمّة... و(مِن) في قوله: (وَمِن ذُريَتِنَا)، للتبعيض؛ لأنَّ الله تعالى قد كان أعلمه أنَّ منهم ظالمين. والمسلم هو الذي استسلم لأمر الله وخضع له، وهو في الدين القابل لأوامر الله سرًّا وجهراً...

وللرازي في تفسير الآية: واجعل من أولادنا، و(من) للتبعيض وخصّ بعضهم؛ لأنه تعالى أعلمهما أنَّ في ذريتهما الظالم بقوله تعالى: (لاَ يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّـالِمِينَ)، سورة البقرة: 124.

وله أيضاً... أنه تعالى لما أعلم إبراهيم7 أنّ في ذريته من يكون ظالماً عاصياً، لا جرم سأل هاهنا أن يجعل بعض ذرّيته أمّةً مسلمةً.

جاء هذا النفي والردّ، حين حكى تعالى عنه والكلام للرازي أيضاً أنه طلب الإمامة لأولاده... فدلَّ ذلك على أنَّ منصب الإمامة والرياسة في الدين لا يصل إلى الظالمين، فهؤلاء متى أرادوا وجدان هذا المنصب وجب عليهم ترك اللجاج والتعصب للباطل.

البيضاوي:.. أي واجعل بعض ذريتنا، وإنما خصّا الذرية بالدعاء؛ لأنّهم أحقُّ بالشفقة، ولأنّهم إذا صلحوا صلح بهم الأتباع، وخصّا بعضهم لما أعلما أنَّ في ذريتهما ظلمة، وعلما أنَّ الحكمة الإلهية لا تقتضي الاتفاق على الإخلاص والإقبال الكلي على الله تعالى، فإنّه مما يشوش المعاش، ولذلك قيل: لولا الحمقى لخربت الدنيا.

وقيل: أراد بالأُمّة أمّة محمد9، ويجوز أن تكون (من) للتبيين كقوله تعالى: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ مِنْكُمْ)، سورة المائدة: 9.

قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى: (خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ مِنَ ٱلأَرْضِ مِثْلَهُنَّ).

وقد ذكر صاحب تفسير البرهان رواية عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله7، قال: قلت له: أخبرني عن أُمّة محمد عليه الصلاة والسلام، مَن هم؟ قال: أمّة محمد بنو هاشم خاصة. قلتُ: فما الحجّة في أمّة محمد أنهم أهل بيته الذين ذكرت دون غيرهم؟ قال: قول الله: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ \* رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ)، فلما أجاب الله إبراهيم وإسماعيل، وجعل من ذريتهم أمّةً مسلمةً، و بعث فيها رسولاً منها ـ يعني من تلك الأُمّة يتلو عليهم آياته و يزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة، ردف إبراهيم7 دعوته الأولى بدعوته الأخرى، فسأل لهم تطهيراً من الشرك ومن عبادة الأصنام؛ ليصحّ أمره فيهم، ولا يتبعوا غيرهم، فقال: (وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلأَصْنَامَ \* رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) سورة إبراهيم: 35 - 36 .

ففي هذه دلالة على أنه لا تكون الأئمة والأُمّة المسلمة التي بَعث فيها محمداً9 إلّا من ذرية إبراهيم7، لقوله: (وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلأَصْنَامَ)، سورة إبراهيم: 35. [[8]](#footnote-8)

(وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا)

فإنَّ هذه الإراءة؛ أي إراءة إبراهيم7 مناسكه، الواردة في دعائه7، تُعدُّ واحدةً من خصائصه العديدة التي تفضل الله تعالى عليه بها؛ واقترنت بأذانه بالحجّ للبيت الذي رفع قواعده وطهره، بعد اصطفائه بالنبوّة والرسالة...

يذكر أبو حيان في قوله تعالى: (وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَاهُ فِي ٱلدُّنْيَا ...) سورة البقرة: 130. أي جعلناه صافياً من الأدناس، واصطفاؤه بالرسالة والخلّة والكلمات التي وفى ووصى بها، وبناء البيت، والإمامة، واتخاذ مقامه مصلّى، وتطهير البيت، والنجاة من نار نمرود، والنظر في النجوم، وأذانه بالحجّ، وإراءته مناسكه، إلى غير ذلك مما ذكر الله في كتابه من خصائصه ووجوه اصطفائه...[[9]](#footnote-9)

وصارت من أهمّ وظائف نبوّته و رسالته للناس بعد بنائه للكعبة المشـرّفة وأذانه المبارك، أن يُريهم مناسكهم في كيفية حجِّ هذا البيت المبارك، وفي زيارته، وأداء ما عليهم من واجبات إزاءه، مما يدلّ على عظمة هذا البيت وفضله وأهمية معالمه في المنظومة الإيمانية والعبادية والاجتماعية والثقافية التي تمنّاها كلٌّ من إبراهيم وابنه إسماعيل8 للأمّة المسلمة، وقد تجسّدت تلك المنظومة وهذه الأمنية في دعائهما: (... وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ...). في الكافي عن أحدهما8 (ولعلّه الإمام الباقر أو الإمام الصادق8) قال: «إنَّ الله تعالى أمر إبراهيم ببناء الكعبة، وأن يرفع قواعدها، ويُري الناس مناسكهم، فبنى إبراهيم وإسماعيل8 البيت...».

فقراءة (وَأَرِنَا) لهم كلام طويل فيها، وفي المراد منها أو في أنواع الرؤية أهي القلبية أو البصرية أو هما معاً، أو هي بمعنى: علّمنا..، نكتفي بما ذكره بعضهم مع شيء من التصرف، وقبل التعرض لهذا، نشير إلى أنَّ الرازي في تفسيره: ذكر أنَّ في قراءة عبدالله: (وأرهم مناسكهم وتب عليهم)، وعن غيره: أنَّ ابن مسعود قرأ: (وَأرهِمْ مَنَاسِكَهُمْ)، فالضمير رُدَّ إلى الأمَّةِ، أو بإعادة الضمير إلى الذرية، باعتبار أنَّ هذه وتلك ذكرت في الآية: (وَمِن ذُرّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ).

(وَأَرِنَا) هل هي من رؤية العين، أو من رؤية القلب، أو هي رؤية القلب والبصر معاً؟

فهذا ما أشار إليه الطبري في تأويله للآية المذكورة، ضمن بيانه اختلاف قراءتها من قبل القرّاء، حيث إنه رتّبهم على ثلاث طوائف من القرّاء، وذكر تأويل كلّ منهم (مَناسِكَنا) وبيانها على ضوء قراءتهم، ونظراً لفائدتها ندوّنها كما أوردها، ولكن باختصار سندها، وكانت تحت عنوان: القول فـي تأويـل قوله تعالـى: (وَأرِنَا مَناسِكَنا)، فقال: اختلفت القرّاء فـي قراءة ذلك: فقرأه بعضهم: (وَأرِنَا مَناسِكَنا) بـمعنى رؤية العين، أي أظهرها لأعيننا حتـى نراها. وذلك قراءة عامة أهل الـحجاز والكوفة، وكان بعض من يوجّه تأويـل ذلك إلـى هذا التأويـل يسكن الراء من «أرنا»، غير أنه يُشِمُّها كسرة. ثمَّ يقول: واختلف قائل هذه الـمقالة وقرّاء هذه القراءة فـي تأويـل قوله: (مَناسِكَنا)، فقال بعضهم: هي مناسك الـحجّ ومعالـمه. ذكر من قال ذلك:.. عن قتادة قوله: (وأرِنا مَناسِكَنا) فأراهما الله مناسكهما؛ الطواف بـالبـيت، والسعي بـين الصفـا والـمروة، والإفـاضة من عرفـات، والإفـاضة من جمع، ورمي الـجمار، حتـى أكمل الله الدين أو دينه. وأيضاً... عن قتادة فـي قوله: (وَأرِنَا مَناسِكَنا) قال: أرنا نُسكنا وحَجَّنا...

وقال آخرون مـمن قرأ هذه القراءة: الـمناسك الـمذابح. فكان تأويـل هذه الآية علـى قول من قال ذلك: وأرنا كيف نَنْسُكُ لك يا ربنا نسائكنا فنذبحها لك.

ذكر من قال ذلك:.. عن ابن جريج، عن عطاء: (وَأرِنَا مَناسِكَنا) قال: ذَبْحَنا. وأيضاً... عن ابن جريج، عن عطاء، قال: مذابحنا. و... عن ابن أبـي نـجيح، عن مـجاهد مثله. و... عن عطاء: سمعت عبـيد بن عمير يقول: (وَأرِنَا مَناسِكَنا) قال: أرنا مذابحنا.

وقال آخرون: (وأرْنا مَناسِكَنا)، بتسكين الراء. وزعموا أنَّ معنى ذلك: وعلِّـمنا ودُلَّنا علـيها، لا أنَّ معناها أرناها بـالأبصار. وزعموا أنَّ ذلك نظير قول حُطائط بن يَعْفر أخي الأسود بن يعفر:

أرينِـي جَوَاداً ماتَ هُزْلاً لأَننِـي

أرَى ما تَرَينَ أوْ بَخِيلاً مُخـلّدا

يعنـي بقوله أرينـي: دلـينـي علـيه وعرّفـينـي مكانه، ولـم يَعْن به رؤية العين.

وهذه قراءة رُويت عن بعض الـمتقدّمين. ذكر من قال ذلك:.. عن ابن جريج، قال: قال عطاء: (وَأرِنَا مَناسِكَنا): أخرجها لنا، علـمناها.

وأيضاً عن ابن جريج، قال ابن الـمسيب: قال علـيّ بن أبـي طالب7 لـما فرغ إبراهيـم7 من بناء البـيت، قال: فعلت أي ربّ فأرنا مناسكنا، أبرزها لنا، علـمناها، فبعث الله جبريـل فحجّ به.

وهنا يعقّب الطبري قائلاً: والقول واحد، فمَن كسر الراء جعل علامة الـجزم سقوط الـياء التـي فـي قول القائل أرنـيه، أرنه، وأقرّ الراء مكسورة كما كانت قبل الـجزم.

ومَن سكن الراء من «أرْنا» توهم أنَّ إعراب الـحرف فـي الراء، فسكنها فـي الـجزم كما فعلوا ذلك فـي لـم يكن ولـم يَكُ. وسواء كان ذلك من رؤية العين، أو من رؤية القلب. ولا معنى لفَرْق من فَرَق بـين رؤية العين فـي ذلك ورؤية القلب.

أما الطبرسي، فقد ذكر أنَّ ابن كثير قرأ أرنا بإسكان الراء كلّ القرآن، ووافقه ابن عامر وأبو بكر عن عاصم في السجدة: (وَقَال الَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلأَسْفَلِينَ)، سورة فصلت: 29.

وقرأ أبو عمرو بالاختلاس لكسرة الراء من غير إشباع كلّ القرآن والباقون بالكسر.

الحجّة: الاختيار كسرة الراء؛ لأنها كسرة الهمزة قد حولت إلى الراء، لأنه أصله أرإنا فنقلت الكسرة إلى الراء وسقطت الهمزة، ولأنَّ في إسكان الراء بعد سقوط الهمزة إجحافاً بالكلمة وإبطالاً للدلالة على الهمزة، ومن سكنه فعلى وجه التشبيه بما يسكن في مثل كبد وفخذ، ونحو قول الشاعر:

لو عَصرَ مِنْهُ البان وَالمِسْك انْعَصَرْ

وقال الآخر:

**قَالَتْ سُلِيمىَ اشْتَرْ لَنَا سَوِيْقَا واشْتَرْ وَعَجّلْ خَادِماً لَبيقاً**

وأما الاختلاس فلطلب الخفة وبقاء الدلالة على حذف الهمزة.

القرطبي: (أرِنَا) من رؤية البصر، فتتعدّى إلى مفعولين.

وقيل: من رؤية القلب، ويلزم قائله أن يتعدّى الفعل منه إلى ثلاثة مفاعيل.

قال ابن عطية: وينفصل بأنه يوجد معدّى بالهمزة من رؤية القلب إلى مفعولين كغير المعدّى، قال حُطائط ابن يعفُر أخو الأسود بن يَعْفُر:

**أريني جواداً مات هزْلاً لأَنني أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلاً مُخَلَّداً**

البيضاوي: وقرأ ابن كثير والسوسي عن أبي عمرو ويعقوب (أرِنَا) قياساً على فخذ في فخذ، وفيه إجحاف؛ لأنَّ الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها. وقرأ الدوري عن أبي عمرو بالاختلاس..

و (أرِنَا) من رأى بمعنى أبصر، أو عرف، ولذلك لم يتجاوز مفعولين.

علمنا سنن حجّنا. علمنا وعرفنا. ومن قبله قاله الزمخشري: (وَأَرِنَا) منقول من رأى بمعنى أبصر أو عرّف. ولذلك لم يتجاوز مفعولين، أي وبصرنا متعبداتنا في الحجّ، أو وعرفناها. وقيل مذابحنا. وعن السمين الحلبي أنَّ الزمخشري أجاز أن تكون منقولةً من (رأى) بمعنى عَرَفَ فتتعدَّى أيضاً لاثنين...

... وأجاز قومٌ فيما حكاه ابن عطية أنّها هنا قلبيَّةٌ، والقلبيةُ قبلَ النقل تتعدَّى لاثنين، كقوله:

**وإنَّا لَقومٌ ما نرى القَتْلَ سُبَّةً إذا ما رَأتـْه عامرٌ وسَلُولُ**

الطوسي: وقوله: (وَأَرِنَا) يحتمل أمرين: أحدهما ـ أن يكون من رؤية البصـر. والآخرـ أن يكون من رؤية القلب بمعنى اعلمنا... وقال بعضهم: هي هنا بَصَـريَّةٌ قلبيةٌ معاً؛ لأنّ الحَجَّ لا يَتِمُّ إلّا بأمور منها ما هو معلومٌ ومنها ما هو مُبْصَر، ويلزَمُه على هذا الجمعُ بين الحقيقةِ والمجاز أو استعمالُ المشتركِ في معنييه معاً.

وكذا أبو حيان في بحره بعد ذكره لما قاله بعض الناس: المراد هنا بالرؤية رؤية البصر والقلب معاً؛ لأنَّ الحجَّ لا يتمّ إلّا بأمور بعضها يعلم ولا يرى، وبعضها لا يتمّ الغرض منه إلّا بالرؤية، فوجب حمل اللفظ على الأمرين جميعاً. قال: وهذا ضعيف؛ لأنَّ فيه الجمع بين الحقيقة والمجاز، أو حمل اللفظ المشترك على أكثر من موضوع واحد في حالة واحدة، وهو لا يجوز عندنا.[[10]](#footnote-10)

السمين الحلبي: قوله: (وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا) الظاهرُ أن الرؤيةَ هنا بَصَريَّة، فرأى في الأصل يتعدَّى لواحدٍ، فلمّا دَخَلَتْ همزةُ النقل أَكْسبتها مفعولاً ثانياً، فـ «نا» مفعولٌ أولُ، و(مناسِكَنا) مفعولٌ ثان.

الشوكاني: وقوله: (**وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا**)، هي من الرؤية البصـرية. وقرأ عمر بن عبد العزيز، وقتادة، وابن كثير، وابن محيصن، وغيرهم «أرنا» بسكون الراء، ومنه قول الشاعر:

**أرنَا إدَاوةَ عَبْد الله يَمْلؤُهَا ( نملؤها) مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ إنَّ القَوْمَ قَدْ ظَمِئواُ**

المنار: (وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا) أي علّمنا إيّاها علماً يكون كالرؤية البصريّة في الجلاء والوضوح.

فيما أنَّ السيد السبزواري يذهب إلى أنَّ المراد من الرؤية هي الرؤية الحقيقة كما يسمّيها، يختم بها كلامه عن الآية، حيث يقول: وبعد هذا كله، قال: والمراد بالرؤية هنا الرؤية الحقيقية أي المعرفة والإراءة، لا مجرد الرؤية البصرية والتعليم القولي، وتدلّ على ذلك روايات كثيرة دالة على أنَّ جبرائيل كان معه7 في جميع أعماله وأطواره كما كان مع نبيّنا الأعظم9 في حجّة الوداع.[[11]](#footnote-11)

ومما قاله النبيّان8 في دعائهما أنهما طلبا تفهم طريق العبادة: (وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا)؛ ليعبد الله حقَّ عبادته.

هذا ما صرّح به الشيخ مكارم الشيرازي في تفسيره للآية.[[12]](#footnote-12)

أما (مَنَاسِكَنَا)، فقراءة النسك، وما المراد منه، أيضاً لهم فيها كلام بَينَ: إسكان سينها أو ضمّها، فقد قرأ الحسن: «نُسْكِي» بإسكان السين، وهكذا قرأها أبو حياة والحسن. فيما جمهور الناس قرأها: (ونسُكي) بضم السين. وبين كسر سينها وفتحها، كما يذكر الطبري في تفسيره لقوله تعالى: (لِكُلّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً). سورة الحجّ: 67.

حين قول:.. أنَّ المنسك فـيه لغتان: «مَنْسِك» بكسـر السين وفتـح الـميـم، وذلك من لغة أهل الـحجاز، و«مَنْسَك» بفتـح الـميـم والسين جميعاً، وذلك من لغة أسد. وقد قرىء بـاللغتـين جميعاً.

القرطبي:.. وكلّ ما يُتعبَّد به إلى الله تعالى يقال له مَنْسَك ومَنْسِك. والناسك: العابد. قال النحاس: يقال نَسَك يَنْسُك، فكان يجب أن يقال على هذا: مَنْسُك، إلّا أنه ليس في كلام العرب مَفْعُل.

وأما الأخفش، فقد ذكر الاختلاف في تسميتها منسكاً، وهذا كلامه: واحد المناسك منسك مثل مسجد قد اختلفوا في تسميتها منسكاً على وجهين: أحدهما: لأنه معتاد ويتردد الناس إليه في الحجّ والعمرة، من قولهم: إنَّ لفلان منسكاً، إذا كان له موضع معتاد لخير أو شرّ، فسمّيت بذلك مناسك الحجّ لاعتيادها. والثاني: أنّ النسك عبادة الله تعالى، ولذلك سُمِّي الزاهد ناسكاً لعبادة ربّه، فسميت هذه مناسك؛ فهي عبادات تطلق على الأماكن: (لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ ...). سورة الحج: 67. عن ابن عباس. وقيل: مكاناً يألفونه وموضعاً يعتادونه لعبادة الله ومناسك الحجّ من هذا؛ لأنها مواضع العبادات فيه فهي متعبدات الحجّ. وقيل: موضع قربان أي متعبد في إراقة الدماء مني أو غيره عن مجاهد وقتادة. وتطلق على الأفعال: (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ)، سورة الأنعام: 162.

فالنسك هنا في بعض معانيه هو جميع أعمال البرّ والطاعات من قولك نسك فلان فهو ناسك، إذا تعبّد، أو الدين كما عن الحسن نُسُكِي: ديني. أو العبادة، كما جاء عن الجبائي والزجاج: (نُسُكِي): عبادتي، فقال الزجاج: عبادتي ومنه الناسك الذي يتقرّب إلى الله بالعبادة...

الطوسي: والنسك في اللغة: العبادة. ورجل ناسك عابد، وقد نسك نسكا. والنسك: الذبيحة يقال: من فعل كذا فعلية نسك، أي دم يهريقه، ومنه قوله: (أو نُسُك) أي دم واسم تلك الذبيحة: النسيكة والموضع الذي يذبح فيه المناسك والمنسك هو النسك نفسه. قال الله تعالى: (وَلِكُلِ أمَّةٍ جَعَلنَا مَنسَكاً)، ويقال: نسك ثوبه أي غسله وقال ابن دريد: النسك أصله ذبائح كانت تذبح في الجاهلية. والنسيكة: شاة كانوا يذبحونها في الحرم في الإسلام، ثم نسخ ذلك بالأضاحي قال الشاعر:

**وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا**

وأصل الباب العبادة وقيل: إنَّ النسك الغسل.

قال الشاعر:

**فلا ينبت المرعى سباخ عراعر ولونسكت بالماء ستة أشهر**

أي غسلت ذكره الحسين بن علي المغربي. قال: وليس بمعروف.

والرازي يقول: فالنسك كلّ ما تقربت به إلى الله تعالى، إلّا أنَّ الغالب عليه في العرف الذبح.

فيما خصّصه بعض بالذبيحة؛ فالنّسك جمع نسِيكة، وهي الذّبيحة: كما عن سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي (نُسُكِي): ذبيحتي للحج والعمرة. والمعنى: ذَبْحِي في الحجّ والعمرة.

السمين الحلبي: والمناسِكُ واحدُها: مَنْسَك بفتح العين وكسرها، وقد قرىء بهما والمفتوحُ هو المقيسُ لانضمام عين مضارعه. والمنسَكُ: موضعُ النسُك وهو العبادة.[[13]](#footnote-13)

وأما عن تأويل قوله تعالى: (وأرِنا مَناسِكَنا): فالطبري يقول:.. اختلفوا فـي تأويـل قوله: (مَناسِكَنا)، فقال بعضهم: هي مناسك الـحجّ ومعالـمه؛ فعن قتادة: فأراهما الله مناسكهما: الطواف بـالبـيت، والسعي بـين الصفـا والـمروة، والإفـاضة من عرفـات، والإفـاضة من جمع، ورمي الـجمار، حتـى أكمل الله الدين أو دينه. وأيضاً عن قتادة قال: أرنا نُسكنا وحَجَّنا.

وقال آخرون مـمن قرأ هذه القراءة: الـمناسك الـمذابح. فكان تأويـل هذه الآية علـى قول من قال ذلك: وأرنا كيف نَنْسُكُ لك يا ربنا نسائكنا، فنذبحها لك.. عن ابن جريج، عن عطاء: (وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا)، قال: ذَبْحَنا.

وأيضاً عن ابن جريج، عن عطاء، قال: مذابحنا. وكذا عن مـجاهد وعبـيد بن عمير مثله.

ويذكر الطبري: أنَّ المناسك وهي جمع «مَنْسِك»، وهو الـموضع الذي ينسك لله فـيه، ويتقرّب إلـيه فـيه بـما يرضيه من عمل صالـح إما بذبح ذبـيحة له، وإما بصلاة أو طواف أو سعي، وغير ذلك من الأعمال الصالـحة؛ ولذلك قـيـل لـمشاعر الـحجّ: مناسكه؛ لأنها أمارات وعلامات يعتادها الناس، ويتردّدون إلـيها.

ثمَّ يقول: وأصل الـمَنْسِك فـي كلام العرب: الـموضع الـمعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه، يقال: لفلان منسك، وذلك إذا كان له موضع يعتاده لـخير أو شرّ؛ ولذلك سميت الـمناسك مناسك، لأنها تُعتاد ويتردّد إلـيها بـالـحجّ والعمرة، وبـالأعمال التـي يتقرّب بها إلـى الله.

وقد قـيـل: إنَّ معنى النسك: عبـادة الله، وأنَّ الناسك إنـما سمّي ناسكاً بعبـادة ربّه، فتأوّل قائل هذه الـمقالة قوله: (وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا)، وعَلِّـمْنا عبـادتك كيف نعبدك، وأين نعبدك، وما يرضيك عنا فنفعله.

ثمَّ يُعقب قائلاً: وهذا القول وإن كان مذهبـاً يحتـمله الكلام، فإنَّ الغالب علـى معنى الـمناسك ما وصفنا قبل من أنها مناسك الـحجّ التـي ذكرنا معناها.

(وأما عن مسألتهما) (وَأرِنَا مَناسِكَنا):

فقد خرج هذا الكلام والقول للطبري من قول إبراهيـم وإسماعيـل علـى وجه الـمسألة منهما ربّهما لأنفسهما، وإنـما ذلك منهما مسألة ربّهما لأنفسهما وذرّيتهما الـمسلـمين، فلـما ضمّا ذريتهما الـمسلـمين إلـى أنفسهما صارا كالـمخبرين عن أنفسهم بذلك. وإنـما قلنا: إنَّ ذلك كذلك؛ لتقدم الدعاء منهما للـمسلـمين من ذريتهما قَبْلُ فـي أوّل الآية، وتأخره بعد فـي الآية الأخرى. فأما الذي فـي أول الآية فقولهما: (رَبَّنا وَاجْعَلْنا مُسْلِـمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِـمَةً لَكَ)، ثمَّ جمعا أنفسهما والأمّة الـمسلـمة من ذريتهما فـي مسألتهما ربّهما أن يريهم مناسكهم فقالا: (وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا)، وأما التـي فـي الآية التـي بعدها (رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ)، سورة البقرة: 129. فجعلا الـمسألة لذريتهما خاصة. وقد ذكر أنها فـي قراءة ابن مسعود: «وأرهِمْ مَنَاسِكَهُمْ»، يعنـي بذلك: وأر ذريتنا الـمسلـمة مناسكهم...[[14]](#footnote-14)

الطوسي: (وَأرِنَا مَنَاسِكنَا) فالمناسك ههنا المتعبدات، قال الزجاج: كلّ متعبد منسك.

وقال الجبائي: المناسك هي ما يتقرب به إلى الله من الهدى، والذبح، وغير ذلك من أعمال الحج والعمرة.

وقال عطا: مناسكنا: مذابحنا.

وقال قتادة: أراهما الله مناسكهما الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والإفاضة عن عرفات والإفاضة من جمع، ورمي الجمار حتى أكمل الله الدين.

ويصف الشيخ الطوسي قول قتادة هذا بأنه القول أقوى؛ لأنه العرف في معنى المناسك.

هذا ما ذكره كلٌّ من الطبري والطوسي في الآية، أما الرازي فيذكر قولين في (أَرِنَا...) يراهما قولين معتبرين، فيما القول الثالث يضعفه.

الأول: معناه علمنا شرائع حجّنا إذ أمرتنا ببناء البيت لنحجّه وندعوا الناس إلى حجّه، فعلمنا شرائعه وما ينبغي لنا أن نأتيه فيه من عمل وقول مجاز هذا من رؤية العلم، قال الله تعالى:

(أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظّلَّ)، سورة الفرقان: 45.

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ ٱلْفِيلِ)، سورة الفيل: 1.

الثاني: أظهرها لأعيننا حتى نراها. قال الحسن: إنَّ جبريل7 أرى إبراهيم7 المناسك كلّها، حتى بلغ عرفات، فقال: يا إبراهيم، أعرفت ما أريتك من المناسك؟ قال: نعم. فسميت عرفات.

فلما كان يوم النحر، أراد أن يزور البيت، عرض له إبليس فسد عليه الطريق، فأمره جبريل7 أن يرميه بسبع حصيات ففعل، فذهب الشيطان. ثم عرض له في اليوم الثاني والثالث والرابع، كلّ ذلك يأمره جبريل7 برمي الحصيات.

وههنا قول ثالث، وهو أنَّ المراد العلم والرؤية معاً. وهو قول القاضي؛ لأنَّ الحجَّ لايتمُّ إلّا بأمور بعضها يعلم ولا يرى، وبعضها لا يتم الغرض منه إلّا بالرؤية، فوجب حمل اللفظ على الأمرين جميعاً. وهذا ضعيف؛ لأنه يقتضـي حمل اللفظ على الحقيقة والمجاز معاً وأنه جائز.

فبقي القول المعتبر وهو القولان الأولان، فمن قال بالقول الثاني قال: إنّ المناسك هي المواقف والمواضع التي يقام فيها شرائع الحجّ كمنى وعرفات والمزدلفة ونحوها. ومن قال بالأول قال: إنَّ المناسك هي أعمال الحجّ كالطواف والسعي والوقوف. وفي المسألة الثانية يذكر أنَّ النسك هو التعبد، يقال للعابد ناسك ثم سمي الذبح نسكاً والذبيحة نسيكة، وسمي أعمال الحجّ مناسك. قال9: «خذوا عني مناسككم لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا».

والمواضع التي تقام فيها شرائع الحجّ تسمى: مناسك أيضاً، ويقال: المنسك بفتح السين بمعنى الفعل، وبكسر السين بمعنى المواضع، كالمسجد والمشرق والمغرب، قال الله تعالى: (لكُلّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ) سورة الحجّ: 67 . قرىء بالفتح والكسر، وظاهر الكلام يدل على الفعل، وكذلك قوله9: «خذوا عني مناسككم».

أمرهم بأن يتعلموا أفعاله في الحجّ لا أنه أراد: خذوا عني مواضع نسككم.

ويعقب الرازي قائلاً: إذا عرفت هذا فنقول: إن حملنا المناسك على مناسك الحجّ، فإن حملناها على الأفعال، فالإراءة لتعريف تلك الأعمال، وإن حملناها على المواضع، فالإراءة لتعريف البقاع.

أما من حمل المناسك على الذبيحة فقط، فقد خطّأه الرازي قائلاً: من المفسرين من حمل المناسك على الذبيحة فقط، وهو خطأ؛ لأنَّ الذبيحة إنما تسمى نسكاً لدخولها تحت التعبد، ولذلك لايسمون ما يذبح للأكل بذلك، فما لأجله سميت الذبيحة نسكاً، وهو كونه عملاً من أعمال الحجّ قائم في سائر الأعمال، فوجب دخول الكلّ فيه.

ثمَّ يقول: وإن حملنا المناسك على ما يرجع إليه أصل هذه اللفظة من العبادة والتقرب إلى الله تعالى، واللزوم لما يرضيه، وجعل ذلك عاماً لكلّ ما شرعه الله تعالى لإبراهيم7 فقوله: (وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا)، أي علمنا كيف نعبدك، وأين نعبدك، وبماذا نتقرب إليك حتى نخدمك به كما يخدم العبد مولاه.[[15]](#footnote-15)

الجصاص: وَالأَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: (وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا)، سَائِرُ أعْمَال الْحَج؛ لأَن اللهَ تَعَالَى أمَرَهُمَا ببنَاءِ الْبَيْتِ لِلْحَج، وقَدْ رَوَى ابْنُ أبي لَيْلَى عَنْ ابْن أبي مليْكَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن عُمَرَ عَنْ النَبي9، قال: «أتى جبرئيل إبْرَاهِيم8 فَرَاحَ بهِ إلَى مَكةَ ثُمَّ مِنًى». وذَكَرَ أفْعَالَ الْحَج عَلَى نَحْو مَا فَعَلَهُ النبي9 فِي حَجَّتِهِ، قَالَ: ثُمَّ أوْحَى اللهُ إلَى نَبيهِ9 (أَنِ اتَّبعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً). وكذلك أرسل النبيّ9 إلَى قَوْم بعَرَفَاتٍ وُقُوفٍ خَلْفَهُ وَهُوَ وَاقِفٌ بهَا، فَقَال: «كُونُوا عَلَى مَشَاعِركُمْ فَإِنَّكُمْ عَلَى إرْثٍ مِنْ إرْثِ إبْرَاهِيمَ7».

قوله تَعَالَى: (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ)، يَدُل عَلَى لُزُوم اتِّبَاع إبْرَاهِيمَ فِي شَرَائِعِهِ فِيمَا لَمْ يَثْبُتْ نَسْخُهُ، وأفَادَ بذَلِكَ أنَّ مَنْ رَغِبَ عَنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ9 فَهُوَ رَاغِبٌ عَنْ مِلَّةِ إبْرَاهِيمَ إذ كانت مِلَّةِ النبيّ9 مُنْتَظِمَةً لمِلَّةِ إبْرَاهِيمَ وَزَائِدَةً عَلَيْهَا.[[16]](#footnote-16)

وعن المراد من النسك يقول السبزواري: النسك: العبادة والناسك: العابد، والمنسك: هو الموضع المعدّ للعبادة، قال تعالى: (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكُوهُ) سورة الحج، الآية: ٦٧.

ولكن اختصَّ اللفظ في العرف الخاص بأفعال الحجّ، قال تعالى: (فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ) سورة البقرة: ٢٠٠.

ومع هذا لم ينفِ السيد أنَّ النسك يعني الهدي، فقال: يستعمل في خصوص الهدي أيضاً، قال تعالى: (فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

والنسك هو الهدي وقال تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

وعن نبينا الأعظم9 فيما رواه الفريقان بطرق متواترة: «خذوا عني مناسككم». وهذا ما سنتعرض إليه في الآية الثانية، وهي قوله تعالى: (رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ).

كيفية أداء المناسك:

مناسك الحجّ الإبراهيميّة تُعدُّ من أهم ما توفّرت عليه المنظومة العباديّة التي يُتقرب بها من قبل العباد إلى بارئهم عزَّ وجلَّ، وبعبارة أخرى هي تلك الخطوات التي أراها الله سبحانه وتعالى كلاً من إبراهيم وإسماعيل8.

وهذه المناسك ومعرفتها وأداؤها تكفلت بها مضامين الروايات وذكرتها الأخبار عن عهد إبراهيم وإسماعيل8، والتي تحدّثت عن مناسك الحجّ وكيفية أدائها.

وقبل ذكرها، نُشير إلى أنها لا تخلو من اختلاف نجده بين متونها، ففي وقت الأذان بالحجّ، أوقع بعد فراغ إبراهيم7 من بناء البيت أو بعد معرفته لمناسك الحجّ وأدائها بإرشاد جبريل7، وكذا في مكان وقوعه؛ المقام أو جبل قبيس أو شبر،...؟

ـ لما فرغ إبراهيم7 من بناء البيت الحرام، جاء جبريل7، وفي رواية قال: أي ربّ قد فعلت، فأرنا مناسكنا، أي: أبرزها لنا وعلِّمْناها، وقيل: أرنا مناسكنا: مذابحنا، فجاءه جبريل، فقال: طف به سبعًا هو وإسماعيل يستلمان الأركان كلّها في كلّ طواف، وكان آدم يستلم الأركان كلّها قبل إبراهيم7، فلما أكملا سبعًا، صليا خلف المقام ركعتين.

فقام معه جبريل، فأراه المناسك كلّها؛ الصفا والمروة، ومنى، ومزدلفة، وعرفة، فلما دخل منى وهبط من العقبة تمثل له إبليس، وفي رواية: بعث الله عزّ وجلّ جبريل فحجّ به حتى إذا جاء يوم النحر، عرض له إبليس عند جمرة العقبة، فقال له جبريل7: إرمه فرماه إبراهيم7 بسبع حصيات فغاب عنه، ثم برز له عند الجمرة السفلى، فقال له جبريل7: إرمه فرماه بسبع حصيات فغاب عنه، ثم برز له عند الجمرة الوسطى، فقال له جبريل7: كبر وارمه، فرماه بسبع حصيات مثل حصـى الخذف فغاب عنه إبليس، وفي رواية: فرماه من الغد واليوم الثالث كذلك، ثم مضـى إبراهيم7 في حجّه وجبريل7 يوقفه على المواقف ويعلمه المناسك حتى انتهى إلى عرفات، فلما انتهى إليها قال له جبريل7: أعرفت مناسكك؟ قال إبراهيم7: نعم؛ فسميت عرفات بذلك. فلما فرغ من الحجّ، اُمر إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحجّ. ففي هذه الرواية: فلما فرغ من الحجّ، اُمر إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحجّ.

خلافاً لما جاء في الرواية الثانية، والتي فيها: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، قال: يا ربّ قد فرغت، فأوحى الله إليه أن أذن في الناس بالحجّ.

فالرواية الأولى وقع الأذان بعد الفراغ من الحجّ. أي بعد أدائه7 لمناسك الحجّ. فيما الثانية بعد فراغه من بناء البيت. فلما أمر أن يؤذن بالحجّ، قال: يا ربّ وما يبلغ صوتي؟ فقال الله تعالى: أذِّن وعليَّ البلاغ.

وفي رواية: قال: وكيف أقول؟ قال: قل: يا أيها الناس أجيبوا ربَّكم ثلاث مرات! فَعَل إبراهيم7 على المقام، فارتفع به حتى صار أرفع الجبال وأطولها.

وفي رواية: صعد أبا قبيس وأذَّن بالحجّ، وفي رواية: علا على شبر، وجمعت له الأرض يومئذ سهلها وجبلها وبرها وبحرها وإنسها وجنها حتى أسمعهم جميعاً، وتطأطأت الجبال، وفي رواية: خفضت الجبال رؤوسها ورفعت له القرى فأدخل إصبعيه في صماخي أذنيه، وأقبل بوجهه يمنًا وشامًا وشرقًا وغربًا، وبدأ بشقّ اليمن، فقال: أيّها الناس كتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق فأجيبوا ربَّكم، وفي رواية: إنَّ الله قد أمركم بحجّ هذا البيت؛ ليثيبكم به الجنّة ويجيركم من عذاب النار فحجوا؛ فأجابوه من تحت التخوم السبعة، ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أقطار الأرض كلّها: لبيك اللهم لبيك، وفي رواية: أي كلّ رطب ويابس، وسمعه من بين المشرق والمغرب، وأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فليس أحد يحجّ إلى يوم القيامة إلّا من أجاب نداء إبراهيم7.

وإنما حجّهم على قدر إجابتهم يومئذ، فمن أجابه مرة حجّ مرةً، ومن أجابه مرتين حجّ مرتين، ومن أجابه أكثر، فأكثر على حسب إجابته، ويروى أنه كان بين ذلك وبين أن بعث الله محمداً9 ثلاثة آلاف سنة، وكان أول من أجاب دعوة إبراهيم7 بالتلبية أهل اليمن. وذهب جماعة إلى أنَّ المأمور في قوله تعالى: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) سيدنا رسول الله9.

وفي رواية استقبل إبراهيم اليمن ودعا إلى الله وإلى حجّ بيته، فأجيب أن لبيك لبيك، ثمَّ استقبل المشرق فدعا إلى الله وإلى حجّ بيته، فأجيب أن لبيك لبيك، ثمَّ إلى المغرب بمثل ذلك، ثم إلى الشام بمثل ذلك، ثم حجّ إبراهيم بإسماعيل وبمن معه من المسلمين من جرهم، وهم سكان الحرم يومئذ مع إسماعيل، وهم أصهاره، وصلّى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء بمنى، ثم بات بهم حتى أصبح وصلّى بهم الغداة، ثم غدا بهم إلى نمرة، فقام بهم هنالك حتى إذا مالت الشمس جمع بين الظهر والعصـر بعرفة في مسجد إبراهيم، ثم راح بهم إلى الموقف من عرفة، وهو الموقف الذي يقف عليه الإمام اليوم فوقف بهم، فلما غربت الشمس، دفع به وبمن معه حتى أتى المزدلفة، فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة، ثم بات حتى إذا طلع الفجر صلّى بهم الغداة، ثم وقف به على قزح من المزدلفة وبمن معه، وهو الموقف الذي يقف به الإمام اليوم حتى إذا أسفر غير مشرق، دفع به وبمن معه يريه ويعلمه كيف يرمي الجمار حتى فرغ من الحجّ كلّه، ثم انصرف إبراهيم7 راجعاً إلى الشام، فتوفي بها.

إضافةً لهذا، فهناك أخبار وروايات عن المناسك وكيفيتها، وفي أكثرها وردت هذه العبارات: «فأرنا مناسكنا.. فأراه مناسكه.. أراهما الله مناسكهما.. ربّ أرنا مناسكنا..». منها: ما أخرجه ابن جرير من طريق ابن المسيب عن عليٍّ7، قال: لما فرغ إبراهيم7 من بناء البيت، قال: قد فعلتُ أي رب، فأرنا مناسكنا، أبرزها لنا، علّمناها، فبعث الله جبريل فحجَّ به...

وعن ابن عباس قال: كان المقام في أصل الكعبة، فقام عليه إبراهيم7، فتفرجت عنه هذه الجبال أبوقبيس وصاحبه إلى ما بينه وبين عرفات، فأراه مناسكه حتى انتهى إليه، فقال: عرفت؟ قال: نعم. فسميت عرفات.

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة في قوله: (وَأَرِنَا مَنَاسِكنَا) قال: أراهما الله مناسكهما؛ الموقف بعرفات، والإِفاضة من جمع، ورمي الجمار والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة.

وفي بعضها أنَّ جبريل أراه المناسك قبل الأذان بالحجّ، منها:.. عن مجاهد قال: قال إبراهيم7: رب أرنا مناسكنا. فاتاه جبريل فأتى به البيت، فقال: ارفع القواعد. فرفع القواعد وأتمَّ البنيان، ثم أخذ بيده فأخرجه، فانطلق به إلى الصفا، قال: هذا من شعائر الله، ثم انطلق به إلى المروة، فقال: وهذا من شعائر الله، ثم انطلق به نحو منى، فلما كان من العقبة إذا إبليس قائم عند الشجرة، فقال: كبر وارمه. فكبر ورماه، ثم انطلق إبليس، فقام عند الجمرة الوسطى، فلما حاذى به جبريل وإبراهيم قال له: كبر وارمه. فكبر ورمى، فذهب إبليس حتى أتى الجمرة القصوى، فقال له جبريل: كبر وارمه. فكبر ورمى، فذهب إبليس، وكأن الخبيث أراد أن يدخل في الحجّ شيئاً، فلم يستطع، فأخذ بيد إبراهيم حتى أتى به المشعر الحرام، فقال: هذا المشعر الحرام، ثم ذهب حتى أتى به عرفات قال: قد عرفت ما أريتك؟ قالها ثلاث مرات. قال: نعم. قال: فأذن في الناس بالحجّ. قال: وكيف أؤذن؟ قال: قل يا أيها الناس أجيبوا ربَّكم ثلاث مرات، فأجاب العباد لبيك اللهم ربّنا لبيك، فمَن أجاب إبراهيم يومئذ من الخلق فهو حاجّ! وفي بعضها بعد الأذان بالحجّ. الطبري... عن السدي في (وأرنَا مَناسِكَنا)، قال: لـما فرغ إبراهيـم وإسماعيـل من بنـيان البـيت، أمره الله أن ينادي فقال: (وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ)، فنادى بـين أخشبـي مكة: يا أيها الناس، إنَّ الله يأمركم أن تـحجّوا بـيته. قال: فوقرت فـي قلب كلّ مؤمن، فأجابه كلّ من سمعه من جبل أو شجر أو دابة: لبـيك لبـيك، فأجابوه بـالتلبـية: لبـيك اللهمَّ لبـيك. وأتاه من أتاه، فأمره الله أن يخرج إلـى عرفـات ونَعَتَها فخرج، فلـما بلغ الشجرة عند العقبة، استقبله الشيطان، فرماه بسبع حَصَيَاتٍ يكبر مع كلّ حصاة، فطار فوقع علـى الـجمرة الثانـية أيضاً، فصدّه، فرماه وكبر، فطار فوقع علـى الـجمرة الثالثة، فرماه وكبر. فلـما رأى أنه لا يُطيقه، ولـم يدر إبراهيـم أين يذهب، انطلق حتـى أتـى ذا الـمـجاز، فلـما نظر إلـيه فلـم يعرفه جاز، فلذلك سمي ذا الـمـجاز.

ثم انطلق حتـى وقع بعرفـات، فلـما نظر إلـيها عرف النعت، قال: قد عرفتُ فسميت عرفـات. فوقـف إبراهيـم بعرفـات. حتـى إذا أمسى ازدلف إلـى جمع، فسميت الـمزدلفة. فوقـف بجمع. ثم أقبل حتـى أتـى الشيطان حيث لقـيه أوّل مرّة، فرماه بسبع حصيات سبع مرّات، ثم أقام بـمنى حتـى فرغ من الـحجّ وأمره. وذلك قوله: (وَأرِنَا مَناسِكَنا). ولا أدري أهذه هي الأقوال التي يقصدها أبو حيان في تفسيره البحر المحيط؛ أنها مضطربة النقل بقوله: وذكر المفسـرون في كيفية تأدية إبراهيم وإسماعيل هذه المناسك أقوالاً سبعة مضطربة النقل. وذكروا أيضاً من حجّ هذا البيت من الأنبياء، ومن مات بمكة منهم. وذكروا أنه مات بها نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، وغيرهم، ولم تتعرض الآية الكريمة لشيء من ذلك، فتركنا نقل ذلك على عادتنا.[[17]](#footnote-17)

وإنَّ مناسك الحجَّ الإبراهيمي قد ورثها العرب الوثنيون منهم والحنفاء الذين ظلّوا يقصدون البيت الحرام من هنا وهناك، ليؤدّوا منسك الحجّ، أو بالحقيقة ما بقي منه، فقد حُرّف بعضه، وتُرك آخر، ولكن ما بقي يُشكّل أصلاً مهماً من مراسيم الحجّ وشعائره، فالطواف بأشواطه السبعة باق وكذا السعي، وهكذا المواقف الأُخرى كالوقوف بمنى.. وكالهدي..، إلّا أنَّ الحمس وهم المتشددون يرون أنهم من قريش من أهل مكة، يخرجون فقط إلى نمرة، ولا يدخلون عرفات، في حين أنَّ النبيَّ9 في حجة الوداع، وقف قليلاً عند نمرة، ثم اندفع نحو عرفات...

وسيأتينا الكلام عن الدور الكبير الذي بذله رسول الله9 في تبليغ فريضة الحجّ وتعليم مناسكه في الآية الثانية.

بقي من هذه الآية، فقرتها الأخيرة: (وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ) التي خَتَمَا بها دعاءهما لهذه الذرية وما انبثق عنها من اُمّة صالحة؛ ليغفر لهم ويتوب عليهم...

وخاتمة دعاء كلٍّ من إبراهيم وإسماعيل8 عدّها الآلوسي: تعليل للدعاء، ومزيد استدعاء للإجابة، وتقديم التوبة للمجاورة، وتأخير الرحمة لعمومها، ولكونها أنسب بالفواصل.

فيما اكتفى ابن عاشور بأنها تعليل لجمل الدعاء.

يقول الطبري فـي تأويـل قوله تعالـى: (وَتُبْ عَلَـيْنَا إِنَّكَ أنْتَ التَّوابُ الرَّحِيـمُ): أما التوبة فأصلها الأوبة من مكروه إلـى مـحبوب، فتوبة العبد إلـى ربّه: أوبته مـما يكرهه الله منه بـالندم علـيه والإقلاع عنه، والعزم علـى ترك العود فـيه. وتوبة الربّ علـى عبده: عوده علـيه بـالعفو له عن جُرْمه والصفح له عن عقوبة ذنبه، مغفرةً له منه، وتفضلاً علـيه.

فإن قال لنا قائل: وهل كان لهما ذنوب، فـاحتاجا إلـى مسألة ربهما التوبة؟

قـيـل: إنه لـيس أحد من خـلق الله إلّا وله من العمل فـيـما بـينه وبـين ربّه ما يجب علـيه الإنابة منه والتوبة.

فجائز أن يكون ما كان من قبلهما ما قالا من ذلك، وإنـّما خَصَّا به الـحال التـي كانا علـيها من رفع قواعد البـيت؛ لأنَّ ذلك كان أحرى الأماكن أن يستـجيب الله فـيها دعاءهما، ولـيجعلا ما فعلا من ذلك سنةً يقتدي بها بعدهما، وتتـخذ الناس تلك البقعة بعدهما موضع تَنَصُّل من الذنوب إلـى الله.

وجائز أن يكونا عنـيا بقولهما: (وَ تُب عَلَـينَا) وتب علـى الظلـمة من أولادنا وذريتنا الذين أعلـمتنا أمرهم من ظلـمهم وشركهم، حتـى ينـيبوا إلـى طاعتك. فـيكون ظاهر الكلام علـى الدعاء لأنفسهما، والـمعنـيُّ به ذريتهما، كما يقال: أكرمنـي فلان فـي ولدي وأهلـي، وبرّنـي فلان: إذا برّ ولده.

وأما قوله: (إِنَّكَ أنْتَ التواب الرَّحِيـمُ) فإنه يعنـي به: إنك أنت العائد علـى عبـادك بـالفضل والـمتفضل علـيهم بـالعفو والغفران، الرحيـم بهم، الـمستنقذ من تشاء منهم برحمتك من هلكته، الـمنـجي من تريد نـجاته منهم برأفتك من سخطك.

لقد سألا الله تعالى التوبة مع كونهما معصومَين تعليماً لذرّيتهما دون أن يفردا نفسيهما عن هذه الذرية ويعزلاها عن هذه الأُمّة، فدعوا للجميع؛ ليغفر لهم ويتوب عليهم..، أو أنهما قالا هذه الكلمة على وجه التسبيح والتعبد والانقطاع إلى الله سبحانه؛ ليقتدي بهما الناس فيها...

الطوسي: (وَ تُب عَلَـينَا)، أي ارجع علينا بالرحمة والمغفرة وليس فيه دلالة على جواز الصغيرة، أو فعل القبيح عليهم. ومن ادعى ذلك، فقد أبطل. وقال قوم: معناه تب على ظلمة ذريتنا. وقيل: بل قالا: ذلك انقطاعا اليه تعالى تعبداً ليقتدى بهما فيه. وهو الذي نعتمده...

فيما فصّل الآلوسي ذلك؛ بعد أن ذكر أنَّ (وَ تُب عَلَـينَا): أي وفقنا للتوبة أو اقبلها منا. قائلاً: والتوبة تختلف باختلاف التائبين: فتوبة سائر المسلمين: الندم والعزم على عدم العود وردّ المظالم إذا أمكن، ونية الردّ إذا لم يمكن. وتوبة الخواص: الرجوع عن المكروهات من خواطر السوء، والفتور في الأعمال، والإتيان بالعبادة على غير وجه الكمال.

وتوبة خواص الخواص لرفع الدرجات، والترقي في المقامات.

فإن كان إبراهيم وإسماعيل8 طلبا التوبة لأنفسهما خاصة، فالمراد بها ما هو من توبة القسم الأخير، وإن كان الضمير شاملاً لهما وللذرية كان الدعاء بها منصرفاً لمن هو من أهلها ممن يصح صدور الذنب المخل بمرتبة النبوة منه.

وإن قيل: إنَّ الطلب للذرية فقط، وارتكب التجوز في النسبة إجراءً للولد مجرى النفس بعلاقة البعضية؛ ليكون أقرب إلى الإجابة، أو في الطرف حيث عبر عن الفرع باسم الأصل، أو قيل: بحذف المضاف أي - على عصاتنا - زال الإشكال كما إذا قلنا: إنَّ ذلك عمّا فرط منهما من الصغائر سهواً، والقول بأنهما لم يقصدا الطلب حقيقة، وإنما ذكرا ذلك للتشريع وتعليم الناس أنّ تلك المواضع مواضع التنصل، وطلب التوبة من الذنوب بعيد جدًّا، وجعل الطلب للتثبيت لا أراه هنا يجدي نفعاً - كما لا يخفى - وقرأ عبدالله «وَتُبْ عَلَيْهِمْ». بضمير جمع الغيبة أيضاً.

الرازي:.. أنه تعالى لما أعلم إبراهيم7 أنّ في ذريته من يكون ظالماً عاصياً، لا جرم سأل هاهنا أن يجعل بعض ذرّيته أمّةً مسلمةً، ثم طلب منه أن يوفق أولئك العُصَاة للتوبة، فقال: (وَتُبْ علَيْنَا). أي على المُذْنبين من ذرّيتنا، والأب المشفق على ولده إذا أذنب ولده، فاعتذر الوالد عنه، فقد يقول: أجرمت وعصيت فاقبل عُذْري، ويكون مراده: أنَّ ولدي أذنب فاقبل عُذْره؛ لأنَّ ولد الإنسان يجري مجرى نفسه، والذي يقوي هذا التأويل وجوه: الأول: ما حكى الله تعالى في سورة «إبراهيم» أنه قال: (وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلأَصْنَامَ \* رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ). سورة إبراهيم: 35-36. فيحتمل أن يكون المعنى: ومن عصاني فإنّك قادر على أن تتوب عليه إن تاب، وتغفر له ما سلف من ذنوبه. الثاني: ذكر أنَّ في قراءة عبد الله: وأرهم مناسكهم وتب عليهم. الثالث: أنه قال عطفاً على هذا: (رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مّنْهُمْ). الرابع: تأولوا قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَـاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـاكُمْ). سورة الأعراف: 11. بجعل خلقه إياه خلقاً لهم إذ كانوا منه، فكذلك لا يبعد أن يكون قوله: (أَرِنَا مَنَاسِكَنَا)، أي أر ذريتنا.[[18]](#footnote-18)

للبحث صلة

**\* \* \***

(المقالة : 3)

شخصيات من الحرمين الشريفين(47)  
عقيل بن أبي طالب الهاشمي (1)

محمد سلیمان

ملخّص البحث:

لعلّي من خلال مقالتي هذه أستطيع أن أنصف وجهاً آخر من وجوه بني هاشم من أبناء أبي طالب رضوان الله تعالى عليه، يحمل نظرةً وحكمةً وعلماً، وشجاعةً وجرأةً في قول الحقّ له أو عليه، ترجح حكمتُه فعلَه، ويسبق عقلُه قولَه، رصينة كلمتُه، دقيقة طرافته، له وقع في مجالسه، يأنس مستمعه له، وإن كان منتقداً له موبخاً لقول صدر منه أو فعل، أو حتى لنسب فيه خدشة أو وصمة عار إن بدر منه ما فيه إساءة للآخر، وبالذات لبني هاشم، فترى عقيلاً يردّه ويزجره، ويُعيده إلى حقيقته بعد أن يُبين له ما فيه من شين وعيب مهما استكبر وطغى... نراه في نقوده واثق الخطوة، سديد القول لا يأبه بسلطة وتجبّر مَن حوله، يُقيم كلمته مع الخصوم، فيردَّ الصاع صاعين، لا يتوقف أو يتردّد لضغط حاجة أو ثقل معيشة ألمّت به، يعرض طلبه عليهم بعزٍّ ومنعة، لا يعتني بما يتقوّله مَن حوله، لا يبالي بما ينطقون، فضلاً عما سيكتبه مَن بعده، لا يبتعد عن قناعته، ولا يحذر من التصريح بها، ولا يجامل في قول ولا فعل، فكلمته يحترمها ويدافع عنها، ولا يُرسلها إلّا في مكانها، يُقيمها ويُعلنها صريحةً لا غبار عليها،... فقد عُرف بفصاحة لسانه، وبجوابه الشديد، والمُسكت، وبسرعة الخاطر، و حضور الجواب...

وختاماً لقولي هذا، فلقد دفعتني للكتابة عنه أمور عديدة، أبرزها أنَّه ابن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه، العمّ الكفيل لرسول الله9 والذابّ عنه، والمخفّف عنه معاناته وآلامه من أذى قومه المشـركين... وبالتالي فهو حقًّا مأوى النبوّة والرسالة..!

ولنشأة عقيل مع إخوته وأخواته في ظلِّ هذا الأب الكبير، وفي أجواء البيت الذي يكفيه شرفاً أنَّه حظي برسول الله9 نشأةً ونبوّةً ودعوةً إلى توحيد الله تعالى وتبليغ رسالته الخاتمة للرسالات والنبوّات..!

\* \* \*

لقد كان عقيل بن أبي طالب كما وصفه الجاحظ:.. بيّن اللسان، سديد الجواب، لا يقوم له أحدٌ، له لسانه، وأدبه ونسبه، وفضل نظراءه بهذه الخصال!.

وكان عقيل رجلاً قد كفّ بصـره، وله بعد لسانه ونسبه وأدبه وجوابه، فلما فضل نظراءه من العلماء بهذه الخصال صار لسانه بها أطول!

فعقيل بلا ريب شخصية تاريخيّة اجتماعيّة، لها حضورها في العديد من مجالس قومه قبل الإسلام وبعده مع بعض رجال السلطة ورجال المجتمع أفراداً وقبائل، وقد لاقت شخصية عقيل العديد من الأحداث في سيرتها وحقيقتها، وكثرت حولها الأخبار المتضادة سلباً وإيجاباً في مضامينها، لكنه لم يكن خائناً، ولم يكن سيئاً، لم يكن سيفاً بيد أعداء الدين وخصوم بني هاشم أبداً، ولم يكن إلّا وجهاً ذا خصوصية، وبالتالي فهو ذو رأي وموقف، يُسمع الخصومَ ما تمليه عليه قناعته، ولطالما كشف زيفهم وأنسابهم، ولم يكن بعيداً عما وقع من أحداث رافقت حياته سواءً أكانت في العهد الجاهلي أم في العهد الإسلامي المبارك...

ولا بدَّ لنا من الإشارة إلى أنَّه حظي بالصحبة المباركة لرسول الله9 بعد إسلامه المختلف عليه في وقته ومكانه، فضلاً عن النسب الشريف الذي ينتمي إليه، القريب من رسول الله9 وهو ابن عمِّه والذي كانت نشأته9 معه ومع بقية إخوته تحت رعاية أبٍ جليل القدر والمعرفة والحكمة، أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، والسيدة الجليلة فاطمة بنت أسد بن هاشم... مما يجعل العلاقة بين رسول الله9 وبينهم علاقةَ نسبٍ ونشأةٍ وتربيةٍ تركت وبلا شك بصماتها عليهم وعلى سيرتهم... فهم جميعاً من بني هاشم؛ شجرة طيبة ونسب كريم، كانوا وكانت مآثرهم ومناقبهم كما وصفهم الجاحظ: ... وبنو هاشم ملح الأرض، وزينة الدنيا، وحلي العالم، والسنام الأضخم، والكاهل الأعظم، ولباب كلّ جوهر كريم، وسرّ كلّ عنصـر شريف، والطينة البيضاء، والمغرس المبارك، والنصاب الوثيق، ومعدن الفهم، وينبوع العلم...!

ولقد ازدادوا بركةً وشرفاً وسموًّا برسول الله9.

يقول ابن هشام: فرسول الله9 أشرف ولد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً من قبل أبيه وأُمّه.

وبلا أدنى ريب أنَّ هذا النسب وذاك الحسب في أشرفيته وأفضليته يحظى بهما أبو طالب وأولاده أيضاً، ويكفيه فخراً أنّه رضوان الله عليه عمُّ رسول الله9 وكفيله وحاميه والمدافع عنه وعن رسالة السماء التي أُنيطت به9 تبليغاً ورحمةً كافةً للناس، فلطالما ذبَّ عنه أعداءه ومناوئيه؛ مستفيداً في تحقيق ذلك من كونه أولاً مؤمناً مقتنعاً بما يقوله ويفعله9 وثانياً مستثمراً منزلته من كونه سيدًا شريفًا ذا مكانة ووجاهة في قومه قريش، فهو من كبار ساداتهم وأبرز عظمائهم، فظلَّ مطاعاً مهيباً، منيعاً عزيزاً فيهم، وفوق هذا لإيمانه بأحقيّة رسول الله9 ورسالته المباركة، وأنَّه لم يأتِ من السماء إلّا بالحقّ والحقّ وحده...

إذن فقد كان السند الواعي والحقيقي لرسول الله9 من كبرياء قريش؛ من بطشها وأذاها اللذين تجسّدا وظهرا منها بعد أن رأت أنَّ دعوة رسول الله9 تُقوّض مصالحها وسلطانها بين القبائل... حتى ترك رحيلُه إلى ربِّه في السنة العاشرة للبعثة النبويّة أي قبل ثلاث سنوات من الهجرة رسولَ الله9 يتحمل ما تنوء بحمله الجبال! خاصةً وقد أعقب رحيلَ عمّه رحيلُ شريكة حياته ونصيرته أُمّ المؤمنين خديجة الكبرى3، فما كاد9 يخفّ حزنه على عمّه رضوان الله عليه حتى فجع بموتها فسمّي عام الحزن!

وهكذا هم بنو هاشم في ذريتهم الصالحة من بعد رسول الله9 كما يذكر الرازي في عداد الأقوال عن تفسير الكوثر بأولاد الرسول9، والقول الثالث: الكوثر: أولاده، قالوا: لأنّ هذه السورة إنّما نزلت ردًّا على مَن عابه عليه السلام بعدم الأولاد، فالمعنى أنّه يعطيه نسلاً يبقون على مرّ الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت:، ثمّ العالم ممتلئ منهم، ولم يبقَ من بني أُميّة في الدنيا أحد يُعبأ به. ثمّ انظر، كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا:، وأمثالهم.

إنَّ عقيل بن أبي طالب لا تنقصه حكمة وعزّة نفس ونطق بالحقّ، فهو وإن جمعته بالخصوم الحاجة والضرورة، لكنه لم يساوم على مبادئه وعلوّ نفسه وحسبه، وقد شهدت له حواراته، وشهدوا له بفصاحة لسانه، وقوّة جوابه المـُسكت لمن يتعرض له. ولكنه ضحية ظروف معيشية صعبة أحاطته، وقد كبر سنُّه وكثرت عياله، واتسعت حاجته، وسخت يده وجادت نفسه، أو أنَّ حالته في لقاء الخصم؛ معاوية ومن هو على شاكلته تشبه حالة غيره من أصحاب الإمام عليٍّ7 الذين وفدوا على معاوية بعد رحيل الإمام7 إلى بارئه؛ إمّا لمصالح يرونها وإمّا درءًا لمفاسد، هذا على القول بأنَّه لم يذهب إلى معاوية في حياة الإمام7 بل بعد وفاته7 كما عليه عدد من الأدلة... وإلّا فإنَّه لم يرحل إلى معاوية خوفاً منه ولا صاغراً، فهو يأبى الضيم والذّل، ولا يخلو قطعاً من شجاعة وصلابة وعزّة نفس، وحواراته وإجاباته ومواجهاته لمعاوية ولجلسائه خير شاهد على ذلك..، فهو ابن أبي طالب، الذي روي عن النبيّ9 أنَّه قال: لو ولد أبو طالب الناس كلَّهم لكانوا شجعاناً!

ولنعم ما قاله كلٌّ من ابن أُمِّ هانئ بنت أبي طالب؛ جعدة بن هبيرة المخزومي، أبرز أولادها، من الطويل مفتخراً:

أبي من بني مخزوم إن كنتَ سائلاً

ومن هاشم أُمّي لخير قبيل

فمن ذا الذي يبهى عليَّ بخاله

كخالي عليٍّ ذي الندى وعقيل؟!

وحسان بن ثابت: ...

فما زال في الإسلام من آل هاشم

دعائمُ عزٍّ لا يزُلن ومفخرُ

همُ جبلُ الإسلام والناس حولهم

رضامٌ إلى طَودٍ يروق ويقهرُ

بهاليلُ منهم جعفر وابن أمّه

عليٌّ، ومنهم أحمدُ المتخيَّرُ

وحمزة والعباس منهم، ومنهمُ

عقيلٌ، وماء العود من حيثُ يُعصرُ

بهم تُفرج اللأواءُ في كلِّ مأزق

عَماس إذاماضاق بالناس مصدرُ

هُمُ أولياءُ الله أنزل حُكمَه

عليهم، وفيهم ذا الكتاب المطهّرُ

و قدامة بن موسى بن قدامة بن مظعون:

وخالي بغاة الخير تعلم أنّه

جدير بقول الحقّ لا يتوعر

وجدي عليٌّ ذوالتقى وابن امّه

عقيل و خالي ذوالجناحين جعفر

فنحن ولاة الخیر في كلّ موطن

إذا ما ونى عنه رجال و قصّروا

لقد تعرّض الرجل لظروف صعبة في حياته، وبعدها لشبهات كثيرة وافتراءآت، وتجاسر بعضهم عليه... صحيح أنه لم تقع له أحداث كبيرة، ولم تسجل له الوقائع مواقف بارزة، ولم تذكر له دوراً يجذب الانتباه والاهتمام، ولا أظنَّ هذا عيباً في الرجل؛ يخدش فيه أو يُساء إليه من خلاله، فهو في سيرته كأكثر الناس في زمانه وفي غير زمانه، قد يكون مشغولاً بوضعه الاجتماعي الذي أملته ظروفه، و بما يهمّه وعائلته وإعالتهم... لكنه مع هذا كان يحظى بمنزلة اجتماعيّة محترمة، فإذا ذُكر يومذاك النسابون وعلم النسب في مجلس كان له منزلة يُشار إليها بين القبائل، يُذكر كواحد منهم... وإذا ما وقعت قريش في منازعة احتكمت إلى أربعة كان عقيل بن أبي طالب واحداً منهم بل أولهم وهم: مخرمة وحويطب بن عبد العزى وأبو جهم بن حذيفة.

إنَّ عقيل بن أبي طالب شخصية لها خصوصياتها، قلّت عنها الأخبار الصحيحة، وإن كثرت فأغلبها قد يكون غير معتبر في أسانيده، ومتونه لا تخلو من تنافٍ واختلاق، ومن النقاش أخذاً وردًّا قبولاً ورفضاً، وبالتالي فهي كأكثر الأخبار التاريخية التي وصف المختصّون أغلبها بعلل عديدة كالتضارب فضلاً عن الضعف والإرسال وجهالة الراوي ..، فإذا ما دققنا النظر التحقيقي فيها فلا يبقى حجر على حجر؛ لهذا اكتفينا بما يخصُّ عقيلاً ببعض الملاحظات أحياناً على ما يرد في متونها وعند الضرورة!

إنَّ بعض الأخبار والأقوال قد يكون ذامًّا قادحاً، متهماً متجاوزاً عليه، ومبالغاً في كونه محبًّا للدنيا، إمّا لطمع في نفسه، وإمّا لكونه فقيراً مدقعاً، أو بأنه ذو عيال كثيرة ويمرُّ في فاقة وعوز، وغير هذا وذاك نجد بعضها مادحاً مدافعاً عنه، فهو رجل وقع بين تاريخ وسيرة قد يكون له دور في صناعتها، وبين أخبار كثيرة ظالمة جعلت منه ضحيّةً كأكثر الناس، نعم لم يكن غنيًّا ولا تاجراً، حاله تشبه حال أكثر مَن حوله، ما أميل إليه أنه إنسان ذو علم بأيام الناس ومعرفة بأحوالهم وأنسابهم، مما يجعله يعرف ما يدور حوله ويُقيّم الرجال، وقد يكون بغضُ بعض أطراف قريش له؛ لأنه يعرف ما تحمل أنسابهم من شين وعيب، وسلوكياتهم من سوء، سبباً فيما شُنَّ عليه من اتهامات وافتراءآت...

فصرتُ أخسَّهم !

وختاماً لكلامنا هذا، لابدَّ من الإشارة إلى أنَّ عقيلاً وهو يُقيّم نفسه، ويضعها في منزلتها دون أن يُبالغ فيها، وقد مرّت به ظروف ومواقف قد لا تتناسب وشأنه ومكانته ونسبه، وكثر مبغضوه فاختلقوا أخباراً ضدَّه، وكتموا ما فيه خير له، حتى صار ضحية ما يُغيّبه الحاجب في التراجم والسير، وما أكثر ضحاياه!

قد صدق حين قال: لا يختر أحدُكم ولداً، فإنّي كنتُ أعزَّ ولد أبي، فصرتُ أخسَّهم!

فعقيل لم يكتم حقيقته، ولم يدّع فضلاً ليس مستحقاً له، بل يعترف ضمناً بفضل إخوته عليه، ولم يبخس درجتهم ومنزلتهم عليه، لقد صدق الرجل فهو أخسّهم أي أقلَّهم حظًّا وأدونهم منزلةً وفضلاً وأثراً، وهو ما أريد توكيده أنَّ الذي ينظر إلى شخصية عقيل، ويريد المقايسة بينها وشخصية أخيه الإمام عليٍّ7، وهو الأفضل بعد رسول  الله9، فإنّه أساء له، ولا يريد انصافه والدفاع عنه، ووضعه في محلّه الذي قُدر له، بل ظلمه وانتقص منه، فعقيل لا يصحُّ أن يُقاس بشخصية لا مثيل لها بعد الرسول9... شخصية غطّت معالمها ومناقبها بدرجات كثيرة على جميع مَن هم حولها، بما فيهم بنو هاشم، وإخوته، وحتى أئمة أهل البيت: وهم الحجج المعصومون المطهرون قد اعترفوا بتفوّقها عليهم علماً وعبادةً وجهاداً..، وأنَّها الأفضل والحجّة عليهم،..!

وحتى لايصحّ أن يُقاس عقيل بأخيه جعفر ذي المقام العظيم، وصاحب الوسام الكبير حين استشهد في غزوة مؤتة؛ إذ عوّضه الله تعالى عن يديه المقطوعتين بجناحين يطير بهما في الجنّة حيث يشاء، فهو (ذوالجناحين) كما لقّبه رسول الله9!

ولا حتى بأخيه طالب إن وجد، وإن صحَّ أنه كان يدعو أن تكون الغلبة لمحمد9 بقوله:

يا ربِّ إمّا خرجوا بطالب

في مِقنب من تلكم المقانب

فاجعلهم المغلوب غير الغالب

والرجل المسلوب غير السالب

فقتله المشركون وهم متوجّهون إلى وقعة بدر الكبرى، وقد أُكره طالب وعقيل وعمّهما العباس وغيرهم من بني هاشم على الخروج إليها.

الولادة:

لعلّه ولد قبل الهجرة النبويّة بأربعة وأربعين عاماً، وقيل قبل الفيل بعشـر سنوات في مكة المكرمة كما إخوته وأخواته ولدوا فيها، وهم جميعاً لأبوين هاشميين، فأبوه أبوطالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي... شيبة بني هاشم، آلت إليه زعامة قريش، وكان سيدها وشيخها، لم يتزوّج كما يبدو من أخباره الصحيحة غير ابنة عمّه السيدة الجليلة الهاشميّة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وهي أُمُّ أولاده عقيل وأخوته وأخواته، والتي حظيت بمنزلة عظيمة عند رسول  الله9 ومن أقواله فيها: «أُمّي بعد أُمّي التي ولدتني».

مثمّناً رعايتها له، شاكراً معروفها معه طيلة سبعة عشر عاماً، فقد كانت تفضله على أولادها الأربعة أيما تفضيل، فتركت في حياته آثاراً طيبة، جعلته يُلبسها قميصه بعد وفاتها، ويضطجع معها في قبرها حتى التفت إليه الصحابة، وقالوا له: ما رأيناك يا رسول الله صنعت هذا! فقال9: «إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، وإنما ألبستها قميصي؛ لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها؛ ليُهوّن عليها!...

ويمكننا القطع أنَّ عقيلاً يُعدُّ هو الولد الأكبر لأبي طالب رضوان الله عليه، لولا ما ذكر من أنَّ له ولداً اسمه طالب، وقد كُني به، فإذا ما غُضَّ النظر عن طالب ـ كما في خبر أو رواية ـ أنه أكبر أولاد أبي طالب. فهم إما ثلاثة إخوة، وعقيل أكبرهم، وأوسطهم جعفر وأصغرهم سنًّا عليٌّ7. وإما أربعة كما في قول أكبرهم طالب، استناداً على رواية الكلبي (ت ٢٠٤هـ) عن أولاد أبي طالب: طالب أكبرهم وعقيل وجعفر وعليّ أصغرهم، والفارق الزمني في الولادة بين كلّ أخ وآخر عشـر سنوات. وهو أمر يثير الاستغراب ...

وأما أخواته فهنَّ: أُمُّ هانئ وجمانة، وفي قول: وأسماء، وريطة، ولربما كانت ولادة فاطمة بنت أسد لبناتها على شاكلة أبنائها، كلّ عشر سنوات، وذلك بولادة كلّ منهن بعد كلّ واحد منهم بخمس سنوات، فتكون ولادة أُمّ هانئ عام 48 قبل الهجرة، وجمانة عام 38 قبل الهجرة، وريطة عام 28 قبل الهجرة، وأسماء إن ثبت أنها ابنته عام 18 قبل الهجرة...

وهناك رواية عن الهيثم بن عدي عن الإمام جعفر بن محمّد7 قوله: «كان بين جعفر وعليّ7 تسع سنين وجعفر أكبرهما، وبين جعفر وعقيل أربع».

فيما هناك رواية ذكرها المسعودي أشار فيها إلى أنّ الفارق الزمني بين عقيل وجعفر سنتان فقط.

وابن الأثير يقول: عقيل أخو عليّ وجعفر لأبويهما وهو أكبرهما؛ وكذا يعدُّ الذهبي عقيلاً أكبر إخوته وآخرهما موتاً.

فالروايات مختلفة، لكنها متفقةٌ على أنَّ عقيلاًـ إذا استُثني طالب المختلف في وجوده ـ هو أسنّ من جعفر، وأنَّ عليًّا7 هو أصغر إخوانه سنًّا وأفضلهم!

كناه:

اشتهر بأنه أبو يزيد إن كان له يزيد، فقد ذكروا له عدّة كنى، منها أنه أبو يزيد، وقيل: إنه ليس له ولدٌ بهذا الاسم، وقيل: كان لعقيل بن أبي طالب من الولد يزيد ـ وبه كان يكنى ـ وسعيد، وأمّهما أمّ سعيد بنت عمرو بن يزيد بن مدلج، من بني  عامر ابن صعصعة.

يقول الذهبي: عقيل بن أبي طالب الهاشمي... وله أولاد: مسلم، ويزيد، وبه كان يكنى،... ولعقيل كنى أخرى غير مشهورة؛ منها أبو فضاعة، وأبو عيسى.[[19]](#footnote-19)

الكفالة:

في موضوع كفالة أولاد أبي طالب، كثرت الأخبار، فقد ذكرت أنَّ قريشاً أصابتها أزمة معيشيّة وصفت بالشدّة، أو أنها أصيبت بالجدب فوقع الغلاء غير المقدور عليه من أغلب الناس، وبما أنَّ أبا طالب كان ذا عيال كثيرة، فنسبت الأخبار إلى أنَّ رسول  الله9 قال لحمزة والعباس وفي رواية للعباس وحده: «إنَّ أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترون من هذه الأزمة، فانطلق بنا نخفف من عياله، فدخلوا عليه وطلبوه بذلك، فقال: إذا تركتم لي عقيلاً فافعلوا ما شئتم»!

وعن ابن هشام: إنّ قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله9 للعبّاس عمّه، وكان من أيسر بني هاشم: يا عبّاس، إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً... فقال العبّاس: نعم، فانطلقا حتّى أتيا أبا طالب فقالا له: إنما نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فـقال أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما... فأخذ الرسول9 عليًّا7، وأخذ العباس جعفراً ولم يزل عند العباس حتى أسلم واستغنى.

وفي رواية؛ فقال رسول الله9 لعمّه العباس ـ وكان من أيسر بني هاشم ـ: «يا أبا الفضل، إنَّ أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه نخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً، فنكفلهما عنه». فقال العباس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى تنكشف عن الناس ما هم فيه. فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً، فاصنعا ما شئتما!

فأخذ رسول الله9 عليًّا7 وعمره ست سنين فضمّه إليه، وأخذ العباس جعفراً، فضمّه إليه، فلم يزل عليٌّ7 مع رسول الله9 حتى بعثه الله نبيًّا، فاتَّبعه وصدقه. ولم يزل جعفر مع العباس حتى أسلم، واستغنى عنه.

وفي رواية أخرى أنّ عقيلاً كان من حصّة العباس. وفي خبر ٍ كان طالب من حصّته.

ولعلّه إن صحّت هذه الأخبار، وهناك مثلها، أبقى عقيلاً عنده لحاجته إليه، لا لأنه كان يفضله على بقية أولاده فهو فعلاً رجل في قوّة شبابه ونشاطه؛ حتى ذكرت الأخبار أنه في صفاته البدنيّة عرف بقوّته، واستمرت معه وإن عمّر طويلاً، فقد كان قويَّ الجسم، شديد البنية، شُوهد مرّةً وهو شيخ كبير يحمل دلو ماء كبيراً!

هذا وكان عمرُ طالب وقت هذه الكفالة لا يقلُّ عن ست وثلاثين سنة. وأما عقيل فكان عمره خمسة وعشرين عاماً أو يزيد قليلاً، وجعفر فكان عمره لا يقلّ عن ستة عشر عاماً، فأيّ عيال هؤلاء وهم رجال يستطيعون أن يجدّوا ليُوفّروا لقمة العيش؟! نعم قد يكونون في حاجة، راح يسدّها عنهم، وأيضاً بحكم مسؤوليته وزعامته التي تحتاج إلى الإنفاق خاصة موضوع سقاية الحاج، وقد كلفته كثيراً... فقد كانت السقاية قبل الإسلام وتشمل الرفادة أيضاً ـ وهي إطعام الحاج ـ إلى هاشم بن عبدمناف، وفيه يقول الشاعر:

عمرو العلى هشم الثريد لقومه

و رجال مکة مسنتون عجاف

وبعده صارت رفادة وسقاية الحاج أيام الموسم لشيبة الحمد عبدالمطلب بن هاشم، وبعده صارت بيد ابنه شيخ الأباطح أبي طالب، ومنه انتقلت لأخيه العباس؛ لسبب رواه البلاذري وابن سلام وغيرهما: وهو أنّ أبا طالب كان يستدين لسقاية الحاج متى أعوزه الحال، فقال لأخيه العباس ـ وكان امرءاً تاجراً أيسـر بني هاشم وأكثرهم مالاً ـ: قد رأيت ما دخل عليَّ وقد حضر الموسم، ولابدّ لهذه السقاية من أن تقام للحاج، فأسلفني عشرة آلاف درهم، فأسلفه العباس إياها، فقام أبوطالب تلكم السنة بها وبما كان عنده. فلمّا كانت السنة الثانية ووافى الموسم قال لأخيه العباس: يا أخي إنّ الموسم قد حضر ولابدّ للسقاية من أن تقام، فأسلفني أربعة عشر ألف درهم، فقال: إني أسلفتك عام أول عشرة آلاف درهم، ورجوت أن لا يأتي عليك الموسم حتى تؤديها فعجزت عنها وأنت تطلب العام أكثر منها، وترجو أن لا يأتي عليك الموسم حتى تؤديها، فأنت عنها أعجز اليوم، ههنا أمر لك فيه فرج، أدفع إليك هذه الأربعة عشر ألف درهم، فإن جاء الموسم من قابل ولم توفِ حقّي الأول وهذا، فأمر الرفادة والسقاية إليّ دونك، فأقوم بها وأكفيك هذه المؤنة إذ عجزت عنها، فأجابه أبوطالب إلى ذلك.

و روى ابن سلام: أنّ العباس قال: ليحضر هذا الأمر بنو فاطمة، ولا أريد سائر بني هاشم، ففعل أبو طالب، وأسلفه العباس المال بمحضر​ٍ منهم ورضًى.

فلمّا كان الموسم الثالث من قابل لم يكن بدٌّ من إقامة الرفادة والسقاية، إزداد أبوطالب عجزاً وضعفاً، ولم تمكنه النفقة وأعدم حتى أخذ كلّ رجل من بني هاشم ولداً من أولاده يحمل عنه مؤونته. فقال العباس لأخيه أبي طالب: قد أفد الحجّ وليس إلى دفع حقّي من وجه، وأنت لا تقدر أن تقيم.

قال البلاذري: فصارت الرفادة والسقاية إلى العباس، وأبرأ أبا طالب ممّا له عليه...

وبما أننا ذكرنا السقاية، فمن المناسب أن نشير إلى أنَّ عقيلاً لم يكن بعيداً عن هذه الوظيفة، وما تكلّفه من المال، وهي تُعدُّ منقبةً كبيرةً، لطالما كان يتفاخر بها رجال تلك البيئة في مكة وأطرافها، ويسعون لها بكلّ رغبة وإخلاص وتضحية بالمال والجهد..، ومع كون عقيل كما وصفته بعض الأخبار فقيراً وذا عيال، فقد كان من سُقاة حجّاج البيت الحرام، روى ابن سعد عن ابن جريج عن عطاء (عطاء بن أبي رباح) أنه قال: رأيت عقيل بن أبي طالب شيخاً كبيراً بعل العرب، أو يفتل الغرب، قال: وكان عليها غروب ودلاء، قال: ورأيت رجالاً منهم بعد ما معهم مولى، في الأرض يلفون أرديتهم، فينزعون في القميص حتّى أنّ أسافل قميصهم لمبتلة بالماء، فينزعون قبل الحجّ وأيام منى وبعده. وكان واحداً من الذين حفروا آباراً في الجاهليّة بعد زمزم؛ بئر في دار محمد بن يوسف البيضاء؛ حفرها عقيل بن أبي طالب، ويقال: حفرها عبد شمس بن عبد مناف، ونثلها عقيل بن أبي طالب يُقال لها: الطوى. كما ذكر الأزرقي.

الحبُّ لعقيل !

وردت أخبار في هذا الحبّ، فقد استند الذاهبون إلى أنّ أبا طالب كان يحبّ عقيلاً حبًّا شديداً بأقوال؛ منها: قول أبي طالب لرسول الله9 ولعمّه العباس بن عبد المطلب: «إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما»!

فعن ابن سعد عن أبي إسحاق أنَّ رسول الله9 قال لعقيل بن أبي طالب: «يا أبا يزيد، إنّي أحبّك حبَّين: حبًّا لقرابتك، وحبًّا لما كنت أعلم من حبِّ عمّي إياك». «إنّي لأحبّك يا عقيل حبّين، حبًّا لك وحبًّا لحبّ أبي طالب لك»!

وفي رواية عن عليٍّ7 أنَّ النبيَّ9 قال: «أُعطي لكلّ نبيٍّ سبعة رفقاء نجباء، وأُعطيتُ أنا أربعة عشر». فذكر منهم عقيلاً.

وفي خبرٍ:.. وقد أطعمه رسول الله9 بخيبر مئة وأربعين وسقاً كلّ سنة...

وقد روى الصدوق بإسناده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال عليٌّ7 لرسول الله9: «يا رسول الله إنّك لتحبّ عقيلاً؟ قال9: إي والله، إنّي لأحبّه حبّين؛ حبًّا له، وحبًّا لحبّ أبي طالب له، وإنَّ ولده لمقتول في محبّة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلّي عليه الملائكة المقربون، ثم بكى رسول الله9 حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي»!

عن عبد الله بن عقيل، عن أبيه، عن جدّه عقيل بن أبي طالب... فقال رسول الله9: «... يا عقيل والله إنّي لأحبّك لخصلتين: لقرابتك، ولحبّ أبي طالب إياك. وكان أحبّهم إلى أبي طالب وأما أنت يا جعفر فإنَّ خلقك يشبه خلقي، وأنت يا عليُّ فأنت مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبيّ بعدي».

وهناك حديث نذكره وإن وصف بالغرابة، وهذا نصّه:

نقل الصدوق بإسناده، قال: قال رسول الله9 لعليّ وفاطمة والحسن والحسين: والعباس بن عبد المطلب وعقيل: «أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم».

قال مصنف هذا الكتاب رحمه الله: ذكر عقيل وعباس غريب في هذا الحديث لم أسمعه عن محمد بن عمر الجعابي في هذا لحديث.

قال الشيخ التستري: إنه وإن كان حديثاً غريباً، كما قال الصدوق، إلّا أنَّ مضمونه صحيح؛ لأنَّ العباس وعقيلاً كانا بعد النبيّ9 مع أميرالمؤمنين7، فالمحارب لهما في الحقيقة محارب لأمير المؤمنين7.

وقفتان نافعتان:

الأولى: تتعلق بإيمان أبي طالب، وهو ما ذكره الشيخ الأميني في كتاب الغدير: عن رسول الله9 أنه قال لعقيل بن أبي طالب: «يا أبا يزيد! إني أحبّك حبّين حبًّا لقرابتك مني، وحبًّا لما كنت أعلم من حبّ عمّي أبي طالب إياك».

أخرجه أبو عمر في الاستيعاب 2: 509، والبغوي، والطبراني كما في ذخاير العقبی: 222، وتاريخ الخميس 1: 163، وعماد الدين يحيى العامري في بهجة المحافل 1: 327، وذكره والهيثمي في مجمع الزوائد 9: 273 وقال: رجاله ثقات.

ثمَّ بعد أن ذكر الحديث ومصادره يقول: هذا شاهد صدق على أنَّ النبيَّ9 كان يعتقد إيمان عمّه، وإلّا فما قيمة حبّ كافر لأي أحد حتى يكون سبباً لحبّه9 أولاده.

وقول رسول الله9 هذا لعقيل كان بعد إسلامه كما نصّ عليه الإمام العامري في بهجة المحافل، وقال: وفيها إسلام عقيل بن أبي طالب الهاشمي، ولما أسلم قال له النبيُّ9: يا أبا يزيد... إلخ.

وقال جمال الدين الأشخر اليمني في شرح البهجة عند شرح الحديث: ومن شأن المحبّ محبّة حبيب الحبيب. ألا تعجب من حبّ رسول الله9 أبا طالب إن لم يك معتنقاً لدينه - العياذ بالله - ومن إعرابه عنه بعد وفاته. ومن حبّه عقيلا ً لحبّ أبيه إياه؟!!

هذه الأولى للشيخ الأميني.

وأما الثانية، فأقول بإيجاز: لابدَّ من عزل موضوع الإمام عليٍّ7، فكفالة رسول الله9 له لا علاقة لها بما يصفونه بالأزمة، وقعت أو لم تقع، وإنما هو كما نسب إلى النبيّ9 أنه قال: «اخترتُ من اختار الله لي عليكم عليًّا».

فهو في كفالته منذ كان في أيامه الأولى، بل في يومه الأول بدليل قول عليٍّ7:

«وقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُول الله صلّى الله عليه وآله، بالْقَرَابَةِ الْقَريبَةِ والْمـَنْزلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَني فِي حِجْره وأنا ولَدٌ يَضُمُّني إلَى صَدْره، ويَكْنُفُني فِي فِرَاشِه ويُمِسُّني جَسَدَه، ويُشِمُّني عَرْفَه، وكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنيه... ولَقَدْ كُنْتُ أتَّبعُه اتِّبَاعَ الْفَصِيل أثَرَ أمِّه، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أخْلاقِه عَلَماً، ويَأمُرُني بالاقْتِدَاءِ به، ولَقَدْ كَانَ يُجَاورُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بحِرَاءَ، فَأرَاه ولا يَرَاه غَيْري، ولَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلام، غَيْرَ رَسُول الله صلّى الله عليه وآله وخَدِيجَةَ وأنَا ثَالِثُهُمَا، أرَى نُورَ الْوَحْي والرِّسَالَةِ وأشُمُّ ريحَ النُّبُوَّةِ...».[[20]](#footnote-20)

أزواجه و ذريته:

يبدو من خلال الأخبار أنه تزوج بأكثر من واحدة، فهو رجل كان مزواجاً، منهنَّ: أمّ سعيد من بني عامر بن صعصعة، وأنجبت له يزيداً وقد كُني به، وسعيداً. وأمّ البنين بنت الثغر بن كعب بن عامر.

وأنَّ واحدةً من زوجاته هي فاطمة بنت عتبة بن ربيعة، وعقيل هو رابع زوج لها، وهي القائلة:.. يا بني هاشم، لا يحبّكم قلبي أبداً، أين عمّي؟ أين أخي؟...

ولا غرابة في قولها وموقفها هذا، فهي أخت هند بنت عتبة، زوج أبي سفيان بن حرب ووالدة معاوية، وقد عرفت بآكلة الأكباد، والصحيح لائكة الأكباد على إثر أخذها لكبد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب في وقعة اُحد، بعد أن كمن وحشي له خلف صخرة، وزرقه بالمزراق فأصابه فسقط شهيداً، فما كان من هند إلّا أن بقرت عن كبد حمزة فلاكتها، فلم تستطع أن تأكلها، أو فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها؛ ثم علت على صخرة مشـرفة، فصـرخت بأعلى صوتها، فقالت:

نحن جزيناكم بيوم بدر

والحرب بعد الحرب ذات سعر

ما كان عن عتبة لي من صبر

ولا أخي وعمه بكري

شفيت نفسي وقضيت نذري

شفيت وحشي غليل صدري

فشكر وحشي على عمري

حتى ترم أعظمي في قبري.

وقد نسب إلى رسول الله9 أنه قال: ‏أ أكلتْ منه شيئاً؟ قالوا: لا. قال: ما كان الله ليدخل شيئاً من‏ ‏حمزة‏ ‏النار!

وقد سجلوا أنَّ فاطمة بنت عتبة، لما تقدّم عقيل لها، اشترطت عليه، قائلةً: تضمن لي وأنفق عليك. أي أن لا يطلقها وتنفق عليه، فقد كانت كثيرة المال... ومع هذا ظلّت الخلافات بينهما كثيرة، ولطالما توسط بينهما عبد الله بن عباس ومعاوية بن أبي سفيان بطلب من عثمان بن عفان لحلّها، حتى قالت له يوماً: يا بني هاشم، لا يحبّكم قلبي أبداً، أين عمّي؟ أين أخي؟ كأنَّ أعناقهم أباريق الفضة، ترى آنافهم قبل شفاهم.

قال لها عقيل: إذا دخلت جهنم، فخذي على شمالك.

وفي خبر​ٍ؛ أن عقيل بن أبي طالب دخل عليها، فقالت له: أين عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة؟ فيسكت عنها، حتى إذا دخل عليها يوماً وهو برم، قالت: أين عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة؟

قال: عن يسارك في النار إذا دخلت، فشدّت عليها ثيابها، فجاءت عثمان، فذكرت ذلك له، فضحك... أو أنها شكته إلى عثمان، فأراد عبد الله بن عباس أن يفرق بينهما، فقالت: والله ما أريد بأبي يزيد بدلاً. فانصرفا.[[21]](#footnote-21)

(أما ذريته:) فقد ذكروا أنه رزق بثمانية عشر ولداً، ولد مسلماً وعبد الله الأصغر وعبيد الله وأمّ عبد الله ومحمداً ورملة لأم ولد يقال لها: حلية، وعبد الرحمان وحمزة وعليًّا وجعفر الأصغر، وعثمان وزينب، وفاطمة تزوجها علي يزيد بن ركانة من بني عبدالمطلب بن عبد مناف. وفاطمة وأسماء تزوجها عمر بن علي بن أبي طالب وأمّ هانئ لأمّهات شتى. ويزيد وسعيد، أمهما أم عمر بنت عمر الكلابية. وأبا سعيد وجعفر الأكبر وعبد الله الأكبر، أمّهم أمّ البنين كلابية. وبعضهم يقول: أمّ أنيس. وقد انحصرعقبه بأحد أبنائه، ويُقال: إنَّ ابنه محمداً ترك عقباً له وهو عبد الله وحفطت فيه ذرية عقيل دون غيره من الذكور...

وفي كربلاء:

وبما أننا ذكرنا ذريته، وقد حظي عدد منها بالشهادة في وقعة كربلاء في العاشر من محرم سنة 61 هجرية، وقبلهم بقليل استشهد أخوهم الأفضل مسلم في الكوفة، فكان أول من استشهد من أصحاب الإمام الحسين7... فمن المناسب أن نستعجل ذكرهم في واقعة الطف في كربلاء... فنقول: إن لم يُوفق عقيل بن أبي طالب - على قول - أن يكون جنديًّا فيما شهده الإمامُ عليٌّ7 وجنده ومريدوه من وقائع في قتاله للناكثين في معركة الجمل في البصرة، والقاسطين في صفين، والمارقين في النهروان.

يقول ابن أبي الحديد وهو يترجم لعقيل: ولم يشهد مع أخيه أمير المؤمنين7 شيئاً من حروبه أيام خلافته، وعرض نفسه وولده عليه، فأعفاه، ولم يكلفه حضور الحرب.

إلّا أنَّ ابن عبد البرّ يذكر أنَّ عقيلاً ممن شهد هذه الوقائع حيث يقول:

شهد عبدالله بن عباس مع علي رضي اللَهُ عَنْهُمَا الجمل وصفين والنهروان، وشهد معه الْحَسَن والحسين وَمُحَمَّد بنوه، وعبد الله وقثم ابنا الْعَبَّاس، وَمحمَّد وعبد الله وعون بنوجعْفَر بْن أبِي طالب، والمغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وعقيل ابن أبي طالب، وعبد الله بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب.

فيما هناك فقرة تضمّنها جواب للإمام عليٍّ7 بعثه إلى عقيل، يظهر منه إعفاءه من ذلك أي من القتال معه: وهذا نصُّ كتابه لأخيه أمير المؤمنين7، وجواب الإمام7 عنه... فاكتب إليّ يا ابن أمّي برأيك، فإن كنت الموت تريد، تحملت إليك ببني أخيك، وولد أبيك، فعشنا معك ما عشت، ومتنا معك إذا مت، فوالله ما أحبّ أن أبقى في الدنيا بعدك فواقاً. وأقسم بالأعزّ الأجلّ، إنَّ عيشاً نعيشه بعدك في الحياة لغير هنئ ولامرئ ولا نجيع. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما نصُّ جوابه7 فهو:.. «وأما ما عرضت به من مسيرك إليَّ بنيك وبني أبيك، فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً محموداً، فوالله ما أحبّ أن تهلكوا معي إن هلكت، ولا تحسبن ابن أمّك ولو أسلمه الناس متخشعاً ولا متضرعاً، إنه لكما قال أخو بني سليم:

فإن تسأليني كيف أنت فإنني

صبور على ريب الزمان صليب

يعزُّ عليَّ أن تري بي كآبة

فيشمت عاد أو يساء حبيب!

إن لم يوفق، فقد وفّق عدد ليس بالقليل من أبنائه للحضور في كربلاء والتشرف بوسام الشهادة بين يدي سيد الشهداء ابن عمّهم الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب سلام الله عليهما، ورضي الله عنهم وعمّن كان معه من الشهداء من أهل بيته وأنصاره.

يقول البلاذري: فقتل من بني عقيل مع الحسين7 جعفرالأكبر ومسلم، وعبد الله الأكبر، وعبد الرحمان، ومحمد بن عقيل. ويُقال: إنَّ الذين قتلوا مع الحسين ستة، قال الشاعر:

عين جودي بعبرة وعويل

واندبي إن ندبت آل الرسول

تسعة منهم لصلب عَليّ

قد أبيدوا وستة لعقيل

ويروى وخمسة لعقيل. وسبعة. وتسعة...

هذا وكان أبرزهم وأهمّهم مسلم، قال عنه ابن حبّان: مسلم بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي كنيته أبو داود، وكان أشبه ولد عبد المطلب بالنبيِّ9، أدرك جماعة من أصحاب النبيِّ9.

وعن البخاري... عمّن سمع أبا هريرة يقول: ما رأيتُ من ولد عبد المطلب أشبه بالنبيِّ9 من مسلم بن عقيل!

وقد عرف بكونه قويَّاً مقاتلاً شجاعاً، ومما ذُكر عنه أنه أسد ضرغام، وسيف حسام، في كفّ بطل همام، من آل خير الأنام!

وفي وصف آخر: كان مثل الأسد... كان من قوّته أنه يأخذ الرجل بيده، فيرمي به فوق البيت!

وكان إذا حمل ارتجز:

هو الموت فاصنع ويك ما أنت صانع

فأنت لكأس الموت لا شك جارع

فصبر لأمر الله جلَّ جلالُه

فحكم قضاء الله في الخلق ذائع.

وكان مناصراً لعمّه أمير المؤمنين عليّ7، ففي وقعة صفين كان على ميمنة جيش الإمام7 إلى جنب الإمامين الحسن والحسين8، وعبد الله بن جعفر في قول.

ابن شهر آشوب: فلما استهل صفر سنة سبع وثلاثين أمر عليٌّ7، فنودي بالشام والاعذار والانذار، ثم عبئ عسكره فجعل على ميمنته الحسن والحسين8، وعبد الله بن جعفر ومسلم بن عقيل، وعلى ميسـرته محمد بن الحنفية ومحمد ابن أبي بكر وهاشم بن عتبة المرقال،...

ولم يذكره نصـر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين في قتال الإمام عليٍّ7 للقاسطين، ولا الشيخ المفيد في كتابه الجمل في قتال الإمام عليٍّ7 للناكثين.

وأيضاً كان ناصراً لابن عمَّه الإمام الحسين7 الذي أرسله سنة ستين هجرية في مهمّة إلى الكوفة..، وقاتل جند ابن زياد وهو يردّد قائلاً:

أقسمتُ لا اُقتل إلّا حرًّا

وإن رأيتُ الموت شيئاً نُكرا ...

حتى اُثخن بالجراح وعجز عن القتال، فضرب عنقه، واستشهد في التاسع من ذي الحجّة من السنة المذكورة، قبل واقعة كربلاء في العاشر من المحرم سنة61هجرية، فكان أول شهيد في حركة الإمام الحسين7 ومشروعه في الإصلاح... وله سلام الله عليه ضريح يُزار في مسجد الكوفة، أو بالجوار الملاصق للمسجد.[[22]](#footnote-22)

حصار الشِّعب:

شعب أبي طالب، وفي أصله كان ملكاً لعبد المطلب، ولأنه ضمَّ دور بني هاشم ومنازلهم عرف بشعب بني هاشم، ويُقال: إنه يعرف اليوم بشعب عليٍّ وبشعب أبي يوسف. هذا من حيث الاسم، وأما أصل كلمة شِعب بكسر الشين فهو ما انفرج من الأرض بين جبلين، أو هو الفجوة أو الوادي بينهما.

وفعلاً هو وإن وقع بمحاذاة أكبر جبال مكة المكرمة وهو أبو قبيس، فهو بين هذا الجبل وجبل الخندمة، بالقرب من المسجد الحرام خلف الصفا والمروة.

في السنة السادسة من البعثة النبوية المباركة، ولمدّة ثلاث سنوات، حاصر زعماء الشرك في مكة رسول الله9 ومَن معه من بني هاشم في هذا الشعب، فضلاً عن مقاطعتهم بيعاً وشراءً وزواجاً و لا معاشرة معهم ولا مع مَن أسلم، بل ويدافعون عن كلّ من يُعاديهم، ويحرضون على النيل منهم،... وقد باءت جميع محاولات ومساعي قريش التآمرية هذه بالفشل الذريع بفضل من الله تعالى ورحمة بالمؤمنين!

يبغي من ذلك مشركو قريش لا فقط التضييق على رسول الله9 وبني هاشم ومنهم عقيل بن أبي طالب في الشعب المذكور، وعلى بقية المسلمين، بل أكثر وأخطر من ذلك، وحتى نتيقن أهداف قريش من فرض الحصار عليهم، والاضرار بهم، نكتفي بقراءة كتاب الإمام عليّ7 لمعاوية بن أبي سفيان، الذي يقول فيه:

«فأراد قومُنا قتلَ نبيّنا، واجتياح أصلنا، وهموا بنا الهموم، وفعلوا بنا الأفاعيل، ومنعونا العذب، وأحلسونا الخوف، واضطرونا إلى جبل وعر، وأوقدوا لنا نار الحرب! فعزم الله لنا على الذبّ عن حوزته، والرمي من وراء حومته، مؤمنُنا يبغي بذلك الأجر، وكافرنا يحامى عن الأصل، ومَن أسلم من قريش، خلوٌ ممّا نحن فيه، بحلف يمنعه، أو عشيرة تقوم دونه، فهو من القتل بمكان أمن. وكان رسول الله9 إذا احمر البأس، وأحجم الناس، قدم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حرَّ السيوف والأسنة، فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر، وقتل حمزة يوم أحد، وقتل جعفر يوم مؤتة، وأراد مَن لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة، ولكن آجالهم عجلت، ومنيته أخرت!...».

وفي تفسير قوله7: «مؤمننا يبغي بذلك الأجر، وكافرنا يحامى عن الأصل، ومَن أسلم من قريش خلوٌ ممّا نحن فيه لحلف يمنعه، أو عشيرة تقوم دونه، فهم من القتل بمكان أمن».

يقول ابن أبي الحديد: إنَّ بني هاشم لما حُصِروا في الشِّعب بعد أن منعوا رسول الله9 من قريش، كانوا صنفين مسلمين وكفاراً، فكان عليٌّ7 وحمزة بن عبد المطلب مسلمين. واختلف في جعفر بن أبي طالب هل حُصِر في الشعب معهم أم لا؟ فقيل: حُصـِر في الشعب معهم، وقيل: بل كان قد هاجر إلى الحبشة، ولم يشهد حِصَار الشعب، وهذا هو القول الأصحّ.

وكان من المسلمين المحصورين في الشعب مع بني هاشم عُبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، وهو وإن لم يكن من بني هاشم إلّا إنه يجرى مجراهم؛ لأنَّ بني المطلب وبنى هاشم كانوا يداً واحدةً، لم يفترقوا في جاهلية ولا إسلام.  
وكان العباس رحمه الله في حِصَار الشِّعب معهم، إلّا أنه كان على دين قومه، وكذلك عقيل بن أبي طالب، وطالب بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وابنه الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب وكان شديداً على رسول الله9، يُبغضه ويَهجوه بالأشعار، إلّا أنه كان لا يرضى بقتله، ولا يقارّ قريشاً في دمه، محافظةً على النسب وكان سَيّد المحصورين في الشعب ورئيسهم وشيخهم أبو طالب بن عبد المطلب، وهو الكافل والمحامي.

وقد روي أنَّ رسول الله9 قال: «إنَّ بني المطلب لم يفارقوني في الجاهلية والإسلام؛ دخلوا معنا في الشِّعب، إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيءٌ واحدٌ»! وشبّك رسول الله9 بين أصابعه.[[23]](#footnote-23)

علم الأنساب:

علم سجل وجوداً كبيراً في حياة العرب، حين كانت الأنساب في حياتهم الدنيا مورد تفاخرهم وتكاثرهم.

(فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَآءَلُونَ).

فهي منقطعة في حياتهم الأُخرويّة إلّا ما نُسب إلى رسول الله9 أنه قال: «كلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلّا سبـبي ونسبي».

وإن كانوا لم يدونوا أنسابهم في مرحلة الجاهليّة، فالتدوين ظهر في دولتي بني أُميّة وبني العباس، لكنهم اكتفوا بتناقلها عبر أقوالهم وأشعارهم وأخبارهم، وتحدث التاريخ عن بروز شخصيات نسّابة حفظت أنساب قبائلهم وقبائل الآخرين، وكان عقيل بن أبي طالب من أولئك النسابين المعدودين، فقد كان واحداً من أربعة أو خمسة، يجيدون هذا العلم، بل قد يكون أعلمهم، تُراجعهم قبائل قريش في أنسابها، فعقيل كان «عالماً بأنساب قريش ومآثرها ومثالبها، وكان سريع الجواب المسكت». بل لم تكتفِ قريش منهم في معرفة النسب وما يحمله من مفاخر ومثالب، بل راحت تحتكم إليهم في منازعاتها، حتى عُدَّ عقيل واحداً من جملة قضاة قريش وحكّامها في الجاهليّة.

فعن ابن عباس: كان في قريش أربعة يتحاكم إليهم، ويوقف عِنْدَ قولهم، يعني في علم النسب: عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل الزُّهريّ، وأبوجهم بن حذيفة العدوي، وحويطب بن عبد العزى العامري.

وعنه قال: كان في قريش أربعة يتنافر الناس إليهم ويتحاكمون عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل الزهري وأبو جهم بن حذيفة العدوي، وحويطب بن عبد العزى العامري، وكان الثلاثة يعدّون محاسن الرجل إذا أتاهم، فإذا كان أكثر محاسن نفروه على صاحبه، وكان عقيل يعدّ المساوي فأيما كان أكثر مساوي تركه، فيقول الرجل: وددتُ أني لم آته، أظهر من مساوي ما لم يكن الناس يعلمون.

وأيضاً جبير بن مطعم الذي كان مع عقيل ضمّتهما مع مخرمة بن نوفل لجنةٌ ثلاثيةٌ، أمر بها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بعد أن توسعت الفتوحات، وكثرت الغنائم، وتضاعف عدد المقاتلين، ورعايةً للشهداء، وتنظيماً لإدارة الدولة بشكل عام، وهو أمر يدعو إلى ضبط الأمور والأسماء وأنسابها، ولا تختلط حين يتمُّ توزيع عطاء الدولة وغنائم الحروب والغزوات، وأيضاً الميراث...

فعن ابن سعد: إنّ عمر بن الخطاب استشار المسلمين في تدوين الدواوين.

فقال له عليّ بن أبي طالب7: «تقسم كلّ سنة ما اجتمع إليك من مال، ولا تمسك منه شيئاً».

وقال عثمان بن عفان: أرى مالاً كثيراً يسع الناس، وإنْ لم يُحصوا حتّى يعرف من أخذ ممّن لا يأخذ، خشيت أن ينتشر الأمر.

فقال الوليد بن هشام بن المغيرة: يا أمير المؤمنين قد جئتُ الشام، فرأيتُ ملوكها قد دوّنوا ديواناً، وجنّدوا جنوداً، وفرضوا لهم أرزاقاً. فأخذ بقوله؛ فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا نسّاب قريش وقال: اكتبوا الناس على منازلهم، فكتبوا، فبدأوا ببني هاشم، ثمّ اتّبعوهم أبا بكر وقومه، ثمّ عمر وقومه، على ترتيب الخلافة، فلمّا نظر إليه عمر، قال: وددت أنه كان هكذا، لكن أبدأ (ابدؤا) بقرابة النبيّ9، الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله.

وقد شهدوا بقدرته في هذا الباب، وهذه مختار من أقوالهم أنه كان: «من نسّاب قريش وعلمائها». «ناسباً عالماً بالأمهات، بيّن اللسان سديد الجواب...». «نسّابة عالماً بأنساب العرب وقريش»، «عالماً بنسب قريش»، «عالماً بالنسب»، «أعلم قريش بأيامها ومآثرها ومثالبها وأنسابها، صحابي فصيح اللسان سديد الجواب...»، «أنسب قريش وأعلمها بأيامها، ولكنه كان مبغضاً إليهم؛ لأنّه كان يعدّ مساوئهم».

يقول البلاذري: وكان من نساب قريش وعلمائها بها، وكان سريع الجواب لا يبالي من بده به؛ أي كان حاضر الجواب يجيب ارتجالاً كلّ من يسأله، ولو كان أعظم أهل الدنيا، بلا حشمة وهيبة له.

وأكثر ابن عبد البرّ القول عنه: وكان عقيل أنسب قريش وأعلمهم بأيامها، وقال: ولكنه كان مبغضًا إليهم؛ لأنه كان يعد مساويهم. قال: وكانت له طنفسة تطرح له في مسجد رسول الله9 ويصلّي عليها، ويجتمع إليه في علم النسب وأيام العرب، وكان أسرع الناس جوابًا واحضرهم مراجعةً في القول وأبلغهم في ذلك.

هذا وعن ابن عباس قال: كان في قريش أربعة يتحاكم إليهم، ويوقف عند قولهم يعني في علم النسب: عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل الزهري، وأبو جهم ابن حذيفة العدوي، وحويطب بن عبد العزى العامري. زاد غيره: كان عقيل أكثرهم ذكرًا لمثالب قريش فعادوه لذلك، وقالوا فيه بالباطل ونسبوه إلى الحمق، واختلقوا عليه أحاديث مزورة،...

وكذا ابن أبي الحديد: كان يقال: إنَّ في قريش أربعة يتحاكم إليهم في علم النسب وأيام قريش ويرجع إلى قولهم عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل الزهري وأبو الجهم بن حذيفة العدوي وحويطب بن عبد العزى العامري.

وبمثل ذلك قال ابن الأثير مضيفاً: وكان سريع الجواب المسكت للخصم، وله فيه أشياء حسنة لا نطول بذكرها، وكان أعلم قريش بالنسب، وأعلمهم بأيامها، ولكنه كان مبغضًا إليهم؛ لأنه كان يعد مساويهم...

طِنفِستُه:

و روي أنّ لعقيل طِنفِسةً أي فراشاً؛ يطرح في المسجد النبوي الشريف، وتأخذ عنه الناس علم النسب، فيأتي كلّ من له اهتمام بالنسب إلى المسجد النبويّ حيث طِنفِستُه التي غدت علامةً على وقت صلاة الجمعة: ورد أنَّ «... طِنفِسة لِعقيل بن أبي طالب يوم الجُمعة تُطرحُ إلى جدار المَسجد الغربى، فإذا غَشـِيَ الطِّنفسة كلها ظلُّ الْجدَار، خرج عمر بْن الْخطاب وصلى الجمعة...

و ورد عن أهل المدينة قولهم: «وقت الجمعة حيث يبلغ الشمس طنفسة أبي يزيد. أي: فراشه.

ابن أبي الحديد؛ بعد أن يذكر عن عقيل التالي: وكان أنسب قريش وأعلمهم بأيامها، وكان مبغضاً إليهم؛ لأنه كان يعدُّ مساوئهم. يقول: وكانت له طنفسة تطرح في مسجد رسول الله9 فيصلى عليها، ويجتمع إليه الناس في علم النسب وأيام العرب، وكان حينئذ قد ذهب بصره، وكان أسرع الناس جواباً وأشدّهم عارضة...

من هذا يتضح أنَّ علمه بالأنساب، لا يختصّ بقريش بل بكلّ العرب، ولا يختصّ بالرجال بل حتى بالنساء و... وما يترتب على ذلك من ذكر ٍ لمثالب بعض الناس، سبّب له مشاكل، من ذلك بغض قريش له، وكذا إبعاده من المدينة المنورة إلى الطائف، فقد ذكر البلاذري عن المدائني عن حسان بن عبد الحميد عن أبيه قوله: إنّ عقيل بن أبي طالب، وأبا الجهم بن حذيفة العدوي ومخرمة بن نوفل الزهري اتّخذوا مجلساً، فكان لا يمرّ بهم أحد إلّا عابوه وذكروا مثالبه، فشكوا إلى عمر بن الخطاب، فأخرجهم من المدينة إلى الطائف ويقال: إنّه فرّق بينهم في المجالس.

لا أدري كيف تجتمع هذه الرواية من أنَّ الخليفة أخرجهم من المدينة أو فرّق بينهم، وتلك التي تنصُّ على أنه استعان بهم في ترتيب الدواوين. ثم إنَّ عقيلاً بيتاً ونشأةً يأبى إلّا أن يتصف بالأدب والخلق الرفيع، فضلاً عن كونه مسلماً يقرأ جيداً التنزيل العزيز: (يأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُواْ أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُواْ بِٱلأَلْقَابِ بِئْسَ ٱلاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلإَيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ \* يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُواْ وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ).[[24]](#footnote-24)

فضلاً عما سمعه وسمعوه من أحاديث رسول الله9 في النهي عن السخرية والغيبة و... وأي قول أو فعل قبيح، فالسخرية والغيبة من كبائر الآثام، وهو في سيرته لا يلاحق الآخرين ابتداءً دون أن يرى منهم ما يوجب ردَّهم، ولا يتعرّض للمارّة فيعيبهم ويذكر مثالبهم..؟!

وقطعاً قد تغيّر عقيل كما غيره حين أعلن إسلامه، فإذا كان قد استولى على بيوت المهاجرين من بني قومه؛ بني هاشم في مكة بعد هجرتهم للمدينة بما فيهم بيتان لرسول الله9 وأنه إمّا باعها أو بقيت عنده، فتوارثها أولاده من بعده...، ولم يهتزّ له جفنٌ أو يرقّ له قلبٌ، نجده بعد إسلامه يستشكل من إبرة، أخذها من الغنائم كما في وقعة حنين الآتية التي ثبت فيها..، ويقف مواقف جليلة في ردع وبيان حقيقة آخرين مُلئت قلوبهم حقداً وبغضاً لبني هاشم ولدعوة رسول الله9 ولأخيه الإمام عليٍّ7، كما يأتينا في حواراته في مجالس معاوية...[[25]](#footnote-25)

إسلام عقيل:

وقعت البعثة النبوية الشريفة، ولعلَّ عمر عقيل إن أخذنا بأنه ولد قبل الفيل بعشر سنوات في مكة، كان خمسين عاماً، أوكان ثلاثين سنة أو يزيد قليلاً على القول الآخر بأنَّ ولادته قبل الهجرة بأربع وأربعين سنة، ورأى وسمع مواقف مشركي مكة من النبيّ9 ومن ذلك ما روي عنه أنه قال: جاءت قريش إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب إنَّ ابن أخيك يأتينا في أفنيتنا وفي نادينا، فيُسمعنا ما يؤذينا به، فإن رأيت أن تكفَّه عنا فافعل.

فقال لي: يا عقيل التمس لي ابن عمّك، فأخرجته من كبس - بيت صغير - من أكباس أبي طالب، فأقبل يمشي معي يطلب الفيء يمشي فيه، فلا يقدر عليه حتى انتهى إلى أبي طالب، فقال له أبو طالب: يا ابن أخي والله ما علمت إن كنت لي لمطاعاً، وقد جاء قومك يزعمون أنَّك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديهم تُسمعهم ما يؤذيهم، فإن رأيت أن تكفَّ عنهم.

فحلق ببصره إلى السماء، فقال9: «والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار»!

فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط، ارجعوا راشدين ...

وقد اختلف في وقت إسلامه، وبالتالي في حصوله على وسام الصحبة المباركة لرسول الله9 ليضافا إلى النسب الشـريف الذي يجمعه برسول الله9 أفي مكة المكرمة، ورسول الله9 ما زال فيها أي لم يهاجر، أم أسلم في وقعة بدر الكبرى، أو أظهر إسلامه فيها، بمعنى أنه كان مسلماً قبلها، أو أسلم بعد الحديبية في ذي القعدة من العام السادس للهجرة بين المسلمين ومشركي قريش مدّة عشر سنوات... أو قبل يوم مؤتة في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة، وهي سنة هجرة عقيل على قول، وأنه شهد مؤتة، ومرض بعدها، فلم يكن له ذكرٌ في فتح مكة في شهر رمضان من العام الثامن للهجرة الذي قيل: إنه أسلم فيه، وعلى أي حال فلهم أقوال مختلفة في هذا، وهذه خلاصتها:

عقيل بن أبي طالب ممن أسلم عام الحديبية وحسن إسلامه. أسلم مهاجراً سنة ثمان قبل الحديبية.

قال ابن حجر: تأخر إسلامه إلى عام الفتح، وقيل: أسلم عام الحديبية، وهاجر أول سنة ثمان. فيكون له من العمر اثنتين وخمسين سنة.

يقول الذهبي: هاجر أول سنة ثمان يعني تأخر إسلامه إلى أن هاجر.

ابن سعد يقول: خرج عقيل مهاجراً في أول سنة ثمان، وشهد مؤتة، ثم رجع فتمرض مدة، فلم يسمع له بذكر في فتح مكة ولا حنين ولا الطائف...

وعلى ضوء أي قول منها يُحدد عمره وقت إسلامه. حتى قيل: إنَّ عمره عندما أسلم سنة ثمان من الهجرة؛ كان اثنتين وخمسين سنة، إذا أخذنا بأنه ولد قبل الهجرة بأربع وأربعين سنةً. وبالتالي كان آخر إخوته إسلاماً.

أقول: لنقف عند أهمّ الأقوال، وهو ما يتعلق بوجود عقيل في وقعة بدر الكبرى، وموضوع إسلامه فيها إن لم يكن قبلها، وهو في مكة... «أخرجوا إكراها». أ لأنهم مسلمون، أم لأَنَّ لهم علاقة نسبية برسول الله9 وبالتالي لا يخرجون إلّا مكرهين لقتاله؟!

وعلى كلا القولين كان خروجهم إلى بدر إكراهاً لهم من قبل قومهم ومن قبل كبار زعمائهم المشركين، أو كان مداراةً منهم لمن خرج من قومهم ومن زعماء مكة؛ حتى وقعوا ضمن سبعين أسيراً في قبضة المسلمين، فعوملوا معاملة الأسرى، مع أنهم كانوا مسلمين في مكة، وقد كتموا إسلامهم، ولعلّ هذا هو الأرجح في موقفهم من رسول  الله9 وفي إسلامهم.

وبهذا جاءت الروايات:

ابن سعد قد ذكر في الطبقات: أنّ قريشاً لمّا نفروا إلى بدر، فكانوا بمر الظهران، هبّ أبو جهل من نومه فصاح، فقال: يامعشر قريش ألا تبًّا لرأيكم ماذا صنعتم، خلّفتم بني هاشم وراءكم، فإن ظفر بكم محمّد كانوا من ذلك بنجوة، وإن ظفرتم بمحمد أخذوا ثارهم منكم من قريب من أولادكم وأهليكم، فلا تذروهم في بيضتكم وفنائكم، ولكن أخرجوهم معكم، وإن لم يكن عندهم غناء، فرجعوا إليهم، فأخرجوا العباس بن عبد المطلب ونوفلاً وطالباً وعقيلاً كرهاً.

وذكر أيضاً أنّ قريشاً في يوم بدر، جمعت بني هاشم وحلفاءهم في قبّة وخافوهم، فوكّلوا بهم من يحفظهم ويشدد عليهم، ومنهم حكيم بن حزام.

فعن ابن عباس أنه قال: قد كان من كان منا بمكة من بني هاشم قد أسلموا، فكانوا يكتمون إسلامهم ويخافون.

ويؤيد قول ابن عباس ما نقلوه من أنَّ رسول الله9 نهى في بدر عن قتل بني هاشم؛ لأنهم أخرجوا إكراها...

يقول ابن إسحاق: وأُسر من المشركين يوم بدر من بني هاشم بن عبد مناف: عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم. ولم يذكر معهم العباس بن عبد المطلب ...

وفي خبر​ٍ؛ أنَّ رسول الله9 قال يوم بدر: «إني قد عرفتُ أنَّ رجالاً من بني هاشم وغيرهم، أخرجوا مكرهين منهم عمّي العباس، فمن لقيه منكم فلا يعرضن له فإنه خرج مكرهاً».

و قال الطبري: قال النبيّ9 لأصحابه: «إنَّي قد عرفت رجالاً من بني هاشم قد خرجوا إلى بدر كرهاً، فمن لقي منكم أحداً منهم فلا يقتله».

وذكر أيضاً: أنّ النبيّ9 قال يوم بدر: «فمن لقي منكم العباس فلا يقتله». «من لقي أحداً من بني هاشم، فلا يقتله فإنّهم أخرجوا كرهاً».

وعن ابن عساكر في معرض كلامه عن عقيل وجعفر وعليّ، يقول:.. وأخوهم طالب لا عقب له، وهو الذي يقول حين استكرهه مشركو قريش على الخروج إلى بدر؛ من الرجز، وقد ذكرنا بعضه أعلاه:

یا ربِّ إمّـا خرجـوا بـطالب

في مِقنـب مـن تلکـم المـقانـب

فاجعلهم المغلوب غیر الغـالـب

والرجل المسلوب غیر السـالـب

وذاك أولـی بالـرشـاد الـواجـب

عاقبـة عند إیــاب الآئـب

فإنما الأمور بالعواقب.

ثمَّ يذكر عقيلاً قائلاً: وكان عقيل فيمن أُخرج  من بني هاشم كرهاً مع المشركين إلى بدر، فشهدها، وأُسر يومئذ، وكان لا مال له، ففداه العباس بن عبد المطلب...

وعن ابن أبي الحديد: اُسِرَ من بني هاشم العباس بن عبد المطلب، أسره أبو اليسر كعب بن عمرو، وعقيل بن أبي طالب أسره عبيد بن أوس الظفري، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب أسره جبار بن صخر، وأسر حليف لبني هاشم من بني فهر، اسمه عتبة. ومن بني المطلب بن عبد مناف السائب بن عبيد وعبيد بن عمرو بن علقمة، رجلان أسرهما سلمة بن حريش الأشهلي...

وفي خبر​ٍ؛ أنه9 قال: «إنَّ بعض من يلقونكم في هذا الجيش خرجوا مستكرهين، فمن لقي منكم العباس فلا يقتله؛ لأنه أكرهه قومه على الخروج، ومن لقي أبا البختري فلا يقتله».

«إني قد عرفتُ أنَّ رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كَرهاً، لا حاجة لهم في قتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد، فلا يقتله».

وتوالت الأخبار في أنَّ عقيل بن أبي طالب كان في الصف المشرك الذي زحف من مكة نحو المدينة، لكنها قالت: إنه كان فيمن أخرج من بني هاشم كرهاً مع المشركين إلى بدر، فشهدها وأسر يومئذ، وكان لا مال له، ففداه العباس بن عبدالمطلب الذي هو وقع في الأسر، فعن عبيد بن أوس مقرن من بني ظفر قال: لما كان يوم بدر أسرت العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب وحليفاً للعباس فهرياً، فقرنت العباس وعقيلاً، فلما نظر إليهما رسول الله9 سمّاني مقرناً، وقال: «أعانك عليهما ملك كريم»!

ولعلّ في هذه الروايات تأييداً لما ذهب إليه الواقدي من أنَّ العباس (وقد يكون معه بنو هاشم كعقيل) أسلم قبل بدر.

وفيها أيضاً ردٌّ على من ذهب إلى أنَّ قول الواقدي ليس بصحيح، فلعلهم قد عُوملوا بحسب الظاهر معاملة الأسرى لا غير، وبالتالي قد لا تنفي هذه المعاملة إسلامهم ولا تنافيه. وهو ما قاله العباس لرسول الله9: يا رسول الله، إنّي كنتُ مسلماً، ولكنَّ القوم استكرهوني!

فكان جواب رسول الله9 أن قال: «الله أعلم بإسلامك؛ إن يك ما تذكر حقًّا، فالله يجزيك به، فأمّا ظاهر أمرك فقد كان علينا، فافد نفسك... أو وأمَّا ظاهرُكَ فقد كان علينا؛ فافتَدِ نفسَكَ، ابنَي أخويكَ نَوفل بنَ الحارث بن عَبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، وحليفَكَ عُتبَة بن عَمرو».

وقال ابن هشام: عُبيد بن أوس الذي يُقال له: مقرّن؛ لأنه قرن أربعة أسرى في يوم بدر، وهو الذي أسر عقيل بن أبي طالب.

قالوا: وكان عقيل بن أبي طالب فيمن أخرج من بني هاشم كرهاً مع المشـركين إلى بدر، فشهدها وأسر يومئذ، وكان لا مال له ففداه العباس بن عبد المطلب!

وفي خبر​ٍ؛ يتضمن لقاءً جمع عقيلاً برسول الله9 وسجل حواراً بينهما؛ وفيه قال عقيل للنبيّ9: مَن قتلتَ من أشرافهن أثخن فيهم! فقال: قتل أبوجهل. فقال: الآن صفا لك الوادي! وقال له عقيل: إنه لم يبق من أهل بيتك أحد إلّا وقد أسلم. قال: فقل لهم فليلحقوا بي. فلما أتاهم عقيل بهذه المقالة خرجوا...

و ذكر أنَّ العباس ونوفلاً وعقيلاً رجعوا إلى مكة أمروا بذلك؛ ليقيموا ما كانوا يقيمون من أمر السقاية والرفادة يعني والرياسة، وذلك بعد موت أبي لهب، وكانت السقاية والرفادة والرياسة في الجاهلية في بني هاشم، ثم هاجروا بعد إلى المدينة، فقدموها بأهاليهم وأولادهم.

و كان عقيل فيمن أخرج من بني هاشم كرهاً مع المشركين إلى بدر، فشهدها وأسر يومئذ، وكان لا مال له، ففداه العباس بن عبد المطلب، ورجع عقيل إلى مكة، فلم يزل بها حتى خرج إلى رسول الله9 مهاجراً في أول سنة ثمان.[[26]](#footnote-26)

نزول آية:

( يٰا أيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيۤ أَيْدِيكُمْ مِّنَ ٱلأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ). سورة الأنفال: 70 .

في نزول هذه الآية في وقعة بدر الكبرى، روي عن العباس بن عبد المطلب وقد وقع هو وجماعة منهم عقيل بن أبي طالب أسرى بيد المسلمين، وكان العباس أكثر المستفيدين من هذا الأسر ماليًّا كما يظهر من أقواله وأقوال غيره، أنَّها نزلت فيه، وهو القائل: نزلت هذه الآية فيّ وفي أصحابي، كان معي عشرون أوقية ذهباً، فأخذت مني، فأعطاني الله مكانها عشرين عبداً؛ كلّ منهم يضـرب بمال كثير، وأدناهم يضـرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية، وأعطاني زمزم؛ وما أحبّ أنَّ لي بها جميع أموال أهل مكة، وأنا انتظر المغفرة من ربّي.

وعن ابن عباس: نزلت في الأسارى يوم بدر، ومنهم العباس بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث، وعقيل بن أبي طالب.

وفي الكافي:.. عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله7، قال: سمعته يقول في هذه الآية: (يٰا أيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيۤ أَيْدِيكُمْ مِّنَ ٱلأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ).

قال: نزلت في العباس وعقيل ونوفل، وقال: إنَّ رسول الله9 نهى يوم بدر أن يقتل أحد من بني هاشم وأبو البختري فأُسروا. فأرسل عليًّا7، فقال: «انظر مَن ههنا من بني هاشم»، قال: فمرَّ عليٌّ7 على عقيل بن أبي طالب، فحاد عنه، فقال له عقيل: يا ابن أمّ عليّ (أقبل عليَّ) أما والله لقد رأيت مكاني. قال: فرجع إلى رسول الله9، وقال: هذا أبوالفضل في يد فلان، وهذا عقيل في يد فلان، وهذا نوفل بن الحارث في يد فلان»! فقام رسول الله9 حتى انتهى إلى عقيل، فقال له: يا أبايزيد قتل أبوجهل، قال: إذاً لا تنازعون في تهامة! فقال: إن كنتم أثخنتم القوم، وإلّا فاركبوا أكتافهم. فقال: فجيء بالعبّاس، فقيل له: أفد نفسك وأفد ابن أخيك، فقال: يا محمّد تتركني أسأل قريشاً في كفّي. فقال: أعط ممّا خلفت عند أمِّ الفضل، وقلت لها: إن أصابني في وجهي هذا شيء، فأنفقيه على ولدك ونفسك.

فقال: يا بن أخي مَن أخبرك بهذا؟

فقال: أتاني به جبرئيل7 من عند الله عزّ وجلّ.

فقال: ومحلوفه (أي بالذي حلف به) ما علم بهذا أحد إلّا أنا وهي، أشهد أنّك رسول الله!

قال: فرجع الأسرى كلّهم مشركين إلاّ العبّاس وعقيل ونوفل، وفيهم نزلت هذه الآية: (يٰا أيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيۤ أَيْدِيكُمْ مِّنَ ٱلأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ). سورة الأنفال: 70 . وعن قتادة أنه قال: ذكر لنا أنّ نبيَّ الله9 لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفاً وقد توضأ لصلاة الظهر فما صلّى يومئذ حتى فرّقه، وأمر العباس أن يأخذ منه ويحثي، فأخذ فكان العباس يقول: هذا خير مما أخذ منا وأرجو المغفرة.[[27]](#footnote-27)

رجوع عقيل إلى مكة:

على القول - وهو القول الأرجح أنه كان مسلماً قبل وقعة بدر الكبرى - هناك أخبار تشير إلى أنَّ عقيلاً وعمَّه العباس ونوفلاً بعد ما حدث لهم في بدر الكبرى، رجعوا إلى مكة، بعد أن أُمروا بذلك، والأمر محصور برسول الله9 ولا يتقدم عليه أحدٌ..؛ وكان ذلك لما يترتب عليه من مصالح، ولعلّ منه، كما ذكرته بعض الأخبار أو الأقوال؛ ليقيموا ما كانوا يقيمون من أمر السقاية والرفادة يعني والرياسة، وكانت السقاية والرفادة والرياسة في الجاهلية في بني هاشم... وإن قيل: إنه لم يرجع إلى مكة، بل أقام مع رسول الله9 وشهد مشاهده.

في خبر​ٍ أنَّ عقيلاً لما قال للنبيّ9: إنه لم يبق من أهل بيتك أحد إلّا وقد أسلم. قال: «فقل لهم فليلحقوا بي». فلما أتاهم عقيل بهذه المقالة خرجوا...

وهذا معناه إن صحَّ أنه حصل الإذن النبوي بالعودة إلى مكة.

وقد ذكرت بعض الأخبار أنَّ العباس ونوفلاً وعقيلاً رجعوا إلى مكة؛ بعد وقعة بدر الكبرى التي أظهروا إسلامهم فيها؛ ليقيموا السقاية والرفادة والرياسة والتي كانت من وظائف بني هاشم في الجاهلية والإسلام. ثم هاجروا بعد إلى المدينة، فقدموها بأهاليهم وأولادهم.

وكان عقيل فيمن أخرج من بني هاشم كرهاً مع المشـركين إلى بدر، فشهدها وأسر يومئذ، وكان لا مال له، ففداه العباس بن عبد المطلب ورجع عقيل إلى مكة، فلم يزل بها حتى خرج إلى رسول الله9 مهاجراً في أول سنة ثمان.[[28]](#footnote-28)

وفي قول كان وقت رجوعهم بعد وفاة أبي لهب بعد وقعة بدر بسبع ليال، عمّ النبيّ9 وأشدّ الناس تكذيباً له وقسوةً عليه، وكذا كانت امرأته، حتى جمعهما الله تعالى في سورة واحدة: (بِسمِ ٱلله الرَّحْمنِ الرَّحِيـمِ \* تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ \* مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ \* سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ \* وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ \* فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ). سورة المسد: 1ـ5 .

وبموته - كما نُقل - لم يبقَ من بني هاشم من يُقيم تلك الوظائف: السقاية والرفادة... وقد كان لعقيل دَورٌ في هذه الوظائف، من ذلك ما ذكره ابن سعد عن ابن جريج عن عطاء قوله: رأيت عقيل بن أبي طالب شيخاً كبيراً بعل العرب، قال: وكان عليها غروب ودلاء، قال: ورأيت رجالاً منهم بعد ما معهم مولى في الأرض، يلفون أرديتهم فينزعون في القميص حتّى أنّ أسافل قميصهم لمبتلة بالماء، فينزعون قبل الحج أيام منى وبعده.[[29]](#footnote-29)

ثم عادوا إلى المدينة المنورة فقدموها بأهاليهم وأولادهم...

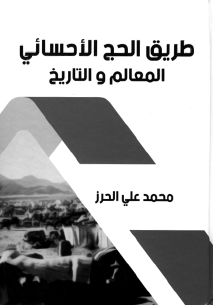
للبحث صلة

\* \* \*

(المقالة : 4)

«تعريف بکتاب»  
طــريـق الحــجّ الأحــسائـي(3)

إدارة التحرير



نظراً لمنهج مجلة «ميقات الحجّ»، وعنايتها بالشؤون الثقافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية للحجّ ودائرته المباركة...، فتحت بابها لا فقط لاستقبال ما يتفضل به الكتّاب، ويبادر به العلماء والمحققون من بحوث ومقالات من أفكار وآراء حول عنايتها المذكورة، وإن لم تكتفِ بانتظار ما تجود به معرفتهم وأناملهم، بل راحت إدارتها تسمع وتقرأ وتلاحق ما يكتب هنا وينشـر أو يُلقى هناك؛ ما دام يصبُّ في دائرتها المعرفية؛ لإعطائه مساحة مناسبة في المجلة، حرصاً منها في إغناء مكتبتها الخاصة وتراثها المعرفي، ومشاركةً منها في نشر ما تصبو إليه من أهداف كبيرة؛ تتمدّد على مساحة واسعة من الحرمين المباركين مكة المكرمة والمسجد النبوي وما حولهما من طرق وأماكن ومواقع.

إنّ هذا الکتاب «طريق الحج الأحسائي» لمؤلفه سماحة الشيخ محمدعلي الحرز، كتاب جيد لما تتوفّر فيه من أهمية تاريخيّة وفوائد ميدانيّة ومعرفة لحدود هذا الطريق ومعالمه، و قديماً كان هذا طريقاً للحجاج الإيرانيين .

\* \* \*

جاء في مقدمة البحث:

«طالما راودتني فکرة التطرّق لموضوع الحج الأحسائي من الناحية التاريخية؛ والتعريف بالعلاقة الکبيرة بين الأحساء وبلاد الحجاز، وأهم الطرق التي يسلکونها في المسير لأداء فريضة الحج، والعقبات التي تواجه الحاج الأحسائي تحديداً من صعوبات ومعوِّقات، حاله حال الکثير من الحجاج في مختلف المنافذ المتجهة إلی مکة المکرمة، نظراً للتغافل الکبير من المهتمين بتاريخ الحج وطرق الحاج، وذلك لصعوبة البحث وندرة المصادر التي تناولت معالم هذه الطرق.

لذا اکتفی معظم الباحثين بتناول الطرق المشهورة والمعروفة؛ مثل الشامي والعراقي والمصري واليمني والعماني وغيرهم، دون تجاوز هذه العتبة خشيةً من وعورة الطريق والبحث في هذه النقطة المعتمة...».

الکلمات المفتاحية:

المصاعب والعناية بطريق الحجّ الأحسائي، الجهود المبذولة في تأمين الحجّ، معالم طريق الحجّ الأحسائي، بيان بعض المصطلحات القديمة، العوامل المؤثرة في تحديد طريق الحجّ، الطرق المباشرة إلى مکة المکرمة، طرق ومنازل الحاجّ من الأحساء إلى مکة المکرمة . . .

\* \* \*

... الفصل الثاني: المصاعب والعناية بطريق الحج الأحسائي

مصاعب و مخاطر طريق الحج:

يصادف الحاج في رحلته العبادية لأداء فريضة الحج مجموعة من العقبات والتحديات، تبدأ من أول مرحلة من مراحل الحج وهي الاستعداد، ولا تنتهي إلّا بعودته عند باب داره في أرض الوطن.

هذا الأمر هو ما يجعله في حالة توتّر شديد وقلق کبير لايفارقته، وهنا نورد عدد من هذه الصعوبات والتحديات التي يشهدها طريق الحج نذکرها بإيجاز، لنستشعر طبيعة الرحلة الإلهية وما يکتنفها والحالة النفسية التي يعيشها الحاج في حالة تجمع بين الفرح والسعادة التي لا توصف وهو يستشعر أنه في طريقه لأداء شعيرة إلهية عظيمة قد وفقه الله لأدائها، وبين الشعور بالخوف والقلق أنه لا يسلم على حياته فضلاً عن سرقته من قبل قطّاع الطرق، وبالتالي قد لا يرجع لأهله ووطنه سالماً.

وهذه المصاعب المؤرّقة يمکن تلخيصها في التالي:

1ـ الانفلات الأمني:

الهاجس الأمني والخوف على الأرواح من أکثر الأمور التي عانى منها الحاج من مختلف المناطق وطرق الحج المتعددة، بلغ درجة أن تتخلف بعض المناطق عن الحج لسنوات إذا علمت بفقد الأمن و وجود قُطّاع الطرق في الطريق، حتى لقد بلغ إيذاء الحاج في بعض السنوات منتهاه، حتى أنه ينقل عن العلامة الشيخ محمد الرملي الشافعي (القرن العاشر).[[30]](#footnote-30)

ـ بسبب ما لاقاه من شدة وأذى والمشقة أفتى بعدم وجوب الحج في هذه الأزمنة.[[31]](#footnote-31)

ـ طالما فيه خطر على النفس البشرية. ففي سنة 1142هـ، هجم بعض قُطّاع الطرق من قبيلة مطير على الحاج الأحسائي في منطقة الحنو.[[32]](#footnote-32)

ـ وقتلوا منهم وسلبوهم بعدما أخذوهم للحسوة.[[33]](#footnote-33)ـ وهي منطقة تقع في جنوب شرق المدينة المنورة، وتبعد عن مدينة ينبع البحر حوالي 350 کيلومتر کما تعتبر داخل حدود منطقة المدينة المنورة، وسکانها غالبهم من قبيلة مطير، وشيوخها منهم.

مجزرة ابن حثلين لحاجّ الأحساء:

من الشواهد التاريخية التي تبيّن حجم المأساة التي يعاني منها الحاج ومستوى القسوة التي مارسها لصوص الحاجّ وامتلاکهم قلوب هي إلى الحجارة أقرب، بلا رحمة ولا شفقة.

ففي حوادث سنة 1261هـ، وهي الحقبة التي کانت الأحساء خاضعة للدولة السعودية الثانية، أقبل حاجٌ کثيرٌ من الأحساء والبحرين والقطيف، ومن أهل سيف البحر، ومعهم عجم کثير، فرصد لهم في الطريق فلاح بن حثلين رئيس العجمان، ومعهم أناس من عربان سبيع، وکان حزام بن حثلين مع الحاج، فشنوا عليهم غارة، شردوا من الحاج نحواً من نصفه، وذلك من سرِّ قدرة الله وتدبيره، وقد مات فيها خلق کثير، بينما أُسر البعض الآخر.

فاستنفر الإمام فيصل بن ترکي جيشه فرکب من الرياض آخر ذي القعدة،[[34]](#footnote-34) وقد استنفر معه القبائل المختلفة وأصبح يطارده فلمّا سمع ابن حثلين بذلك لجأ إلى بني خالد عدوان الإمام فيصل، ولکن لما وجدوا عظم الأمر ذهب أعيانهم وشيوخهم ألّا يأخذ البريء بالمسيء، وتمّ طرد ابن حثلين وبقي مشرّداً يبحث عن ملجإ، حتى تمّ القبض عليه سنة 1262هـ، واعتقاله وأخذه إلى قصر الکوت عند أحمد السديري الذي قام بإعدامه بقطع رأسه.[[35]](#footnote-35)

وهذه الحادثة تؤکّد - رغم ا لصعوبات التي تکتنف طريق الحج - بأنّ الوفود السائرة للحج من خلال عبوره تعدّ کبيرة نسبياً، لأنها تجمع الحاج من الأحساء والقطيف والبحرين ومناطق الساحل سواء من قطر أو عُمان، ويتبعهم القادمون عبر البحر من أهل الفرس والهند، وهي تحمل معه الغنائم والأموال التي أرادوا بها الکفاية لأداء فريضة الحج والعودة إلى أوطانهم، خاصة وأنّ الرحلة قد تستغرق عند البعض من المناطق البعيدة قرابة النصف سنة بعيداً عن أهله ووطنه.

وفي سنة 1310هـ، نشطت بعض القبائل من أهل البادية لسـرقة الحاج وسلبهم. وتجمع منهم أکثر من 300 رجل، بتمرّد خطير فهاجموا قافلة مسافرة من الهفوف إلى العقير في حراسة فرقة ترکية من 25 جندي فقتلوا 15 منهم وجرحوا 10، وحملوا معهم 50 ألف روبية نقداً وما قيمته 20 ألف من البضائع، کما نهبوا أيضاً 40 حاجّاً کانوا مسافرين بصحبه القافلة وبدأت حوادث سرقات عديدة،[[36]](#footnote-36) وهي بلا شك تشمل وفود الحجاج القادمين عبر الميناء وکذلك القوافل التجارية.

2ـ قلة الماء والآبار:

من العوامل المؤثر في اختيار الطريق من عدمه، أو کثرة العبور من خلاله أو ترکة، وفرة الماء ووجود الآبار في الطريق، وهنا يأتي دور الأمير وقائد الرحلة في معرفة الطرق وتمتعها بهذه الخاصية أو لا، لذا يستعان في مثل هذه الرحلات بالدليل الخبير بالصحراء من رجال البادية، حيث يتولى قيادة الرحلة وانتقاء الطرق المناسبة.

فالحاج في رحلته الشاقة والطويلة والتي تستغرق في الغالب حدود 25 يوماً؛ ستة من الأحساء إلى الرياض، و 18 يوماً من الرياض إلى مکة المکرمة، والتي قد تصل إلى شهر بعض الأحيان، يکون في أمس الحاجة إلى التزوّد بالماء خلال الطريق، خاصة عندما يکون الموسم في فصل الصيف الذي يشتد فيه العطش، وتظمأ الدواب، بل وينفق بعضها بسبب العطش والتعب، وفي هذا الحالة نجد الدليل ينتقي الطرق والمنازل التي تتوفر فيها الآبار والکلأ وإن أدى ذلك إلى طول الطريق وبُعد المسافة.

ففي سنة 833هـ، أصاب الحاجّ المصري بين (الإزلم) و(ينبع)، شدة عظيمه من الحرّ والعطش، مات فيها ثلاثة آلاف نفس، ويقال خمسة آلاف.[[37]](#footnote-37)

وفي السنة التالية عام 834هـ، توفي العديد من الرجال والنساء ممن هلك بالعطش من الحاج فدفن منهم بالآلاف.[[38]](#footnote-38)

ومن هنا تأتي أهمية معرفة الدليل وخبرته بمخارج الطريق وأماکن الآبار والمسافات طولاً وقصراً، فالأرواح تکون معلّقة بين يديه، والخطأ هنا يعني موت الحاج والدخول في متاهات قد لا يؤمن عواقبها.

وقد نقل في التاريخ الأحسائي الشفهي، موت بعض الحاج بسبب الضياع، وقلة الماء، إما لعدم وجود آبار أو لجفاف المياه منها، وهذا يشکل تحدي کبير لقافلة الحاج ومصدر قلق لا يمکن التهاون فيه.

3ـ طول الطريق:

خمسة وعشرون يوماً من السير على ظهر الإبل، أو سيراً على الأقدام، في رحلة مليئة بالتعب ومحفوفة بالعناء وقسوة الحياة، ومصحوبة بالکثير من المخاطر، من وحوش الصحراء کالذئاب والعقارب والثعابين تارة وقُطّاع الطرق أصحاب القلوب البشعة والقاسية تارة أخرى.

فإذا أخذنا في الاعتبار وجود عدد غير قليل من کبار السنّ والنساء ضمن رکب الحاج، ندرك مدى المشقة والصعوبة في هذه الرحلة، وأنها تستغرق وقتاً طويلاً بسبب المراعاة لأضعف الحاج، کما قد يختار أمير الحاج طريقاً أبعد، عندما يجد أنّ الطريق القريب يتخلّله بعض المخاطر کوجود قُطّاع طرق تتربص بالمارين فيه، أو تفشـي المرض بين عموم الحجاج، أو خلّوه من الآبار والمياه، في وقت تکون القافلة في أمسّ الحاجة لها، لذا قد تطول الرحلة إلى 40 يوماً لمثل هذه العوامل وغيرها.

فإذا أضفنا عملية الحج وطقوسه وما يتخلّلها من مشقة عطفاً على قوله تعالى: (وَلِلّهِ على النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً)،[[39]](#footnote-39) وبما فيها من طواف وسعي ورمي جمرات ووقوفيْن بعرفات والمشعر الحرام، ندرك جيّداً حجم المشقة التي يعيشها الحاج والوقت الذي يستغرقه عمل المناسك، ثم تبدأ الرحلة إلى المدينة المنورة، وأخيراً خط العودة والذي لا يقل خطورة وصعوبة عن رحلة  الذهاب، مما يجعل الرحلة في مجموعها قد تستغرق بين ثلاثة إلى أربعة أشهر.

من خلال کلّ هذا ندرك خطورة الأمر ومدى کلفته على العجزة من النساء وکبار السنّ في رحلة طويلة يکتنفها المشقة والتعب في جميع مراحلها.

4ـ ضعف الدراية بطرق الحجِّ المناسبة:

واحدة من أهمّ صفات أمير الحاجِّ وقائد الرحلة، هو درايته بالطرق المختلفة المؤدِّية إلى الديار المقدسة، وهذه تتکوّن نتيجة خبرة طويلة وسفرات متعدد (متعددة) إلى الحجاز يتعرَّف فيها على معالم الطريق وصعوباته ومميزات کلِّ طريق منها، أو لا أقلّاً يوجد حوله من يمتلك هذه الدراية.

لذا يتجنب عن قيادة الحاجِّ من ليس له خبرة بالطرق أو من يتصف بالعناد والاستبداد بالرأي، وقد وقعت حادثة لحاجِّ الأحساء نتيجة عدم امتلاك أمير الحاجِّ لمثل هذه الخبرة والحنکة.

فقد تمَّ تنصيب الأمير محمد المحاري (المحاوي) أميراً على الحاجِّ الأحسائي من قبل أمير الأحساء الشيخ سليمان بن محمد بن عريعر الخالدي سنة 1142هـ، ولم يکن بذي خبرة في إدارة الأمور مما جعله لقمة سائغة لقُطَّاع الطرق من قبيلة مطير، وتسبَّب في إحداث مجزرة في الحاجِّ قرب منطقة الحنو،[[40]](#footnote-40) وقد سبق الإشارة لهذه الحادثة في الصفحات السابقة.

5ـ تفشّي الأمراض والأوبئة الفتّاکة:

نتيجةً لضعف الرعاية الصحّية لدى الحجّاج القادمين من مختلف الأقطار الإسلامية بسبب الفقر وقلَّة الأطباء، فکثير ما يأتي بعض الحجّاج وهم محمّلين بالأمراض والأوبئة، ناهيك عن الحالة العامّة نتيجة للازدحام وقلَّة النظافة في الوضع العام سبباً في تفشّي الأمراض في صفوف الحجّاج.

وقد ذکر التاريخ العديد من الأمراض التي انتشرت بين الحجيج؛ ففي سنة 837هـ، انتشر وباء في اليمن ووصل إلى مکة المکرمة في شهر شعبان، فکان يموت في کلِّ يومٍ خمسين.[[41]](#footnote-41)

وفي رحلة داود السعدي إلى الحجِّ مع حاجِّ الأحساء سنة 1388هـ، أرخَّ تفشّي مرض «الکوليرا» بين الحاجِّ فقال:

«يوم الأربعاء ومنها إلى قرب (رابغ)،[[42]](#footnote-42) رعياً فقط، واعترى الحاج علة القوليرا (الهيضة)،[[43]](#footnote-43) ومات سبعة أشخاص، وذکر عند وصولهم (رابغ) وهي بلدة معمورة، وفيها مات عشرة نفر، وعبد حبشي للسعدي».

وتعدّ هذه الحالة من عشرات الحالات التي تحدث موسميًّا في الحج حيث انتشار الأمراض والأوبئة المعدية التي تفتك بحياة مئات الحجاج في ظلِّ قلَّة المعالجات وهشاشة الوضع الطبي وضعف الثقافة الصحية لدى غالبيّة الحجّاج.

6ـ ارتفاع الأسعار والمعيشة في الديار المقدسة:

تضطرب الأسعار في موسم الحج فلا تکون الأسعار في مکة مستقرة أو على حالٍ واحد، ففي بعض السنوات کان الغلاء في الحجاز قد أخذ منتهاه، مع وجود قلَّة ذات اليد والحاجة في صفوف الحجّاج، نتيجة لکلفة السفر ومؤنته، مما يجعلهم في أضعف أحوالهم عند وصولهم لمکة المکرمة.

وقد ذکرت المصادر التاريخية العديد من هذه الحالات، ففي أحداث سنة 831هـ، يذکر بن فهد المکي عن أحداثها قائلاً: «وفيها اشتد الغلاء بمکة المشـرفة لعدم المطر فيها»،[[44]](#footnote-44) وهذا نموذج وشکل من أشکال الغلاء، وإلّا دواعي الغلاء کثيرة ومتعدّدة الأسباب، من بينها قلة البضائع التي عادة ما يجلبها بعض الحجّاج معهم من بلدانهم،  أو انخفاض العطايا التي يقدّمها أمراء الحاجِّ لفقراء البيت الحرام.

وقد يطال الغلاء الماء لشحته وقلَّة الأمطار ففي سنة 834هـ، قلَّ الماء بمکّة في موسم الحجِّ حتى بيعت الراوية بمکة أيام الصعود إلى عرفة بأغلى الأثمان.[[45]](#footnote-45)

7 ـ الصراعات السياسية في المنطقة:

الصراع السياسي في المنطقة له تأثير مباشر على الحاجِّ و سلامتهم سواء في بلاد الحجاز مکة والمدينة أو في مراحل الطريق المختلفة، وفي الغالب عند نشوب أي صراع بين أطراف سياسية تنعکس سلباً على الحاجِّ، لما يترتب عليه من الفوضى، وانحلال عقد الأمن والسلام، فکان اللصوص والاستقلاليون يستفيدون من مثل هذه الحقب الزمنية لصالحهم والنيل من الحجّاج وسلب ممتلکاتهم أو فرض الضرائب عليهم.

کما أنّ مکة المکرمة نفسها کثيراً ما تحدث فيها صراعات بين أقطاب الحکم من الأشراف، أو مواکب الحجِّ الکبيرة القادمة کموکب الحجِّ المصري والشامي والعراقي و غيرها.

وقد رصد التاريخ العديد من الصراعات التي کانت تنشب بين مواکب الحج المختلفة بسبب خلاف بين الحاجِّ، أو نزاع نتيجة الرغبة في محلِّ نزول الرکب وقافلة الحجّ، وقد تکبر المشکلة إذا کانت بين طرفين من کبار موکب الحج کالشامي والعراقي والمصري، والتي تکون بأعداد کبيرة.

هذه الأمور تنعکس على الحجّاج وقد يتسبب في فوضى عارمة تنال أطرافاً کثيرةً من الحجّاج ممن لم يکن طرفاً في المشکلة ولکن أصابه شررها.

8 ـ الضرائب التي تفرضها القبائل على الحاج:

في المراحل المتعددة التي يسير فيها الحاج من الأحساء مکة المکرمة، يدخل خلال الرحلة في أراضي عدد من القبائل العربية المختلفة، منهم من ينظر إلى الحاجِّ على أنهم وفد الله وضيوفه، وفي خدمتهم مکرمة عظيمة وأجر کبير فيتسابقون على ضيافتهم وتسهيل رحلتهم عبر أراضيهم بل توفير الحماية لهم وتزويدهم بالمؤن والمساعدات المختلفة، کما أنهم يتبادلون السلع والمنتجات والمحاصيل تجاريًّا معهم مما يشعر الحاج بالراحة والارتياح.

في المقابل هناك عدد من القبائل تنظر إلى الحاج أنه وسيلة من وسائل الغنى وجمع المال عبر سنّ وفرض الضرائب الثقيلة على الحجّاج، والتي تکون مجحفةً في حقهم، مقابل سلامتهم وأمنهم عند عبورهم من أراضيهم، وهي في العادة تکون مبالغ باهظة وفوق طاقة الحاج، وتتکرر في عدة أراضي مما يجعل الحاج يفقد کلّ ممتلکاته و مدخراته في رحلة الحج قبل وصوله إلى الديار المقدسة.

وقد عانى الحجّاج الأحسائيون من القبائل العربية التي کانت تشکل رعباً وهاجساً مخيفاً نتيجة التجارب المختلفة التي مرّوا بها خلال سنينه من هذه القبائل من القتل والسلب الذي زُهقت فيه الأرواح في عمليات بشعة في حوادث بقيت محفورة في الذهنية الأحسائية لفترات زمنية طويلة.

وفي الختام علينا أن ندرك إن الحجَّ رحلة بقدر ما فيها من فرحة عظيمة عند الحاجِّ وفوز کبير لا يوصف، فإنها مقترنة بأشکال متنوعة من الصعوبات والمخاطر استطاع الحاج الأحسائي أن يتخطاها ويؤدي فرضه امتثالاً لأمر الله تعالى. حيث يقول جلّ من قائل: (وَأَذِّنْ فِي النّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ).[[46]](#footnote-46)

الجهود المبذولة في تأمين طريق الحج:

إنَّ المتتبّع لحرکة الحاج الدؤوبة أثناء مروره على کثير من المنازل والهجر والقرى المتآخمة  لطريق سيره نحو مکة المکرمة يلحظ مدى الجهود التي بذلت تباعاً لتأمين الطرق والمسالك، وهذه الجهود يمکن لنا استشفافها من خلال رصدنا لطرق الحج المختلفة، وهي على النحو التالي:

1ـ الحراسة المشدّدة:

استمر الاهتمام البالغ والعناية الفائقة بطريق الحاج حتى أصبح من ضمن أولويات الدول المتعاقبة على حکم الأحساء، ومحل عنايتها وأهم أهدافها.

وقد استمرت هذه الحملات الأمنيّة من قبل دولة الجبريين بين عامي 851ـ929هـ باتجاه قبائل الدواسر المشاغبة والفضول، بسبب تعدّيهم المتکرر على القوافل التجارية التي تسلك طريق الأحساء والقطيف وطريق التجارة الواقع على إقليم نجد خاصة  الواصل إلى بلاد الحجاز «طريق الحجيج»، نظراً لأهميته لقوافل الحجيج، وذلك لأنّ الجبور کانوا يعتمدون اعتماداً رئيسيّاً في اقتصاد دولتهم على التجارة وتأمين طريقها مثلهم في ذلك مثل الدولة العصفورية.[[47]](#footnote-47)

ومظهر آخر للدلالة على ما أعطته الدولة الجبرية من أهمية قصوی لطريق الحاج الأحسائي والاهتمام بأمنه وأمانه وقطع دابر قُطّاع الطرق يتمثّل بالخروج في مواکب عظيمة تبلغ الآلاف من الحجّاج والعسکر في منظر يثير الرعب في نفوس من تسوّل له نفسه الوقوف في طريق الحاجّ، إضافة إلى الخروج بأنفسهم لقيادة الحجيج، يقول الحميدان في دراسته عن الدولة الجبرية:

«وقد حرص أمراء الجبور على تأمين هذا الطريق - طريق الحاجّ - وما قيام أمرائهم شخصيّاً بقياده قوافل الحجيج إلّا تعبيراً عن حرصهم على سلامة هذا الطريق الحيوي. وإذا ما عرفنا بأنَّ قوافل الحجيج کان يرافقها عدد غير قليل من المحاربين لحراستها أدرکنا أنَّ أمراء الجبور کانوا في الواقع يقومون عند مرافقة قافلة الحجّ بمظاهرة عسکرية لزرع الخوف في نفوس معارضيهم من رؤساء القبائل المختلفة، إضافة إلى کسب الأصدقاء».[[48]](#footnote-48)

2ـ تأديب القبائل المعتدية:

في تاريخ الدولة العيونية کان الأمير محمد أبوسنان العيوني (520ـ538هـ)، تولی بلاد البحرين في أعقاب اغتيال والده الفضل، وقد اشتهر هذا الأمير العيوني ببسالته ونشاطه في القضاء على المفسدين والمعتدين في أصقاع الجزيرة العربية وعلی الخصوص المعترضين طريق الحاجّ، حتى قال في شأنه علي بن المقرّب العيوني:

منا الذي أصحب المجتازَ من حلبٍ

إلى العراقِ إلى نجدِ إلى أدما.[[49]](#footnote-49)

فقد کانت القوافل التي تقطع الطريق بين الأحساء إلى نجد إلى مکة المکرمة تعاني من مشاکل قُطّاع الطرق، فکان لهذا الأمير اليد الطولی في الحد من خطورتهم وتأمين وطمأنة الحاجّ إلى حدٍّ کبير.

يقول شارح ديوان ابن المقرّب العيوني عند الحديث عن محمد بن أبي سنان العيوني أنه: «کان على صلاتٍ قويّة مع الخليفة العباسي الناصر لدين الله، واشتهر بقضائه على قُطّاع الطرق الذين يعترضون الحجّاج في طريقهم إلى مکة، وأخذ على أيدي مفسدي العرب حتى صار الراکب يسير إلى عمان من الأحساء وإلی العراق وإلی نجد وإلی الشام فلا يفزعه أحد، وکذلك القافلة أين أدرکها الليل باتت لا تخاف من أحد».[[50]](#footnote-50)

کما حرصت الدولة الجبرية منذ بدايتها على يد زعيمها الأول زامل بن حسين على تأمين طريق الحاجّ والقوافل التجارية التي تسير عن طريق أراضيها ومنها إلى نجد، وذلك عبر النيل من القبائل النجدية التي تعترض طريق القوافل التجارية والذاهبة إلى الحجّ، وقد شنَّ لذلك حملات متعددة على نجد منها ما وقع في سنة 851هـ، حيث يقول ابن بسام: «وفي سنة 851هـ، غزا زامل بن جبر العقيلي العامري ملك الأحساء والقطيف، ومعه جنود عظيمة من البادية والحاضرة وقصد الخرج وصبح الدواسر، وعايذ على الخرج، وحصل بينهم قتال شديد قتل فيه عدّة رجال من الفريقين، ثم سارت الهزيمة على الدواسر وعايذ، واستولی زامل على محلتهم وأغنامهم وإبلهم وأقام في الخرج نحو عشرين يوماً ثم قفل عائداً إلى وطنه».[[51]](#footnote-51)

وکانت له حملة  قوية على نجد سنة 855هـ، ثم أتبعها بحملة  شرسة سنة 866هـ أخضع خلالها القبائل النجدية التي کانت تترصّد وتعترض طريق القوافل وتبطش بالحجّاج على حدٍ سواء.

هذا الأمر يقودنا إلى إدراك إنَّ بني جبر کان لهم اهتمام بجانبين:

الجانب الديني:

ويتمثل في الحج الذي هو من أرکان الدين و شعيرة عبادية عظيمة حثت النصوص على أدائها،  لذا ينبغي ردع کلّ من يحاول أو تسول له نفسه التعرض لحجّاج بيت الله الحرام بالسوء، ومن هنا تجلى هذا الجانب في الدولة الجبرية بکونها دولة دينية تهتمّ بالعلم والعلماء وتولي لهما أهمية کبيرة.

الجانب الاقتصادي:

باعتباره مصدر تمويل الدولة  وقوتها وعزّتها أمام الأعداء، وأنهم دولة  تحمل فکراً اقتصادياً وتجارياً مترامي الأطراف، حيث أولت الدولة الجبرية الحج منذ النشأة اهتماماً خاصّاً، وأدلّ دليلٍ على ذلك مشارکة أمرائها في موکب الحجيج في کلّ عام بأعداد کبيرة من الحجاج والجند، مما يعطي موکبهم هيبة عظيمة أمام الناظرين.

ومما يفسّر السرّ وراء هذا العدد من المرافقين في الرکب الأحسائي في الحجّ، إنّ سلاطين الجبّور حرصوا على تأمين طرق التجارة في بلاد البحرين و نجد، وکان سلاطينهم يقومون بقيادة قوافل الحجيج شخصياً، وهذا يعدّ تعبيراً صريحاً على حرصهم على سلامة الطريق الحيوي، وما يؤکّد ذلك أنه في عام 893هـ، خرجت حملة  بقيادة السلطان أجود ضد الدواسر، کما سبق ذکره في واحة الخرج لإخضاعهم،  وقد ذکر المؤرخون أنّ السلطان أجود قد قام بالحجّ في تلك السَّنة.

ونستنتج من خروج السلطان أجود وتوجّهه لتأديب قبيلة الدواسر التي ربما خرجت لتهديد قوافل الحجيج المتوجّهة إلى مکة، لذا لازم السلطان أجود تلك القوافل العابرة لطريق الحجاز والذاهبة إلى مکة وحتى يؤمّنها من تعدي القبائل النجدية الأخرى إذا کان طريق قوافل الحجيج يعبر منطقة نجد إلى مکة.[[52]](#footnote-52) وسبق أن أشرنا في تاريخ الحجّ الأحسائي ما اکتنف رحلة الحج من صعوبات على مرّ التاريخ زهقت أرواح مئات الحجّاج ضحيتها في بعض الفترات.

3ـ توفير خدمات الطريق:

ونعني بتوفير الخدمات، حفر الآبار في طريق سير الحاجّ، إضافة إلى الخانات وأماکن الراحة التي تعدّ مستراحاً للحجيج من عناء السفر ومشقّته، وقد حرصت الدول الإسلامية والزعامات السياسية سواء في العهد الأموي أو العباسي وحتى الدول المتعاقبة على المنطقة خلال القرون المختلفة بالعناية بهذه الجانب، لما يمثله الحجّ من شعيرة دينية مقدسة فيها الأجر والمثوبة، وعليها يتنافس المؤمنون في البذل والعطاء، فيقيمون الأوقاف على سقيا الحاجّ وإطعام الدواب، وإيواء المشـرّدين، وإسکان القادمين، وغيرها من الخدمات المختلفة التي تخفّف على الحاجّ عناءه وتسهّل عليه أداء فرضه.

4ـ اختيار الطريق المناسب:

من المهام الکبيرة المنوطة بأمير الحاجّ أو من يتولى قيادة الحجيج أن يکون ذا خبرة و  دراية واسعة بالطرق المختلفة المؤدية إلى الديار المقدسة، ليقوم باختيار الطريق الأنسب والأفضل للحجيج، سواء لمناسبته بسبب عامل ازمن بأن يکون أکثر اختصاراً من غيره، أو للبعد الأمني، أو من حيث توفّر مصادر المياه، الأمر اللازم لسير قافلة الحجيج براحة وسلام.

وقد ذکرنا خلال الحديث عن العهد العثماني في الأحساء کيف تعتني الدولة العثمانية باختيار أنسب الطرق وأفضلها لتسهيل طريق الحاجّ، عبر توصيات خاصة لمتصرّف الأحساء بهذه المهمة.

5ـ جعل المخصصات المالية لتأمين الطريق:

امتلأ طريق الحاج من مختلف اتجاهات بقُطّاع الطرق واللصوص الذين يفرضون ضرائب باهظة وثقيلة على الحاجّ للسماح لهم بالعبور أو القيام بقتلهم وسلب أموالهم، حتى أصبح الحجّ من الأمور التي لا يأمن الحاجّ عودته سالماً إلى أهله ووطنه فکانوا يکتبون وصاياهم ويودّعون أهاليهم وداع من لا يحتمل عودته،  وقد حفل التاريخ الأحسائي بالعديد من المحن والحوادث التي ذهب ضحيتها عدد من الحجّاج.

فکان أحد الحلول الناجعة جعل عطايا سنوية لأمراء  المناطق وزعماء القبائل الواقعة على طريق الحاجّ، مقابل قيامهم بحماية الحجيج أثناء عبورهم في أراضيهم، ومنع قُطّاع الطرق وأبناء القبيلة من اعتراض الحجيج، وقد ذکرنا بعض هذه المبالغ والعطايا والمنح التي خصّصتها الدولة العثمانية لأمراء المناطق في نجد، مقابل تأمين وصول الحجّاج وتسهيل عبورهم في أراضيها مع توفير الخدمات اللازمة لهم.

الباب الثاني

معالم طريق الحج الأحسائي

و فيه:

\* بيان بعض المصطلحات القديمة

\* المسافة بين الأحساء والحجاز

\* العوامل المؤثرة في تحديد طريق الحج

\* \* \*

\* بيان بعض المصطلحات القديمة:

قبل التطرّق والکتابة عن المسافة التي يقطعها الحاج من الأحساء إلى بيت الله الحرام بمکة المکرمة، يجدر الإشارة إلى توضيح بعض المصطلحات التي کانت معروفة ومتداولة في تلك الأزمنة الغابرة، والتي تتمثّل في وحدات قياس المسافة والزمن، وذلك على النحو التالي:

البريد:

وهو أربعة فراسخ، والفرسخ: ثلاثة أميال، فإذا کان الميل يساوي (609/1کم)، فيمکن تحديد المسافة بالکيلو ليکون مقدار الفرسخ يساوي (827/4کم)، فإذا قلنا البريد أربعة فراسخ فالنتيجة تکون أنَّ البريد يساوي (308/19کم) تقريباً.

الذِّراع:

وهي من رأس أطول أصبع في اليد إلى نهاية عظم المرفق (من ذراع الآدمي المعتدل الخلقة)، والذراع المعتدل بمقاييس الطول الحديثة يساوي قرابة (48/.متر).

الفرسخ:

الفَرسَخ: جمع فَرَاسِخ، وهو من مقاييس المسافة قديماً. وأصل الکلمة فارسية معربة من کلمة (پرسنگ) أو (پارسنگ)، وتجمع أغلب المراجع اللغويّة على أنّ الفرسخ يعادل ما بين أربعة وستة کيلومترات في النظام الدولي الحالي،[[53]](#footnote-53) وعرّفه البعض فقال: الفَرْسَخ بفتحٍ فسکون لفظٌ معرّب، وجمعه فراسخ، وهو مقياس من مقاييس المسافات مقدره ثلاثة أميال أي إثنا عشر ألف ذراع مما يساوي (544/5کم).

المرحلة:

هي مسيرة يوم کامل للإبل، ويقدّر خبراء الإبل بأنّ أقصى ما تمشيه الإبل في اليوم هي مسافة تقدر ما بين 70 إلى 80 کم، ومقصودهم في النهار، أما الليل ففي العادة تتوقّف القافلة  عن المسير من أجل النوم والراحة، وقد تقصر المسافة نظراً لتعرّج الطريق وانحنائاته ووعورته فتصل المسافة اليومية المقطوعة إلى 40کم، وهناك تعريف آخر للمرحلة وهو کما يلي: المرحلة: بريدان والبريد:  أربعة فراسخ، والفرسخ: ثلاثة أميال عباسية، فتکون المسافة ثمانية وأربعين ميلاً.[[54]](#footnote-54)

الميل:

وهو من وحدات القياس الطوليّة التي ذکرها الرحّالة الأقدمون في حسابهم للمسافات، وهو بحسب المقاييس الحديثة المعتمدة فإنَّ الميل الواحد يعادل (609/1کم).

منزل:

وهو مصطلح يطلق على المکان الذي تتوقّف فيه القافلة بعد مسيرها الطويل من أجل التزوّد بالمؤن وأخذ قسطٍ من الراحة، ويکون (المنزل) إما مأهولاً بالسکان کالقرى حيث الآبار وتوفّر الماء حول الواحات، وقد تکون فقط مناطق معروفة ومشهورة تقع ضمن طريق الحاجّ، وهي على مسافات مختلفة قد تطول وتقصر.

ولهما مسمّيات معروفة ومتداولة بين الرحّالين، فيقولون مثلاً بين البصرة ومکة المکرمة 28 منزلة، أي محل للنزول والتوقف، أو نقطة عبور يتم المرور عليها، ويختلف عددها و مسمياتها من طريق إلى آخر من ناحية العدد والأماکن، علماً أنّ بعض الطرق تتقاطع في بعض المواقع و تفترق في أخرى.

يوم:

وهو في حقيقته يعود إلى (المرحلة)، حيث يقصدون به مسيرة يوم بالإبل، فيقولون بين الأحساء والعارض ستة أيام، وبين العارض ومکة المکرمة ثمانية عشـر يوماً وهکذا...، وهي عبارة عن مسيرة يوم للإبل في حالته الطبيعية المستوية، مع حساب التوقفات المعتادة، فهو حساب تقريبي وليس على وجه الدقة، وقد يختلف من وقت لآخر تبعاً لبعض الظروف، وحجم القافلة وأعداد مرافقيها.

فعلى سبيل المثال المسافة بين الأحساء إلى البريمي في عمان يرى (لوريمر) أنه يمکن قطع المسافة بين الهفوف والبريمي في عشرة أيام،  أما القوافل فتقطع المسافة في مدة  شهر،[[55]](#footnote-55) ونلحظ مقدار التباين في الوقت بين الأفراد والقافلة.

وتکمن أهمية تحديد الأيام والمراحل في تقدير الوقت الذي تستغرقه الرحلة ليکون الإستعداد بحسبها من حيث التزوّد بالمؤن.

\* المسافة بين الأحساء والحجاز:

تعدّدت الأقوال في تحديد المسافة بين الأحساء وبلاد الحجاز تبعاً لإفادات مختلفة من المؤرخين، وذلك بشأن تقدير المسافة الطولية والزمنية التي استغرقوها أثناء رحلاتهم التي قاموا بها بين الأحساء والحرمين الشريفين مکة المکرمة والمدينة المنورة، وهنا سنحاول استعراض عدد من هذه الأقوال لنتعرّف على المسافة وتقديراتها، من خلال عدّة  اعتبارات مختلفة:

أولاً: من خلال الطريق المباشر، المسافة بين الأحساء ومکة المکرمة:

وردت في المصادر القديمة عدّة تقديرات للمسافة بين الأحساء ومکة المکرمة تبعاً لتجربة الرحالة أو صاحب قافلة الحجّ، وهي في حقيقتها تقديرية لاختلاف المسافة تبعاً لعوامل عديدة نأتي عليها فيما بعد، فقد ذکر الجغرافيون والمؤرخون والرحالة المسافة التي يقطعها الحاج من الأحساء إلى مکة المکرمة، ولهم في ذلك أقوال مختلفة.

يقول ناصر خسرو (ت481هـ) في کتابه (سفرنامه):

«بعد إتمام الحج استأجرت جملاً من أعرابي لأذهب إلى الحسا، وقيل إنهم يبلغونها من مکة في ثلاثة عشر يوماً»،[[56]](#footnote-56) وهو کلام غير دقيق، إلّا إذا کان الحديث عن الأفراد ومن يحثّون السُّری ليلاً ونهاراً، ولا يتوقّفون إلّا لساعاتٍ قليلة.

بينما يقدّر المؤرِّخ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري الجزيري (911ـ977هـ) في مطاوي کتابه «درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مکة المعظمة»، المسافة بقوله: «بين الأحساء ومکة المکرمة ثلاثمئة وثلاث وثلاثون ميلاً، بما يعادل مئة وإحدی عشر فرسخ، في الجهة الغربية منها».[[57]](#footnote-57)

والکلام هنا لا يخلو من مبالغة کسابقه، فالمسافة أطول مما قاله بکثير، وکلامه مبني على السماع لا على التجربة وخوض الطريق.

وممن قام بتحديد المسافات بين الأحساء والديار المقدسة، والمناطق الأخری التي على طريق الحاج الأحسائي وقد استفاد منه من جاء بعده هو حاجي خليفة المعروف بـ «کاتب جلبي»، (1017ـ 1068هـ) حيث يقول:

«فصل بيان نجد (العارض)... بلد واسع يخترقه جبل يسمونه جبل العارض ويسمونه الآن جبل العمارية، إلّا أنهم لا يدخلون في طاعة الأشراف، وبداية هذا الجبل تبعد عن الحجاز ثلاثة مراحل، ويمتد أحدها إلى نجد العارض، وغرب هذا الجبل يقف مثل الجدار من الحجر الأبيض، والوجه الشرقي منه أرض رملية، وتقع حجر اليمامة في وسط وجه الحجر الشرقي، وهي تبعد عن الوجه الحجري من اليمامة مرحلتين، وتقع سرين في وسط العارض ويوجد في هذا الجبل وادٍ يسمونه وادي بني حنيفة وفي هذا الوادي توجد المياه والأشجار والنخيل في غاية من الجمال وقد زينت في أطرافها القری، ويوجد في أعلاها بلدة الدرعية، وفي أسفلها ضبيع، وأهلها بنو تميم وشيخهم آل مريد، والدرعية تقع على طريق حجّاج الأحساء، وواديها في غاية الصعوبة، وبلاد العارض تقع على هذا الوادي، ويوجد بالقرب منها جبل أبو عوف، والعيينة بلدة جميلة وهي تقع في الشمال الغربي من الدرعية وبها عنب فاخر وخوخ وتمر وخوخها ينبت من نفسها، أما ملهم فتبعد ست مراحل من الأحساء ويوجد بها قصب السکر والتمر والعنب والخوخ».[[58]](#footnote-58)

إلی أن يقول:

«أما مراة (مرات)،[[59]](#footnote-59) فهي تبعد عن الدرعية مرحلتين، وبها ماء ونخيل، ووقف مراة يبعد شمال غربها ستة أميال وبها نبع مياه، وتبعد عن الدرعية مرحلتين، ومن شقراء خمس مراحل ولها واديان يقعان بالقرب منها،  وفي شقير، يوجد أثمار، وبلدة الرياض تقرب من الأحساء، وهي تشمل على بلدات وقری من بلداتها منفوحة، وهي تبعد عن الأحساء ست مراحل، وبقرب قصـر الدرعية توجد معکال، في شرق الدرعية وهي تقع في مرحلة واحدة من اليمامة».[[60]](#footnote-60)

وأوضح «کاتب جلبي» منازل وطرق حجاج الأحساء التي تمر بالعارض، فأشار بالقول: «إلی جُودة ومنها إلى ضان إلى الدهناء إلى دحل وإلی جبل عرنة، ومنها إلى ملهم إلى جفر إلى ربض - لعلها الرياض - إلى الدرعية إلى حيسية إلى مراة (مرات) إلى الشعراء».[[61]](#footnote-61)

«أما حاج السلمية والدلم فيخرجون منها إلى وادي بريك ونعام، ثم يتجهون غرباً (غرب العارض).

ويمر على هذا الوادي أيضاً طريق رکب الحساء والقطيف، وفيه يقول الشاعر:

لَعَلَّكَ تُوطِينِي نَعَاماً وَأَهْلَهُ

وَلَوْ بَانَ بِالحُجَّاجِ عَنْهُ طَرِيقُ

وهذا الوادي من أکبر الطرق المعتبرة للقوافل التي تمتار من الحوطة والحريق والخرج مقبلة من العالية وعائدة إليها ومعه طريق حجّاج تلك الجهة وما يصاقبها،[[62]](#footnote-62) شرقاً».[[63]](#footnote-63)

ففي هذا الکلام تتضح بعض معالم الطريق التي تتخلّل طريق الحاجّ من الأحساء إلى الديار المقدسة، لکنّ «کاتب جلبي»، لم يعطِ مسافاتٍ دقيقة أو مترابطه نستطيع من خلالها تحديد معالم الطريق الذي أراد بيانه، بغرض معرفة مجموعة من أهم المحطات والمعالم التي يتوقّف عندها الحاج الأحسائي في طريقه وما تمتاز به من خصب ورعي وجبال.

وهنا نشير إلى أنّ ابن علوان الدمشقي سلك طريق الحاجّ الأحسائي في زيارته للأحساء، وذلك عندما قفل راجعاً من حجّه لبيت الله الحرام وزيارة المسجد النبوي مريداً بذلك زيارة العتبات المقدسة بالعراق وذلك عام 1121هـ، فحينما سئل عن المسافة بين الأحساء ومکة المکرمة ذکر أنه قطعها مع الرکب في ثمانية عشر يوماً، وإنَّ الإياب من مکة إليها يبلغ خسمة وعشرين يوماً.[[64]](#footnote-64)

المسافة بين الأحساء والمدينة المنورة:

توجد عدّة تقديرات للمسافة بين الأحساء والمدينة المنورة، إذ يُقدِّر الجغرافي «الإصطخري» في کتابه «المسالك والممالك» المسافة من البحرين إلى المدينة المنورة بنحو خمس عشرة مرحلة.[[65]](#footnote-65)

أما صاحب «أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك»، فيذکر بأنّ المسافة بين الأحساء والمدينة المنورة 21 يوماً، حيث يقول واصفاً الأحساء:

«وهي ذات نخيل کثيرة ومياه جارية ومنابيعها حارَّةٌ شديدة الحرارة، وهي في البرية،... وليس للأحساء سور، وبين الأحساء واليمامة مسيرة أربعة أيَّام»،[[66]](#footnote-66) ثم يذکر أنّ المسافة المقدّرة بين اليمامة والمدينة المنورة هي خمس عشر مرحلة.[[67]](#footnote-67)

ثانياً: من خلال الطريق غير المباشر:

ويمکن حساب المسافة بطريقة أخرى، وذلك باعتبار تقسيم المسافة إلى نصفين من الأحساء إلى اليمامة، ومن اليمامة إلى مکة المکرمة وهي کما يلي:

المسافة من الأحساء إلى اليمامة:

هناك عدة تقديرات للمسافة نذکرها، وهي:

المسافة بالفراسخ:

فقد ذکر «ناصر خسرو» المسافة ناظراً لعدد الفراسخ التي تفصل بين البلدين، فيقول: «وَمن الْيمَامَة إلى الحسا أَرْبَعُونَ فرسخاً وَلَا يَتَيَسَّر الذّهاب إليها إِلَّا فِي فصل الشتَاء حِين تتجمّع مياه الْمطَر فيشرب النَّاس مِنْهَا، وَلَا يکون ذَلِك فِي الصَّيف».[[68]](#footnote-68)

ووفق هذا التقدير لو أردنا ترجمة المعنى المقاييس الحديثة فإنّ المسافة بحسب قوله تکون کالتالي:

\* الفرسخ ثلاثة أميال = 3× 609/1=827/4کم

\* المسافة کاملة: 40 × 827/4=08/193کم

والصحيح أنّ المسافة بحساب الکيلومتر هي 450کم، فحتى لو قلنا باختلاف الطرق بين الماضي والحاضر فمن غير المعقول أن يکون الفارق بهذا الحجم الکبير.

وهذا يعطينا اعتقاداً جازماً بعدم صحة کلام ناصر خسرو، من حيث أنَّ کلامه أبعد ما يکون عن الواقع واعتماده على النقل في تحديد المسافة.

المسافة بالأيام:

أما صاحب (أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك)، فقد حسب المسافة باعتبار آخر وهو عدد الأيام التي يستغرقها الطريق بين البلدين، حيث يقول: «وليس للأحساء سور، وبين الأحساء واليمامة مسيرة أربعة أيَّام، وأهل الأحساء والقطيف يجلبون التمر إلى الخرج وادي اليمامة، ويشترون بکل راحلة من التمر،  راحلة من الحنطة».[[69]](#footnote-69)

وهذا خلاف ما ذکره «الحموي» في معجمه من أنَّ المسافة بين البحرين واليمامة مسيرة عشرة أيام.[[70]](#footnote-70)

وقد اختلفت التقديرات بين أربعة أيام إلى عشرة أيام، فإذا قلنا بأنَّ المسافة اليومية التي يمکن قطعها في حدود 70کم تقريباً فإنَّ المسافة تستغرق ما تعادله بالأيام حسب الآتي:

\* 4أيام = 280کم

\* 10 أيام = 700کم

وکلا القولين بين المبالغة والتقصير في تقدير المسافة، بينما حدّده البعض بسنة أيام، وهو الأکثر دقة وعليه يکون:

\* 6 أيام = 420کم.

المسافة من اليمامة إلى مکة المکرمة:

في حين ذکر بعض البلدانيين أنّ المسافة بين اليمامة ومکة المکرمة خمس عشـرة مرحلة.[[71]](#footnote-71) فإذا قلنا بأنَّ مسير الإبل في اليوم حدود (70) کم، فإنّ المسافة تکون بين اليمامة ومکة حدود (1050) کم، وهي مسافة ليست بعيدة عن الواقع، لو کان الطريق مباشراً وقليل التعرّجات التي نجدها اليوم في سير السيارات الحديثة.

\* العوامل المؤثرة في تحديد طريق الحج:

الراصد لخط سير الحجّاج مِن و إلى الأحساء والمتتبّع لحرکتهم و تنقلاتهم يلحظ تباين التقديرات الحسابية للمسافات المقطوعة بين مختلف القرى والمحطّات والمنازل من لدن المؤرخين والرَّحالة، ولعلّ مردّ ذلك عدّة عوامل شاخصة ينبغي أخذها بعين الاعتبار، وأهمّها ما يلي:

1ـ اختلاف الطرق:

کثيرة هي الطرق المسلوکة من الأحساء إلى اليمامة أو من الأحساء إلى مکة المکرمة، وقد تختلف المسافات باختلاف الطريق التي هي متباينة طولاً وقصراً وهذا ما سنلاحظه خلال الصفحات القادمة في تحديد المناطق التي يمرّ عليها الحاجّ الأحسائي، أو الطرق بين الأحساء ومکة المکرمة، والتي ذکرها الجغرافيون في مدوّناتهم وتصانيفهم.

وهذا الاختلاف البيّن في المسافات بين النُّزل القائمة على الطريق أتاحت لقوافل الحجّ فرصة للمراوغة والوصول إلى الديار المقدسة بعيداً عن الطرق المعهودة والتي يترصّدها عادةً قُطّاع الطرق من القبائل القاطنة وسط الصحراء، وتشکل عقبة  کَأْدَاء أمام الوصول بسلام لمکة المکرمة.

2ـ حالة الطقس حين المسير:

فقد ذکر المهتمّون بدراسة الطرق والمسالك أنَّ الحجّاج کانوا يسلکون طريقاً معيّناً إذا کان موسم الحجّ في فصل الصيف، مختلف عنه في فصل الشتاء، وذلك أنه في الصيف تحتاج القافلة إلى البحث عن منابع الماء والمنازل طوال الطريق للتوقّف عندها من أجل التزوّد بالماء، وسقي الإبل من جهة أخرى، وهذا قد يحرفهم عن الجادّة لمسافات طويلة تسهم في تأخر الوصول وطول المسافة.

بخلاف لو کان موسم الحجّ يصادف فصل الشتاء فإنَّ الحاجة للماء تکون أقل والدوابّ أکثر تحمّلاً للعطش، وبالتالي يأخذ الطريق مساراً آخر، يتناسب مع طبيعة الطقس، فيکون انتقاء أقرب الطرق الموصلة إلى مکة.

يقول الشبانات في کتابه عن بلاد الصمّان حول مسير القوافل من البحرين إلى الحجاز:

«تتنقل برّاً بواسطة الجمال إلى أواسط نجد،  ومنها إلى الحجاز کقوافل الحجّاج، وکانت قوافل الإبل المحملة بالبضائع والمؤن والمسافرون تشق طريقها في الصحراء عبر دروب متعددة حسب جهتها، وهذه القوافل تمرّ في طريقها بصحراء الصمّان،  فيعمد سالکوها المرور بموارد الماء الموثوق بها، خصوصاً في فصل الصيف، وفي الشتاء يسلکون دروباً غير مشهورة لا تمرّ بموارد الماء لکونها أقصـر مسافة، ولأنّ الإبل لا تحتاج إلى الماء في الشتاء مثل الصيف».[[72]](#footnote-72)

ومثل هذا الکلام تکمن أهميته أنه لا يختص بالسائرين على طريق الصمّان إلى اليمامة فقط، وإنما يشمل جميع مراحل الرحلة إلى الديار المقدسة سواء في الذهاب أو الإياب، حيث يکون هناك منازل، وصحاري يعبر عبرها الحاج، منها ما هو طويل المسافة، ومنها ما هو أکثر اختصاراً، إلّا أنه أحد العوامل المؤثرة في اختيار الطريق هي مسألة الطقس حارّاً أو بارداً.

ومن جهة أخرى - في مثل هذه الظروف رغم البحث عن الطرق القريبة لقلة الحاجة للماء - فإنه ينبغي مراعاة تجنب السير بين الجبال والأودية قدر المستطاع لما قد يحدث فيها من سيول جارفة نتيجةً لوقوع الأمطار على قمم الجبال، مما يجعل السير والعبور منها من الأمور العسيرة ويکتنفها الکثير من المجازفة والمخاطرة.

3ـ البعد الأمني في الطريق:

عطفاً على ما سبق استطراده من بيان في مطاوي البحث فإنّ طريق الحاج محفوف بالمخاطر ومليء بقُطّاع الطرق وممن يأخذون ضريبة العبور من رجال البادية، مما يرهق الحاجّ ويکلفه الکثير، لذا يراعي أمير الحاج توخّي الحذر أبان سيره بالبعد عن مواطن تجمع قُطّاع الطرق، أو مخيمات البدو ذوي السمعة السيئة في طريق الحجّاج.

وقد سبق أن أشرنا لبعض الحوادث المتعلقة بطريق الحاجّ الأحسائي، وإن کانت المأساة عامة شاملة لجميع الطرق المختلفه، فهناك تقاسم داخلي بين القبائل للصحراء وطرق الحاجّ بحيث تتولى کلّ قبيلة جزءاً منها تتصيد من خلاله القوافل الواصلة بغرض فرض ضريبة وإلزامهم بدفعها طوعاً أو کرهاً مقابل قطع هذا الجزء من الطريق، بحيث إن الحاجّ لو تجاوز عقبة لا يضمن نجاته من الأخرى، وحتى قدرته الماليّة قد تتضعضع جرّاء ما يستنزفه على شکل ضرائب.

لذا قد يصادف في بعض الأعوام إنّ الحجّاج يرجعون من حيث أتوا نتيجة للأزمات والصعوبات التي تکتنف الطريق، فلا يکون حجّ في ذلك العام نظراً لضيق الوقت وفوت الموسم عليهم.

وقد يلجأ قائد القافلة وأمير الحاجّ إلى اللجوء للطريق البحري بأن يرکب البحر من ميناء العقير إلى جدّة ملتفاً على الجزيرة العربية، ومنها إلى مکة نظراً لقصر المسافة وقلة القبائل المتواجدة عليه، بالإضافة إلى حرص الدول الحاکمة على تأمين طريق الحاجّ قدر المستطاع وحماية  سالکيه.

4ـ خبرة الدليل:

لا يمکن لأي رکب أن ينطلق إلّا بوجود دليل ومرشد خبير بمواقع النجوم والمنازل والطرق بتعرجاتها ووعورتها، فإذا کان على دراية کبيرة جنّبهم وعورة الطريق والمسافات الطويلة عبر اختيار أحسن وأفضل الطرق للوصول إلى مکة المکرمة.

لهذا برزت مجموعة ممن لديهم خبرة بطرق الحاجّ سواء من أهل المنطقة أو دليل من أهل البادية، ويشترط فيه معرفته بالمسافات وأماکن الآبار والمنازل التي يتوقف عندها الحاجّ، کما يشترط أن تکون لديه إحاطة تامّة بالطرق البديلة التي يمکن أن يسلکها الحجّاج عند انغلاق طريق الجادّة.

کما أنَّ هناك جانب مهمّ في شخصية الدليل لا يمکن تغافله، وهو خبرته ودرايته وعلاقاته العامّة بالقبائل التي تعيش في طريق الحاجّ، علاوةً على ذلك معرفته بمساحة تمدّدها الجغرافي وحدود نفوذها ليتجنب القبائل ذات الصيت السـيء المشهورة بقطع الطريق واستغلال موسم الحج في النهب والسلب.

5ـ حجم القافلة:

إنَّ حجم القافلة وضخامتها له أثر في سرعة وبطىء سير القافلة، فکلما کبر العدد کلما کان هناك حاجة لکثرة التوقفات ومراعاة الضعيف فيهم، کما أن توقفاتهم للطعام أو لقضاء الحاجة تطول مما يسهم بدرجة في طول المسافة.

6ـ اقتناء البضائع والمؤن:

عادةً ما يأخذ الحجّاج سواء عند الذهاب أو الإياب بضائع ومنتجات وحرفيّات من بلدهم إلى مکة المکرّمة، مما يسهم في تثاقل حرکة النقل والمشـي في القافلة، وهنا لفتة مهمة أشار إليها ابن علوان عندما سأل الحجّاج عن المدّة يستغرقها الطريق بين الأحساء ومکة المکرمة ذهاباً وإياباً، فقال: «وذُکِرَ لنا أنّ المسافة من الحسا إلى مکة أتوها الحاجّ بثمانية عشر يوماً، وإنَّ الإياب من مکة إليها يبلغ خمسة وعشـرين يوماً».[[73]](#footnote-73)

من هذا الاقتباس نلحظ أنَّ الفارق هو (7) أيام زيادة لصالح الإياب، وذلك بسبب الهدايا التي يحملها الحاج معهم لأهليهم وأقاربهم کبرکة من الديار المقدسة، وقد يکون الإنهاك والتعب في العودة ممن يجعلهم أضعف وأکثر حاجة للراحة. کما يمکن للقوافل في طريق العودة أن تتخذ مساراً مختلفاً عن طريق الذهاب تحسباً لوجود من يکمن لهم في الطريق ويترصدهم، لأنّ الحاجّ بعد فراغه من أداء المناسك همّه الأکبر الوصول سالماً بغضّ النظر عن الوقت الذي يستغرقه ذلك، لذا يعمدون لطرق بعيدة لکي تکون أکثر أمناً وسلامة من الطرق المختصرة والمطروقة من الحاجّ.

7ـ العامل التاريخي:

ونقصد به التعاقب التاريخي للحقب الزمنيّة، فقد نلاحظ محطّات ومنازل متآخمة لطريق الحجّ تتغيّر مسمّياتها وحتى مواقعها من فترة إلى أخرى،  وقد يصل الأمر إلى اندثارها وطمس معالمها.

ذکر المؤرّخون والجغرافيون الأوائل أنَّ للحاجّ الأحسائي عدّة طرق مختلفة تبعاً لما سمعوه، أو ما لمسوه من خلال تجاربهم الشخصيّة، وذلك لرحلة الحجّ من الأحساء إلى مکة المکرمة أو العکس.

وهذا قد يتأثر نتيجةً لاندثار المعالم والشواهد العلامات وبروز معالم أخرى في نفس المکان أو ما جاوره، فما کان عامراً ومزدهراً في حينٍ من الوقت وسبباً لاتخاذه طريقاً في زمنٍ من الأزمنة، قد يصبح مهجوراً ومتروکاً في زمن آخر، وتبعاً لهذا يتغير الزمن والمسافة.

\* الفصل الأوّل: الطرق المباشرة إلى مکة المکرمة

طرق ومنازل الحاجّ من الأحساء إلى مکة المکرمة:

وردت في المصادر التاريخية مجموعةٌ من الطرق التي سلکها حجّاج الأحساء على مدى العصور الإسلامية، حيث استطعنا رصد مجموعة منها من خلال المصادر التاريخية وما سطّره الرحّالة في مدوّناتهم، وهي کما يلي:

الطريق الأول، الطريق القديم من الأحساء إلى مکة:

سلك الأحسائيون خلال تاريخهم الطويل عدّة طرق إلى الديار المقدسة تبعاً للظروف المختلفة، حيث عاصروا الحقب التاريخية التي أسهمت في تغيّر الطرق والمنازل التي اعتاد الحجّاج التوقف عندها للتزوّد والراحة.

وسنعرض هنا واحداً من الطرق التي تعود إلى القرن الثالث الهجري، والذي يعد من أقدم الطرق التي تمّت الإشارة إليه للحاجّ الأحسائي، وقد رصدناه من خلال ثلاثة جغرافيين لهم باعٌ واسع في معرفة الطرق والمسالك بمختلف البلدان، حيث أشار کلُّ واحدٍ منهم إلى جزئية من الطريق لتکتمل الحلقة من ا لأحساء إلى مکة المکرمة، وهي على ثلاث مراحل:

\* المرحلة الأولى، من الأحساء إلى اليمامة:

تعدّ الأحساء البوابة البحرية لمنطقة نجد وما حولها، کما أنّ نجد هي طريق القوافل الخارجة من الأحساء والمتجهة لوسط الجزيرة العربية من أجل التجارة أو إلى الحجّ، وحيث أنّ منطقة الخرج هي أقرب المناطق للأحساء من جهة تهامة، لهذا کانت قوافل أهل نجد من الدواسر إلى حوطة بني تميم يأتون إلى الخرج لمرافقة القوافل الميمّمة شطر الأحساء عبر (الوسيع) أو (أبوجفان)، ويتبعهم أهل شمال نجد وحجر اليمامة لبدء رحلتهم إلى الأحساء، وذلك لأنَّ هذين الموردين لا يوجد بعدهما موارد ماء معتمدة في الطريق إلى الأحساء (مسافة 4 أيام)، کما أنّ رمال صحراء الدهناء تکون مسافة عرضها أقل عبر هذا الطريق المعروف قديماً بـ: (طريق زري)، والوقت الحاضر بـ: (درب مزاليج)، وقد أشار الهمداني إليه في طريق الأحساء اليمامة.

وإليك وصف الطريق الذي ذکره أبو محمد الحسن الهمداني، مع تحقيق الأماکن التي ذکرها الهمداني، وتبيين المصطلحات الموجودة في النص، لما لذلك من أهمية تکمن في معرفة طبيعة رحلة الحجّ وما يکتنفها من صعوبات.

فقد ذکر الهمداني (280 - بعد 336هـ)،[[74]](#footnote-74) في کتابه: «صفة جزيرة العرب»، عند الحديث عن درب حاجّ الأحساء إلى اليمامة:

«وإذا أراد أهل البحرين التوجّه إلى اليمامة صعدوا الطريق، فيکون عن يمينك «خرشيم»،[[75]](#footnote-75) وهي هضاب وصحراء مطّرحه إلى«الحفرين» وإلى«السّلحين»،[[76]](#footnote-76) و«الحفران» هما حفر الرّمّانتين، وهن من مياه «العَرْمَة»،[[77]](#footnote-77) وأمام وجهك وأنت مستقبل مغرب الشمس مطلعك من الجيش. «فالحابسيّة»،[[78]](#footnote-78) ثم «مزلقّة»،[[79]](#footnote-79) مفعّلة، ثم «الموارد»، ثم «الفروق الأدنى»، ثم «الفروق الثاني»،[[80]](#footnote-80) ثم تطلع من الفروق من الخوار؛ «خوار الثّلع»، ثم «الصّليب»، وعن يمينك الصّلب؛ صُلب المِعَى و«البُرقة»؛[[81]](#footnote-81) بُرقة الثور.[[82]](#footnote-82)

ثم «الصّمان»،[[83]](#footnote-83)... ثم ترجع إلى طريق «زُرَي»،[[84]](#footnote-84) قاصداً إلى اليمامة، فمن عن يسارك الدبيب: ماء يسمى بالدبيب،[[85]](#footnote-85) وأنت جائز بالصحصحان،[[86]](#footnote-86) ومن عن يمينك ماء،[[87]](#footnote-87) يقال له الدّحرضي،[[88]](#footnote-88) وفيه يقول عنترة:

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ

زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ

ثم تقطع بطن قوّ،[[89]](#footnote-89) ثم السمراء،[[90]](#footnote-90) وهو أرض سهب،[[91]](#footnote-91) ثم تأخذ في الدهناء،[[92]](#footnote-92) وهي هناك مسيرة يوم، وتثني من طريق «زري»، تأخذ على الشجرة،[[93]](#footnote-93) وهي الشجرة ذِي الرُمَّة،[[94]](#footnote-94) التي مات تحتها،[[95]](#footnote-95) وکتب فيها شعره، ثم تخرج من الجبال والشقاق إلى العثاعث،[[96]](#footnote-96) وهي السلاسل وأنت في ذلك تأخذ طريقاً يقال لها الخلّ؛[[97]](#footnote-97) خلّ الرمل فأوّل ماه ترده من العَرْمَة من عن يسارك. قلت هبل، وهي تنکش وتعضب سريعاً،[[98]](#footnote-98) ومن عن يمينك قلات يقال لها النّظيم؛[[99]](#footnote-99) نظيم الجفنة، ومن عن يمين ذلك على ميسـرة الشباك،[[100]](#footnote-100) شباك العَرْمَة والغرابات.[[101]](#footnote-101)

ثم تقطع العرمة فترد وَشِيْعاً؛[[102]](#footnote-102) وهو من مياه العرمة،[[103]](#footnote-103) إلّا أنه مفضـي في ناحية القاع،[[104]](#footnote-104) وفيه يقول الرّاجز:

کأنها إنّ وردت وشيعاً

خيطان نبع کتمت صدوعا

ثم تسير في السّهبَاء،[[105]](#footnote-105) ثم تقطع جبيلاً قريباً يقال له أنقد،[[106]](#footnote-106) ثم الروضة.[[107]](#footnote-107)

ثم ترد الخضرمة؛[[108]](#footnote-108) جوّ الخضارم مدينة وقرى وسوق، فيها بنو الأخيضـر بن يوسف، وهي دار بني عدّي بن حنيفة، ودار بني عامر بن حنيفة، ودار عجل بن لجيم، و ديار هوذة بن على السّحيمي الحنفي، وهي أول اليمامة من قصد البحرين».[[109]](#footnote-109)

وفي هذا الموجز حول طريق الحاجّ أشار إليه عدّة نقاط مهمّة جديرة بالإشارة:

\* إنّ المصطلحات المستخدمة قديماً تختلف عنها المستخدمة اليوم، لذا يصعب فهم الکثير من المسميات القديمة نتيجة لتغير اسمها مع مرور الزمن.

\* نلحظ الدقة لدى القدماء وأبناء الصحراء في تسمية أجزاء الصحراء وأبعادها يمنة ويسرى، بحيث يسير العارف بها ويعلم بکلّ جزء منها مما يجعله عارفاً بميزات کلّ جزء فيها و يفرقه عن غيره، وهو ما يطلق عليه (منازل)، وله عدد معين معروف بينهم، وهي بمثابة مسافات يعرفون من خلالها کم مضـى من الطريق وکم بقي منه؟

\* وجود عدد من الآبار ومنابع المياه طوال الطريق قام البداة والولاة ورجال الخير بحفرها لينتفع بها روّاد هذه الطرق يعرفون مواقعها وله مسميات خاصة بها تميزها عن غيرها،  إضافة إلى مواقع زراعية وأماکن مرعى تساعد على تغذية الإبل والرواحل في طريق الحجّ ومسير القوافل.

\* معظم الأراضي التي في طريق الحاج تسيطر عليها مجموعة من القبائل تعدّ هذه الصحاري مسکنها ومعروفة بها منذ مئات السنين بينها و بين القبائل المجاورة تحالفات و معاهدات بعدم التعدي على المساحات التابعة لها.

\* بعض المواقع ارتبطت بأحداث تاريخية سواء معارك أو قبور أو غيرها مما يجعلها معروفة بين أرباب البادية، کما يوجد أسواق ومراکز يجتمع فيها أهل البادية، وتاريخها ربما يعود إلى العصر الجاهلي، وقد ذکر بعضها، وهي مما تستفيد منه القوافل في طريقها بحيث تتزود بالمؤمن ولوازم السفر.

\* ولعلّ المشکلة في الوصف الجغرافي لبعض المعالم، عدم تطابق معاني بعض المصطلحات المستخدمة في القرن الثالث الهجري مع المصطلحات الحديثة أو المتأخرة، نتيجة لاستخدام أسماء جديدة أصبحت غير مألوفة في القرون المتأخرة؛ لذا نجد اضطراب في شرح بعض المسميات مما أدخلنا في احتمالات قد يکون بعضها خاطئاً.

المرحلة  الثانية: من اليمامة إلى ضريّة:

اُختلف في سبب تسمية (ضرية) إلى أقوال عديدة، منها:

نسبة إلى ضِريّة بنت ربيعة بن نزال بن معد بن عدنان، وربما سميت ضِريّة نسبة لبئرها.

وضِريّة من المناطق القديمة، وهي من أشهر المناطق التي على طريق حجّاج البصرة والبحرين قديماً ففيها ملتقى طرق التجارة والحج.

ونبعت أهميتها لسببين:

\* الأول: کونها أصبحت مرکزاً للحمى الذي حماه عمر بن الخطاب لإبل الصدقة وأصبح يعرف باسمها، فيقال: حمى ضِريّة.

\* الثاني: کونها من أهمّ محطّات طريق الحاجّ البصري إلى مکة المکرمة.[[110]](#footnote-110)

وضريه من المناطق الغنية بالمياه والخيرات، وهي قرية عظيمة غنّاء يطؤها الطريق، فيها بنو عامر والنجار، وعامتها لآل جعفر بن سليمان.

وتعّد صقعاً واسعاً بنجد ينسب إليه الحمى يليه أمراء المدينة وينزل به حاجّ البصره بين الجديلة وطخفة، بينما ذهب البعض بأنها قريه لبني کلاب على طريق البصرة وهي إلى مکة أقرب.[[111]](#footnote-111)

وهي المرحلة التي أشار إليها ابن رستة بأنه ملتقى حاجّ البصـرة والبحرين، وتکمن أهمية هذه الإشارة - وإن کان أوجز في کلامه - إنّ طريق حاجّ البحرين في المنازل والمراحل بين مکة وضِريّة هي نفس مراحل ومنازل طريق حاجّ البصرة، وهو بهذا أعطانا مفتاحاً مهماً لبقية الطريق لحاجّ البحرين.

فطريق حاجّ البصرة کانت هناك عناية خاصّة به وإشارات کثيرة إليه في جميع مراحله لأنه سار عليه العديد من الخلفاء خلال الدولة الأموية والعباسية وکبار الشخصيات العلمّية والتاريخية، لذا کان إکمال الحلقة سهل بهذه الإشارة الهامة.

يقول ابن رستة (ت نحو 300هـ)،[[112]](#footnote-112) في بيان الطريق من البحرين إلى مکة في (الأعلاق النفيسة): «تخرج إلى اليمامة ومن اليمامة إلى الضريَّة،[[113]](#footnote-113) ومن الضّريَّة إلى مکة، والضّريَّة ملتقى حاجّ البصرة والبحرين، هناك يفترقون إذا انصرفوا من الحجّ، يأخذ حجّاج البصرة ذات الشمال، وحجّاج البحرين ذات اليمين».[[114]](#footnote-114)

ومن خلال هذا التعريف وما ذکره الجغرافيون عن ضرية، وما ذکره ابن رسته بأنها ملتقى الحاجّ، ندرك أهمية هذه البلدة وذلك لعدة أمور:

\* وجود عدّة قبائل في محيطها: وهذا يعني وجود سوق مفتوح ومکان للتموّل والتزوّد، وأخذ الحاجيات الضرورية لمواصلة السفر وإکمال الطريق.

\* توفّر الماء: فقد ضمّت المنطقة بئر ماء حتى قيل إنه سميت باسمه، وهو من أهمّ مستهدفات المسافرين للتزوّد بالماء وسقي الرواحل.

\* وفرة المزارع والغطاء النباتي فيها: تعد «ضرية» من الأراضي الغنيّة بالمياه والأشجار والخيرات، حيث وصفها الرحالة «وهي قرية عظيمة غنّاء يطؤها الطريق».[[115]](#footnote-115)

المرحلة الثالثة: من ضريّة إلى مکة:

بعد الإشارة المهمة التي قالها ابن رستة أصبح باقي الطريق لحاجّ البحرين في القرن الثالث الهجري واضحاً وجليّاً، وأبرز من أشار لطريق حاجّ البصرة من ضرية إلى مکة المکرّمة والذي هو نفسه طريق حاجّ البحرين هو «ابن خرداذبه».

وهذه المرحلة تتکوّن من عشر منازل، بعدها الوصول إلى مکة المکرمة التي هي الغاية والهدف ونهاية الطريق:

يقول ابن خرداذبه،[[116]](#footnote-116) في (المسالك والممالك) عن طريق حاجّ البصرة:

\* «ثم إلى ضرية»:

وقد سبق الحديث عنها والتعريف بها.

\* «ثم إلى جُديلة»:

وجُديلة: مکان في طريق حاج البصرة، وهي من مياه بني وبر بن الأضبط بن کلاب. وجديلة: منهل من مناهل حاجّ البصرة،[[117]](#footnote-117) وأبرقا حجر: جبلان على طريق حاجّ البصرة بين جديلة وفلجة.[[118]](#footnote-118)

\* «ثم إلى فَلْجَة»:

منطقة على طريق الحاجّ يوجد بها بئر ماء وهي لبني العنبر،[[119]](#footnote-119) وتعدّ «فَلْجَة» منزل على طريق مکة من البصرة بعد أبرقي حجر وهو لبني البکاء، وموقعها بالتحديد في طريق البصره بعد الزجيج، عرفت بمائها المالح.[[120]](#footnote-120)

\* «ثم إلى الدثينة (الدفينة)»:

الدَثِينة والدفينة منزل لبني سليم، بعد فلجة من البصرة إلى مکة، ثم وجرة ثم نخلة ثم بستان ابن عامر ثم مکة.

کما أنَّ (الدثينة) ماء لبني سيار بن عمرو، کانت تسمى في الجاهلية (الدفينة) فتطيروا منها فسموها (الدثينة).[[121]](#footnote-121)

\* «ثم إلى قبا»:

قرية قباء أحد أحياء المدينة المنورة تقع جنوبي المدينة. يجري فيها وادي رانوناء، کانت من قبل قرية مستقلة على طريق القوافل القادمة من مکة ثم امتد العمران إليها فاتصلت ببقية أنحاء المدينة، ويروى أنها سميت قباء ببئر کانت بها يقال لها قبار، فتطير الناس منها فسموها قباء. تتميز قباء بکثرة المياه الجوفية، وقربها، وخصوبة تربتها لذا تکثر فيها مزارع النخيل، والعنب، والبساتين.[[122]](#footnote-122)

\* «ثم إلى مران»:

على بعد أربع مراحل من مکة إلى البصرة، بينها وبين مکة ثمانية عشر ميلاً، وفيه قبر تميم ابن مر وقبر عمرو بن عبيد، وهي بين البصرة ومکة لبني هلال من بني عامر، وتعدّ قرية غناء کبيرة کثيرة العيون والآبار والنخيل والمزارع وهي على طريق البصـرة لبني هلال وجزء لبني ماعز وبها حصن ومنبر، ويسکنها أناس کثيرون.[[123]](#footnote-123)

\* «ثم إلى وجرة»:

وَجْرَة: منطقة تاريخية، تعرف اليوم بـ: (قصر الخرابة)، بين مکة والبصره، بينها وبين مکة نحو أربعين ميلاً، ليس فيها منزل، فهي مربى للوحوش، ووجرة (البرکة)، والسي (منطقة رکبة): مواضع قرب ذات عرق ببلاد سليم.

وهي على طرق الحاجّ من البصرة إلى مکة بإزاء «الغمر» المعروفة اليوم بـ: (برکة العقيق، البرکة، برکة زبيدة) والتي تعدّ من منازل طريق الحاجّ الکوفي، منها يحرم أکثر الحاجّ وهي سرة نجد ستون ميلاً، لا تخلو من شجر ومرعى ومياه، يکثر فيها الوحوش.

وتعدّ من منازل الطريق لأهل البصره إلى مکة، بينها وبين مکة مرحلتان، ومنه إلى بستان ابن عامر ثم إلى مکة.[[124]](#footnote-124)

\* «ثم إلى أوطاس»:

وأوطاس: وتعرف اليوم بـ: (أم خرمان)، واد في ديار هوازن فيه کانت واقعة حنين للنبي9، مع بني هوازن. الغور من ذات عرق إلى أوطاس، وأوطاس على نفس الطريق، ونجد من حد أوطاس إلى القريتين.[[125]](#footnote-125)

کما أنَّ أوطاس اسم يطلق على الصحراء الواقعة شمال شرقي عشيرة، على صفة العقيق (عقيق عشيرة) من الشرق إلى قرب برکه زبيدة، يقع بسيان بطرفها الجنوبي، بها قصور، وأبيات، وحوانيت، وبرکة، وثم مسجد يقال له مسجد عائشة، بناه عبدالصمد بن علي.[[126]](#footnote-126)

\* «ثم إلى ذات عرق»:

ذات عرق وتسمي اليوم بـ: (الضَّريبة) مکان بالبادية قرب عقيق الطائف، سُمِّي بذلك لعرقٍ فيه والعرق هو الجبل، ويقولون إنه منتهى جبال تهامة يفصل بين جبال تهامة ونجد، وهو ميقات أهل العراق، وأهل المشرق قاطبة، ويبعد عن مکة بمرحلتيْن ونصف، بما يعادل مسافة 92 کم عن مکة شمالاً، أما عن «أوطاس» فهو على مسافة عشرة أميال.

وهي وادٍ تحدّه من الشرق والغرب سلسلة من الجبال الضخمة والذي تتميز الأحجار المکونة له بأنها ذات لونٍ أسود ممزوج باللون الأحمر، وهذه الجبال متصلة بجبال الحرّة الشهيرة التي تحد وادي العقيق الشهير من جهة الغرب.

وذات عرق من الغور، والغور من ذات عرق إلى أوطاس، وأوطاس على نفس الطريق، ونجد من أوطاس إلى القريتين.[[127]](#footnote-127)

وتعد (الضَّريبة) أحد روافد مرّ الظهران الکبير الدائمة الجريان، يسيل وادي الضريبة من جبلي ارثامة ومسولا، وأعلاه الشرافة، قراره أرض مرتفعة يسيل ماؤها الغربي الضَّريبة والشرقي في سلحة فعقيق عُشير.

ويقع ميقات أهل العراق والقصيم (ذات عرق) في الضَّـريبة حيث يقطعها درب المُنَقَّي، فيها مياه وفيرة، ولها روافد متعددة منها: نجل والرصن، والصُّبَير، والمحفار، ونجار معاء.[[128]](#footnote-128)

\* «ثم إلى بستان ابن عامر»:

«بستان ابن عامر» عند مکة، ويقال له: بستان ابن معمر، وهو مجتمع النخلتين اليمانية والشامية. بينما يرى بعضهم العکس، بستان ابن عامر بنخلة، هو عبد الله بن عامر بن کريز بن ربيعة. وغير صحيح: بستان ابن معمر؛ وإنه قول العامة. و ورد أيضاً بستان ابن عامر لعمر بن عبد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن کعب بن سعد بن تميم بن مرة بن کعب بن لؤي، ولکن الناس غلطوا فيه،  فقالوا: بستان ابن عامر، وبستان بني عامر، وإنما هو بستان ابن معمر، نسب إلى ابن عامر الحضرمي، وآخرون يقولون: نسب إلى ابن عامر بن کريز.[[129]](#footnote-129)

بينما يذهب البعض إلى کونهما بستانيْن مختلفيْن، فبستان ابن معمر غير بستان ابن عامر وليس أحدهما الآخر، فأما بستان ابن معمر فهو الذي يعرف ببطن نخلة، وابن معمر هو عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وأما بستان ابن عامر فهو موضع آخر قريب من الجحفة، وابن عامر هذا هو عبد الله بن عامر بن کريز، استعمله عثمان على البصرة، وکان لا يعالج أرضاً إلّا حفر فيها الماء.[[130]](#footnote-130)

\* «ثم إلى مکة»: [[131]](#footnote-131) و هي نهاية الرحلة إلى الديار المقدسة، حيث يتم القيام بالمناسك وأداء فريضة الحج.

طريق آخر:

ذکر ابن خرداذبه طريقاً آخر من اليمامة إلى مکة لا يمر على ضرية، حيث قال: «فمن عدل من النّباج، فإلى النّقرة».

الطريق من اليمامة إلى مکّة من اليمامة إلى:

\* العِرض (العارض)، أو هامة تدعو الصّدى بين المشقّر واليمامة: العِرْض: هو الجبل الممتد عَرضاً في وسط الجزيرة، ويعرف بهذا الاسم في الوقت الحاضر، وبجبل (طُوَيق) لبطويقه جزءاً من بلاد المنطقة الوسطى في الجزيرة.[[132]](#footnote-132)

\* «ثم إلى الحديقة»: قد يکون مراده منطقةً زراعية له اسم خاص، وقد عرّفها بالحديقه، مما فوّت علينا تحديد مکانها.

\*«ثم إلى السّيح»: من قرى الزلفي: وتقع مدينة الزلفي في إقليم نجد في أقصى شمال منطقة الرياض على الحدود القصيمية الشرقية، وتبعد عن مدينة الرياض مسافة 260کم تقريباً شمالاً، وهي مدينة عامرة کبيرة ذات أسواق تجارية ونخيل ومزارع و ذات أحياء متباعدة تقريباً.[[133]](#footnote-133)

\* «ثم إلى الثّنيّة»: تقع الثنية في جبل العارض الذي تخترقه فجاج واسعة، منها ينفذ إلى الأودية التي في جوفه، ومن أشهر تلك الفجاج (الأحَيْسـي)، وفي أعلى هذا الفج عقبة، و تلك تسمی (ثنية الأحَيْسـي)، ومنها ينفذ إلى (العِرض) وهو وادي حنيفة.[[134]](#footnote-134)

\* «ثم إلى سقيراء»: ويعني (شقراء): تقع على بُعد حوالي 185کم شمال غرب الرياض. وهي قاعدة الوشم وکانت شقراء نقطه توقف رئيسة على طريق الرياض/الطائف للحجّاج. وتعدّ أکبر مدن الوشم من حيث التجميع السکاني والوشم معدود من أرض اليمامة.

\* «ثم إلى السّدّ»: ولعلّ مراده (روضة سدير): تقع هذه الروضة في إقليم سدير الواقع في الجهة الوسطى من الجزيرة العربية وهي تابعة مدينة الرياض، وتبعد حوالي 160کم.

\* «ثم إلى صداة»: لم نتمکن من التعرّف على مقصوده، ربما تغير أسمها مع مرور الزمن.

\* «ثم إلى شريفة»: المراد غير معروف و لم أجد من المناطق ما يسمى بهذا الاسم.

\* «ثم إلى القريتين»: من طريق البصرة.

\* «ثم إلى المنازل التي قد مرّ ذکرها إلى مکّة».[[135]](#footnote-135)

الطريق الثاني، في: «مختصر الجغرافيا الکبير»

وهو طريق کان يسير عليه الحاج الأحسائي خلال القرن الحادي عشر، ولعلّ سار عليه قبل هذا الزمن بعدّة قرون، ذکره أبوبکر الدمشقي،[[136]](#footnote-136) في کتابه: «جزيرة العرب في کتاب مختصر الجغرافيا الکبير»، وعدّد فيه منازل الطريق التي يتوقف عندها الحاجّ. نذکرها مع بعض التعريف بها من خلال المصادر التي تتناول جغرافيا المنطقة. علماً أنّ هذا الطريق يؤخذ عليه عدّة ملاحظات، لعلّ من أهمها:

\* إنَّ المصنّف لم يعرّف بالمناطق والنُّزل، ولم يذکر بعض معالمها، وإنما اکتفى بذکر أسمائها من خلال ما سمعه ممن سار على الطريق.

\* إنَّ المصنّف وقع في أخطاءٍ کثيرة في مسميات المنازل المذکورة، ولعلّ مرجع ذلك عدم معرفته الدقيقة بالمنطقة، واختلاف اللهجات مما يجعل تعبيره عنها بلهجته قد يغيّر المسّمى، کما أنَّ الکتاب کتب في الأساس باللغة الترکية فترجمة المسميات من العربية إلى الترکية قد يودّي إلى تحريف في اللفظة أو تصحيفها بسبب اختلاف النطق کما هو معروف، ثم ترجمتها إلى العربية مرّة أخرى، مما ساهم في حدوث خلطٍ آخر، جعل الأسماء غير دقيقة في الکتاب.

\* وکون المصنّف ذکر طريق حاجّ الأحساء هو إشارة إلى أنّ الطريق کان معروفاً ومشهوراً في تلك الحقبة، وکان يسلکه الحجّاج القادمون إلى الحجاز من جهة المشرق، ولهذا أشار إليه ضمن طرق الحاجّ المعروفة في عصره.

طريق الحاجّ الأحسائي:

ويعتبر ما ذکره الدمشقي أبو بکر بن بهرام الدمشقي (ت1102هـ) من أقدم المصادر التي وصلتنا وذکر فيها منازل رحلة الحاجّ الأحسائي وطريق سيره من الأحساء إلى الديار المقدسة، وقد ذکر منازل الحاجّ من الأحساء إلى مکة المکرمة عبر المناطق التالية:

«من الأحساء، إلى جودة، ثم إلى ضان، ثم إلى الدهناء، وهناك دحل مي (رمل الدحى)، ثم منه إلى (جبل أبي عرفة)،  ثم إلى ملهم، ثم إلى الجفر، ثم إلى الربض (العِرض)، ثم إلى الدرعية، ثم إلى الحيسية، ثم إلى مراة، ثم إلى الشعراء، ثم إلى الحنابج، ومنها إلى المرقب، ثم إلى المنخنا (المنحنى)، ثم إلى العبلة، ثم إلى رکبة، ثم إلى ذات عرق، ثم إلى مکة المکرمة».[[137]](#footnote-137)

فقد ذکر سبعة عشر منزلاً في الطريق إلى مکة المکرمة يعبر من خلالها الحاجّ الأحسائي، لتکون محطته بعدها مکة المکرمة.

وهو هنا کما ذکرنا سابقاً قد أوجز وذکر المناطق الرئيسية فقط التي يسلکها الحاجّ دون الإشارة إلى تفاصيل المکان والمسافة بين منزلٍ وآخر، لذا سنحاول التعريف بها:

\* «من الأحساء إلى جودة»:

جُودة: ويسميها البعض (حمراء جودة) منطقة غنية بالخيرات، تعدّ من أحسن مراتع البادية وأخصبها، فيها حقول زراعية، معظم عمل أهلها الزراعة والرعي، وأرضها رملية مستوية يسکنها بعض البدو يوجد بالقرب منها (جبل الجودي)، وهي تقع غربي مدينة الهفوف على بعد يصل إلى (112) کم، باتجاه مدينة الرياض.

قال ياقوت الحموي: هي في بلاد بني تميم قال عبدة بن الطيب:

لولا يجودة والحي الذين بها

أمسى المزالف لا تذکو بها نارُ

وقال جرير:

فأنْتَ على يَجُودَةَ مُسْتَذَلّ

وفِي الحيَّ الذينَ علا لهابا

يقول العبيد في «الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية»: «لا يزال هذا الموضع معروفاً، ويقع في الشمال الغربي من المنطقة وإلى الغرب من عين دار. وفي المصادر القديمة يسمى أحياناً: (يجودة) بالياء».[[138]](#footnote-138)

\* «ثم على ضان»: وهنا لعل المقصود (الصّمّان) بحسب المعلق على کتاب الدمشقي،[[139]](#footnote-139) واعتماداً على الکثير من المصادر المشيرة لوقوعها على طريق الحاجّ الأحسائي.

قال الزبيدي في تاج العروس: «الصَّمَّانُ: کلّ أرض صلبة غليظة ذات حجارة إلى جنب رمل، کالصَّمَّانَةِ، سميت لصلابته وشدتها».[[140]](#footnote-140)

فمن أراد مکة عن طريق المنکدر توجّه نحو القبلة وأخذ الصّمّان، والصّمّان على ضفة فلج إلى الرمل، والدّوّ من ناية، وسکنها بنو سعد وأخلاط تميم، يتراعون جميعاً، وإذا أجدبت قيس صارت إليه، وهو «طريق اليمامة».[[141]](#footnote-141)

وکانت الصّمّان في قديم الدهر لبني حنظلة والحزن لبني يربوع، والصّمّان متآخم للدهناء».[[142]](#footnote-142)

تخرج من البصرة، فتسير إلى کاظمة ثلاثاً، وهي طريق المنکدر، لمن أراد مکّة من المنکدر. ثم تسير إلى الدّوّ ثلاثاً، ثم تسير إلى الصّمّان ثلاثاً، ثم إلى الدّهناء ثلاثاً، والصّمّان: «جبل أحمر ينقاد ثلاث ليال، ليس له ارتفاع، وإنّما سمّي الصّمّان لصلابته».[[143]](#footnote-143)

کما تعدّ هضبة مرتفعة شرقي الدهناء تمتدّ شمالاً حتى تتصل بالدبدبة والقرعة (القرعاء)، وتشتهر بدحولها التي تعتبر مخازن للمياه، وهي في الشمال أعرض منها في الوسط والجنوب، ويختلف عرضها من 50ـ90 ميلاً، ومتوسط ارتفاعها 1250 قدماً، وطبيعة أرضها مختلفة فهي من الحجر الرملي، وفيها أحجار کلسية، وفيها سهول تنحدر إلى الشرق.

ومياه الصّمّان التي تشمل اللهابة واللصافة ووبرة، تسمى قديماً: وادي الشواجن.[[144]](#footnote-144)

قال ابن المقرب العيوني:

فَما حَلَّ عَقدَ السَيفِ حتى أَناخَها

ضُحیً بِعِذارِ الخَطِّ حَدباءَ ناحِلا

أَلَم يَأتِ مِن أَرض(الشَواجِنِ)يَختَطي

حَـــرابِيَّ أَجـوَازِ الفَلا وَالخـمائِلا

وقد ارتبطت صحراء الصّمّان منذ القدم إقليميًّا بمنطقة الأحساء، وهي تخضع دائماً لحاکم منطقة الأحساء وذلك لقرب المنطقتين من بعضهما، وحاجة قبائل وحاکم الأحساء إلى مناطق خصبة لرعي الخيل والإبل والمواشي، وهذا ما تمتاز به صحراء الصّمّان، وقد قيل لابنة الخسّ: أي البلاد أمرأ؟ فقال: «خياشيم الحزن وأجواء الصّمّان».[[145]](#footnote-145)

\* «ثم إلى الدهناء، وهناك دحل مي»:

ويعني ثم إلى صحراء الدهناء: وحدوده الدهناء عبارة عن صحراء رملية متخذة شکل القوس الذي يمتد نحو1200کم من جنوب شرق النفوذ إلى شمال الربع الخالي، ويطلق مسمى الرميلة على نهايتها الجنوبية، وهو إسم محلي يعني قرب اندماج رمال الدهناء برمال الربع الخالي، وعرض الدهناء يختلف من مکان لأخر فمتوسط عرضها شمال وادي الباطن هو20م، وأمام وادي الباطن ترتبط الدهناء مع نفوذ المظهور ونفوذ الثويرات عبر عروق السياريات، والسبب في تراکم الرمال في هذه المنطقة أنها تقع إلى الشرق من مجرى وادي الرمة القديم، وإلى الشـرق من خط طول 45شرقاً تنقسم الدهناء إلى قسمين، وتسمى المنطقة الفاصلة بالجندلية التي تعتبر أرض فياض وآبار.

وهي سبعة أجبل من الرمل في عرضها،  بين کلّ جبلين شقيقة، وطولها من حزن ينسوعة إلى رمل يبرين، وهي من أکثر بلاد الله کلاً مع قلة أغذاء ومياه، وإذا أخصبت الدهناء ربّعت العرب جمعاً لسعتها وکثرة شجرها، وهي عذاة مکرمة نزهة، من سکنها لا يعرف الحمّى لطيب تربتها وهوائها، وهو منزل بطريق مکة من البصرة، صبحت به أقماع الدهناء من جانبه الأيسر واتصلت أقماعها بعجمتها وتفرّعت جبالها من عجمتها، وقد جعلوا رمل الدهناء بمنزلة بعير وجعلوا أقماعها التي شخصت من عجمتها نحو الينسوعة ثفناً کثفن البعير، وهي خمسة أجبل على عدد الثفنات: فالجبل الأعلى منها الأدنى إلى حفر بني سعد، واسمه خشاخش لکثرة ما يسمع من خشخشة أموالهم فيه، والجبل الثاني يسمى حماطان، والثالث جبل الرمث، والرابع معبر، والخامس جبل حزوى.[[146]](#footnote-146)

وعرّفها البکري الأندلسي قائلاً: «الدهناء: رمال في طريق اليمامة إلى مکة، لا يعرف طولها، وأمَّا عرضها فثلاث ليال، وهي على أربعة أميال من هجر، ويقال في المثل: أوسع من الدهناء. وقد ذکرت الدهناء في رسم عالج، وفي رسم کاظمة، وعلم الدهناء».[[147]](#footnote-147)

حيث يوجد بها (دَحَل مي)، ولعلّ في الأمر تصحيف من (رمل الدّحِي)،[[148]](#footnote-148) موضع يقع بالقرب من (الوشم)، الدبيل سابقاً.[[149]](#footnote-149)

والدَحَل: تعني حفرة تکون في الأرض ضيقة الأعلى، واسعة الأسفل، تتجمّع فيها مياه الأمطار، وماؤها عذب.

قال صاحب معجم اليمامة: «الدّحِي: بفتح الدال المشددة، وکسـر الحاء فياء (نفود الدحى) أو رمل الدحى، هو هذا الرمل المنقاد من فوهة (بِرك) غرباً إلى ما يقرب من وادي (العَقيق) (عقيق تَمْرة) أسفل (وادي الدواسر) وکان يسمك قديماً «الدُّبَيل».[[150]](#footnote-150)

\* «ثم منه إلى جبل أبي عرفة»: وقد ذُکر هذا الجبل في موضع آخر من کتاب الدمشقي فقال عنه:

«الدرعيّة وتقع على طريق الحاج الأحسائي وواديها متداخل ومتعرج جداً، وبلاد (العارض) تقع عليه وبالقرب منه جبل أبي عرفة».[[151]](#footnote-151)

ومنه ندرك أنّ جبل أبي عرفة يقع بالقرب من الدرعيّة، إلّا أنَّ المصادر والمعاجم الجغرافية المختصّة بالدرعيّة والعارض لا تذکر هذا الجبل، لذا لا يبعد أنه اسم آخر لأحد الجبال المعروفة في الدرعيّة وبلاد العارض.

ولعلّه يقصد أحد الجبال التالية القريبة من الرياض وما هو إلّا اسم آخر لأحدهم وهي:

جبل طويق، جبل جبلة، جبل قطن، الجبل الأصفر، جبل ثهلان، جبل اذقان، جبل ذريع، جبل کميت، جبل شمالات، جبل التوباد، جبل زعابة، جبل النير، جبل البيضتين، وهي سلسلة جبال تحيط بالدرعيّة.

ويقصد بالعارض حالياً الرياض، والدرعيّة، وضرما، والعيينة، والجبيلة، وسدوس، والعمارية، ومنفوحة، والمصانع، وعرقة، والحائر.

تأتي أهميتها بالنسبة للحاجّ الأحسائي العابر عليها في طريقة إلى بيت الله الحرام، فهي غنية بالفواکه والخضار مما يجعلها مقصداً للحجّاج، کما يشير إلى وفرة النخيل فيها، مما يجعلها مستراحاً جميلاً ومقصداً للحاجّ يلقي فيها عناء ومشقة الطريق، قبل أن يعاود مسيرته من جديد.

\* «ثم إلى مَلْهَم»:

(مَلْهَم) بفتح الميم وسکون اللام وفتح الهاء، تقع شمال مدينة الرياض بمسافة تقدر بحوالي (55کم)، وهي من المناطق التاريخية العريقة التي تقع على طريق الحاجّ، وهي شهيرة بمزارعها وخيراتها، ويعبر عنها الدمشقي بقوله: «... وملهم تبعد من الأحساء بست مراحل، وهذه القرية متنزّهٌ جميل جداً، ينبت فيها قصب السکر والتمر والعنب والخوخ».[[152]](#footnote-152)

فإذا کانت (المرحلة) مسيرة يوم على الإبل، فهذا يعني يستغرق طريق (الأحساء ملهم) ما مقداره ستة أيام سيراً على ظهور الإبل.

وقد جاء في لسان العرب: «مَلْهَم قَرْية بِالْيَمَامَةِ؛ قَالَ ابْنُ بَرِّيِّ: هِيَ لبَني يَشْکُرَ وأَخلاطٍ مِنْ بَکْرِ وَائِلٍ».[[153]](#footnote-153)

جاء في کتاب معجم البلدان: قال أبو منصور: ملهم وقران قريتان من قرى اليمامة معروفتان، وقال السکوني: هما لبني نمير على ليلة من مرة، وقال غيره: ملهم قرية باليمامة لبني يشکر وأخلاط،[[154]](#footnote-154) وقال بن عبدالحق: «... ملهم بالفتح، ثم السکون، وفتح الهاء. قيل: ملهم وقرّان: قريتان من قرى اليمامة معروفتان. قيل: هي لبني نمير، وقيل: ملهم لبني يشکر وأخلاط من بکر، وبها يوم للعرب».[[155]](#footnote-155) وأرجع الدکتور جواد علي اسم (ملهم) إلى يوم (ملهم) وهي حرب نسبت لهذا المکان بين تميم وحنيفة.[[156]](#footnote-156)

\* «ثم إلى الجفر»:

يحتمل المحقق لکتاب الدمشقي أنّ مراده (جفر البعر)،[[157]](#footnote-157) وجفر البعر: ماء يأخذ عليه طريق الحاجّ، من حَجْر اليمامة، بقرب راهص، وهي منطقة آبار جاهلية قديمة، تقع جنوباً من ماء (الأروسة)، وهي غنية بالمياه، وهي من مياه أبي بکر بن کلاب بين الحمى وبين مهب الجنوب على مسيرة يوم،[[158]](#footnote-158) وقد ذهب لذلك أيضاً صاحب (مرصد الاطلاع).[[159]](#footnote-159)

ومما يؤکّد کلام الدمشقي من أنَّ منطقة (جفر البعر) تقع على طريق الحاجّ الأحسائي، وتُعدّ معبراً ومستراحاً للحجّاج حيث يستقون منها الماء ويروون إبلهم، ما ذکره الأصفهاني قائلاً: «ثم الجفر؛ جفر البعر، يأخذ عليه طريق الحاجّ من طريق ضجر».[[160]](#footnote-160)

ويحتمل أنّ المراد بـ: (جفر البعر) المکان المعروف اليوم بـ: (دمنان)، فقد ورد في المعجم الجغرافي لعالية نجد: «ويبدو لي أنّ هذا الماء هو الذي ذکره أصحاب المعاجم الجغرافية باسم (جفر البعر)، لأن کلمة دمنان بمعني ذو الدَّمن، والدمن هو البعر».

وقد استند بقوله هذا على قول ياقوت الحموي في تحديد المکان بقوله:

«جفر البعر، عن الأصمعي جفر البعر ماء يأخذ عليه طريق الحاجّ من حجر اليمامة، يقرب راهص. وعن أبي زياد الکلابي جفر البعر من مياه أبي بکر بن کلاب بين الحمى و بين مهب الجنوب على مسيرة يوم، وقال غيره: جفر البعر بين مکة واليمامة على الجادة، وهو ماءٌ لبني ربيعة بن عبد الله بن کلابئج.[[161]](#footnote-161)

\* «ثم إلى الربض»:

يميل محقق الکتاب إلى وجود اشتباه لدى المؤلف فيقول: «لعلّه بطن العِرْض»، في الطريق من حَجْر إلى مکة، وذکر في کتاب: بلاد العرب للحسن بن عبد الله الأصفهاني:362 «فإذا نصلت من العِرْض وصلت موضع يقال له الراحة... ثم تصير إلى ثنية الأحيسي».[[162]](#footnote-162)

والعارض: هو الجبل المُمتد عَرضاً في وسط الجزيرة، ويعرف بهذا الاسم في الوقت الحاضر، وبجبل (طُوَيق) لتطويقه جزءاً من بلاد المنطقة الوسطي في الجزيرة.[[163]](#footnote-163)

وطرف العارض في بلاد بني تميم في موضع يسمى القرنين فثمّ انقطع طرف العارض الذي من قبل مهبّ الشمال ثم يعود العارض حتى ينقطع في رمل الجزء، وبين طرفي العارض مسيرة شهر طولاً ثم انقطع.[[164]](#footnote-164)

والعارض کما يقول الدمشقي في طيات کتابه:

«نجد العارض: هي مناطق واسعة، يقطعها جبل، يسمونه (جبل العارض)، والآن يسمى: (جبل العمارية)، له مدخلان: أحدهما من (العيينة)، والآخر من(الدرعيّة)، ويقولون: إنّ هناك ثلاثة آلاف قرية، وأهلها لا يخضعون لشـريف، وبداية هذا الجبل تمتد من مسافة ثلاثة مراحل من (الحجاز)، ويمتد إلى الجهات الشمالية حتى (نجد العارض)».[[165]](#footnote-165)

ثم يقول: «في وسط (العارض)، وعند هذا الجبل وادٍ يسمونه: (وادي بني حنيفة)، وفيه المياه وافرة وکثير الأشجار والنخيل، وهو متنزهات مبهجة، وعلى أطراف الوادي تصطف القرى، وفي أعلاه قصبة الدرعيّة».[[166]](#footnote-166)

\* «ثم إلى الدِرْعِيّة»:

الدِرْعِيّة: مدينة تقع على ضفتي وادي (العِرْض) الذي يخترق سلسلة جبال (العارض في منطقة يطلق عليها الجغرافيون المتقدمون (العروض).[[167]](#footnote-167)

وبلدة الدرعيّة منسوبةٌ إلى الدروع، والدورع قبيلة استوطنت وادي حنيفة وحکمت حجر والجزعة، ودعا أحد حکامها (ابن درع) ابن عمه مانع المريدي للقدوم من عروض نجد إلى مرابع وادي حنيفة، وسکن القادمون ما بين غصيبة والمليبيد، وبتاريخ قدومهم يؤرّخ لتأسيس الدرعيّة عام 850هـ.[[168]](#footnote-168)

وتقع الدرعية على بعد حوالي (300 کم) عن الأحساء، ويحدها شمالاً محافظة حريملاء بمسافة (75کم)، وجنوباً محافظة ضرما بمسافة (70 کم)، وتتوزّع مساکنها على ضفاف وادي حنيفة، وروافده ما بين غصيبة في الشمال والمليبيد في الجنوب، ويلفّها سورها القديم بتحصيناته وأبراجه الطينية.

يبيّن أبو بکر بن بهرام الدمشقي أهمية الدرعيّة و موقعيتها من طريق الحاجّ الأحسائي بقوله: «... والدرعيّة تقع على طريق حجّاج الأحساء،  وواديها متداخل ومتعرج جدّاً وبلاد العارض تقع عليه، وبالقرب منه جبل أبي عرفة».[[169]](#footnote-169)

\* «ثم إلى الحيسية»:

الحيسية: عبارة عن شعيب وعر نسبياً يبعد عن الرياض (50 کم)، أقرب منطقة إليه (العيينة)، وفيه أشجار طلح کثيرة والمکان قريب من الرياض وجميل وقت الأمطار.

وتحديد موقع هذا الشعيب کما يذهب العيسى في قوله: «إنَّ جبل العارض يخترقه فجاج واسعة، منها ينفذ إلى الأودية التي في جوفه، ومن أشهر تلك الفجاج (الأحَيْسَى) بفتح الهمزة والحاء وسکون والياء، والسين المفتوحة بعدها ألف مقصورة بصورة (ى)، وفي أعلى هذا الفج عقبة، وتلك تسمى: (ثنية الأحَيْسَى)، ومنها ينفذ إلى (العِرْض) وادي حنيفة».[[170]](#footnote-170)

والأحيسى يعرف اليوم بـ: (الحَيْسِيّة) وهو ما فوق (العيينة) من وادي حنيفة، من أعلاه، مُهدت وأصبحت تمر منها السيارات، فما سال من هذه الثنية مشرقاً يصبُّ في وادي حنيفة، وما سال منها مغرباً تمده روافد أخرى، ويتکون منه وادٍ يذهب مغرباً حتى يخترق خط الحجاز مما يلي منطقة (سَمْحَان) أعلى (ضَرَمَى) وتتکون منه ومن الأودية الأخرى التي تصب فيه سيولُ رياض ضرمى.[[171]](#footnote-171)

\* «ثم إلى مَراة»:

تکتب قديماً (مراة)، أما في المصادر الحديثة (مرات): وهي تقع في الجهة الشمالية الغربية لمدينة الرياض، في الجهة الجنوبية لمنطقة الوشم في إقليم اليمامة وعلى ارتفاع 600 متر على سطح البحر، وتبعد عن مدينة الرياض (134کم) تقريباً من (طريق القدية) وعلى بُعد (167کم) تقريباً من (طريق ديراب)، کما تبعد عن مدينة شقراء بمسافة تقدر بنحو من 35 کيلاً، وهي على طريق الحجاز القديم.

ذکرها الدمشقي ووصفها بقوله: «تبعد عن (الدرعيّة) بمرحلتين، بها مياه ونخيل».[[172]](#footnote-172)

واعتبرها ابن خميس في قوله عن «مراة»: بلدة أثرية اشتهرت بأنها بلدة امرئ القيس، وهي بلا شك بلدة أمرئ القيس ولکن ليس ابن حجر الکندي الشاعر الجاهلي المعروف، بل أمرئ القيس التميمي، وهي قرية عرف أهلها بالطيب والکرم.[[173]](#footnote-173)

وممن کان يسکنها هشام المرئى، فوقع خلاف بينه وبين ذوالمرة فهجاه:

فَلَمّا دَخَلْنا جَوْفَ مَرْءَةَ غُلِّقَتْ

دَسـاکِرُ لم تُرفَـعْ لخَـيْرٍ ظِـلالُها

وَقَدسُمِّيَت بِاسمِ امرِئِ القَيسِ​قَريَةٌ

کِـرامٌ صَـواديها لِـئامٌ رِجالُهـا.[[174]](#footnote-174)

وتنطق کما يرى الأزهري، مرأة: بالفتح، بلفظ المرأة من النساء: قرية بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم باليمامة سميت بشطر اسم امرئ القيس، بينها وبين ذات غسل مرحلة على طريق النباج.[[175]](#footnote-175) وهي تقع بالقرب من (جبل کميت) وهو علامة بلدة (مراة)، يقول عنه المثل الشعبي: (اضمن لي کميتاً أضمن لك مراة)، وهي تقع في الناحية الجنوبية من جبل کميت.[[176]](#footnote-176)

\* «ثم إلى الشَّعْرَاء»:

الشَّعْرَاء: بلدة تقع في جانب جبل (ثهلان) من الشرق، غرب مدينة الدوادمي، على بُعد 35 کم، وهي معروفة بهذا الاسم قديماً وحديثاً.[[177]](#footnote-177)

وکانت بلاد الشعراء وما حولها مرتعاً طيباً للبوادي، وفير المراعي کثير المياه، فأصبحت بحکم هذا الموقع وتأثيره سوقاً تجارياً للبادية، وتوسّعت تجارتها، وکذلك فإنها تقع في طريق القوافل بين بلاد (العارض) و(الوشم) و(سدير)، وبلاد الحجاز وعليها يمر طريق حاجّ هذه البلاد.[[178]](#footnote-178)

\* «ثم إلى الحنابج»:

الحنابج:  تقع على طريق عفيف البجادية، ويبعد مفرقها عن عفيف (30 أو 35 کم تقريباً)، ومن المفرق إلى نفس الديرة (20 إلى 25کم تقريباً).

يقول المؤرّخ حمد الجاسر: «وهي ماءٌ قديم، أحساء کثيرة في واد داخل جبل النّير، والنّير کما يقول الهجري جبال کثيرة سود قنان وقران وغيرهما، بعضها إلى بعض و سعتها قريب من مسيرة يوم للراکب. ومن النّير تخرج سيول (التسـرير) وسيول (نَضَاد) و(ذي غُثَث) في وادٍ يقال له ذو بحار.[[179]](#footnote-179) ومن أسماء عيون النّير ومياهه: الحبنج، والحنبج، والحنيبج، ثلاثة منابع للماء يقال لها الحنابج،[[180]](#footnote-180) وکما يقول الهمداني: فإنّ من مياه النّير الحنابج».[[181]](#footnote-181)

\* «ومنها إلى المرقب»:

المرقب: وهي قرية باليمامة، أو (الرقيبة) المذکورة في نزهة المشتاق، أو هي (المرقبة) اسم جبل لهذيل.[[182]](#footnote-182)

\*«ثم إلى المنحنى»:

هو اسم يطلق على وادي أشيقر أحد الأودية التي تسيل شمالي منطقة شقراء، وقد ذکرها ناهض ابن ثومة في شعره فقال: [[183]](#footnote-183)

فما العهد من أسماء إلّا محلة

کما خطّ في ظهرِ الأديم الرواقشُ

(برمحين) أو (بالمنحنى) دبَّ فوقها

سفاالريح أوجزعٌ من السيل خادشُ

\* «ثم إلى العبلة»:

يميل المحقّق والمعلّق على کتاب الدمشقي إلى أنّ مراده هو منطقة (العبلاء)،[[184]](#footnote-184) المنطقة المعروفة منذ العصر الجاهلي بالطائف.

والعبلاء: اسم علم لصخرة بيضاء إلى جانب عکاظ،[[185]](#footnote-185) وهي قرية من قرى الطائف.

يقول أبو بکر بن بهرام في کتابه «جزيرة العرب في کتاب مختصـر الجغرافيا الکبير»: وکذلك قرية تسمى (العبلاء) وفيها الطائف تسکن قبائل بني صخر، وبني سعد، وقبائل هذيل، وکانت قبيلة ثقيف تسکن هذه البلدة».[[186]](#footnote-186)

أما العُبَيلاء: فهي قرية ومزرعة لعدوان في أسفل وادي ليَّة، يشرف عليها من الشرق جبل مروان، مرورة بيضاء، وقريب منها شمالاً شرقياً (العبل) وهو ما کان يعرف بالعبلاء.

وکانت العُبَيلاء مقرّ عثمان المضايفي وزير الشريف غالب أمير مکة وصهره، اتخذها للدعوة ضد غالب، وحشد الجيوش لقتاله موالياً بذلك عدوّه ابن سعود.[[187]](#footnote-187)

فالخلاصة أنَّ العُبَيلاء منطقة أو قرية على مقربةٍ من الطائف، تمتاز بکثرة المزارع والنخيل، ما جعلها مقصداً للأعيان والسائرين على درب الحاجّ، لأجل الاستراحة فيها والتزوّد منها، ولهذا فقد کان حاجّ الأحساء يأخذ مؤونته منها وهو في طريق رحلته إلى الديار المقدسة.

\* «ثم إلى رکبة»:

وهي بلد متصلة بعکاظ، وبها عين تسمى عين (خليص)،[[188]](#footnote-188) وهي قريبة من (العبلاء) بالطائف، ويبدو أنها کانت ذات مکانة اقتصادية جيدة، حيث کان يجبى منها الخراج إلى والي اليمامة،[[189]](#footnote-189) في العصور المتقدمة. ورکبة: من المناطق السهلية التي تعدّ من معابر الحاجّ، وهم على مشارف منطقة الحجاز حيث الديار المقدسة، قال کثير: [[190]](#footnote-190)

أناديكما حجَّ الحجيجُ وکبّرتْ

بفيفا غزال رفقةٌ وأهلّتِ

وما کبرت من فوق (رکبة) رفقةٌ

ومن ذي غزال أشعرت واستهلّتِ

وعرّفها عاتق البلادي في معجمه قائلاً: «رُکْبة: بضمّ أولَه وسکون ثانيه وباء موحدة، بلفظ الرکبة التي في الرجل من البعير وغيره، وقال ابن بکير: هي بين مکة  والطائف، وقال القعنبي: هو وادٍ من أودية الطائف، واعتبرها البعض جبل بالحجاز، ويراها الزمخشري مفازة على بعد يومين من مکة يسکنها اليوم عدوان.

سکنها بني ضمرة، وکانوا يجلسون إليها في الصيف ويغورون إلى تهامة في الشتاء، بذات نکف، بينما يراها البعض بأنها على طريق الناس بين مکة والطائف.[[191]](#footnote-191)

\* «ثم إلى ذات عرق»:

ذات عرق ميقات أهل العراق ومن جاء عن طريقهم، ويبعد عن مکة مسافة 92 کم شمالاً، وهو من مواقيت الحج.

وهي مکان بالبادية قرب عقيق الطائف، سمي بذلك لعرق فيه، والعرق هو الجبل، ويقولون إنه منتهى جبال تهامة يفصل بين جبال تهامة ونجد، وهو ميقات أهل العراق ومن وراءهم من أهل المشرق کأهل خراسان وغيرهم. وهي مندثرة اليوم، ويحرم الحجّاج الذين يأتون في السابق على الإبل من «الضريبة» التي يقال لها اليوم «الخريبات».

وهي منطقة تقع في نهاية نجد باتجاه الحجاز، قال ابن الأعرابي: «نجد ما بين العُذيب إلى ذات عِرق»،[[192]](#footnote-192) وبداية تهامة من ذات عرق إلى مرحلتين من وراء مکة.[[193]](#footnote-193)

وقد ذکرها الدمشقي في کتابه فقال: «ذات عرق؛ قرية بها عدّة آبار، وماؤها قريب، تبعد عن (الشعراء) بأربعة منازل،  وعن (مکة) بمنزلين، وأرضها رملية، سهلة، إذا حُفر فيها يخرج منها الماء».[[194]](#footnote-194)

ويعتبرها أبو بکر بن بهرام الدمشقي أنها آخر محطة يقف عندها الحاجّ الأحسائي قبل الدخول إلى مکة المکرمة، فـ: «هي ميقات حجاج نجد»،[[195]](#footnote-195) ومن سلك طريقهم إلى البلد الحرام.

وقد جعلها رسول الله9 ميقات أهل المشرق، فمن جابر الأنصاري عن رسول  الله9 أنه قال: «وُقِّتَ لأهل المشـرق ذات عرق»،[[196]](#footnote-196) وفي حديث آخر بلفظٍ مغاير عن جابر أنّ النبي9 قال: «وُقِّتَ لأهل العراق ذات عرق»،[[197]](#footnote-197) کما يروى الحديث ذاته عن ابن عباس عن رسول الله9.

ومنها يدخل الحاجّ إلى مکة المکرمة مُحرماً وقد بلغ مراده ليبدأ بعدها بأداء مناسك الحجّ.

ونلاحظ على ما ذکره الدمشقي الخطأ في ذکر الأسماء، إضافةً إلى إطلاق مسميات لم تکن مألوفة تاريخياً على تلك الأماکن.

وقد حاولنا خلال ما تمَّ بسطه وعرضه آنفاً من معالم جغرافية لطريق الحاجّ الأحسائي أن نعرّفه غالباً من وجهة نظر الدمشقي، والذي يظهر أنه ممن سار على الطريق ووصفه وفقاً لمشاهداته العينيّة، وذلك في القرن الحادي عشر الهجري، وهذا يعطي صورة مختلفة عما کتبه الجغرافيان قبله کياقوت الحموي والهمداني لتقدّمهم عليه بقرونٍ عديدة، مما يحتمل على إثر ذلك تغيّر المعالم ومشخّصاتها نتيجة الفارق الزمني الکبير.

هذا ناهيك عن النظرة الشخصية للمؤرّخ الدمشقي، والتي تعدّ عنصـراً مهمّا للتعرف على بعض المعالم من خلال تجربته الخاصّة في السفر والترحال بعيداً عن النقل والأقوال المتضاربة کما لاحظنا في التعريفات المختلفة...

وللبحث صلة تأتي في العدد القادم إن شاء الله تعالى

(المقالة : 5)

مکة في رحلة الشعر و الشعراء

حسن محمد

ملخّص البحث:

هذه الرحلة مع مكّة المكرمة في الشعر والشعراء، تُعدُّ رحلةً واسعةً طويلةً، تطلّعت فيها قلوبُ الشعراء، قديماً وحديثاً، إلى بقعة هيأ كرم البقاع و أجلّها، و هامت فيها و حولها أرواحهم و عواطفهم، فنطقت قرائحهم الشعرية حبًّا لها وإجلالاً، و شوقاً و حنيناً، و فخراً و مدحاً و وصفاً لها و لمعالمها، و قد تجسّد منهم هذا عبر القرون و الأجيال؛ ممن وفِّق لحجّها و ممن ينتظره و يأمله، فلعلّ كثيراً منهم رحلت آمالهم إليها بقلوبهم قبل أجسادهم ... و مقالتنا هذه اكتفت بنماذج من ذلك.

\* \* \*

الکلمات المفتاحية:

مكّة المكرمة، الإمام زين العابدين علي بن الحسين8، أبـوطـالـب7، بلال بن رباح الحبشـي رضوان الله عليه، السيد الشـريف الرضي=، مضاض بن عمرو، عمرو بن الحارث بن مضاض، مشهد الحجيج، مزاحم العقيلي، أبو العلاء المعري، شهاب الدين السهروردي، علي بن أفلح، عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني، أبوالقاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، أبو اليمن ابن عساكر الدمشقي، أحمد شوقي، محمد إقبال اللاهوري.

\* \* \*

لقد حظيت مكة المكرمة، أمّ القرى بمنزلة كبيرة جدًّا في القلوب الصالحة والأرواح الطيبة، وفي دراسات المؤرخين وبحوث العلماء والفقهاء، وألهمت الكتّاب والأدباء والشعراء أسمى المعاني الروحية التي غدت تحفر في وجدانياتهم ومشاعرهم ومواهبهم مادةً رائعةً وخصبةً لخيالهم وقرائحهم، وتهزُّ أوتار مشاعرهم وأحاسيسهم، فراحوا بألوان من جمال المفردات ومعانيها، يتغنّون بكلّ هذه المعالم وقدسيتها، عبر بعض المواضيع والأغراض الشعرية، فأفاضت أشعارهم حبًّا وإجلالاً، ووصفاً ومدحاً وفخراً، وشوقاً وحنيناً إليها... وهو ما نجده فيما كتبوه ودوّنوه عن تسابق الشعراء في ذلك، سواء أكانوا من أهل مكة وما حولها، أم من بلدان نائية عن مكة، أو بعيدةً شيئاً ما عنها أو قريبة منها.

وصحيح أنَّ منزل الإنسان ومكانه وبيئته يمثل كلٌّ منها وجوده، ويحكي انتماءه وهويته، أو يؤثر في بناء عواطفه ومشاعره، لكنَّ كثيراً من الشعراء تربطهم بمكة علاقة أُخرى غير البيئة، وهي علاقة العقيدة و رباط الدين، وهي علاقة أوسع، ولعلّها أكثر تأثيراً، وهو ما نجده حاضراً في قصائدهم عن مكة كالشاعر والمفكّر محمد إقبال اللاهوري، فكان لأشعارهم لون خاص وثمر طيب وحكاية أخرى، وليس هذا بغريب، فأُمُّ القرى، والبيت العتيق، والكعبة المباركة، والمسجد الحرام بمعالمه من الحجرالأسود والمقام والحطيم وحجر إسماعيل، وزمزم والصفا والمروة، وعاء قدمته السماء، وخصّته بمناقب وخصائص قلَّ أو انعدم نظيرها في غيره، حتى نالت مكة المكرمة الشرف والرفعة والسموّ على جميع بقاع الأرض وآفاقها ومعالمها، وهكذا وديانها وجبالها وأزقتها، وحتى طيورها وحيوانها ونباتها، وكذا دورها وبيوتها ونواديها وأسواقها الأدبية والشعرية، كان لها جميعاً نصيب وافر من خطبهم وأشعارهم، الممزوجة بذكرياتهم ونظراتهم عن هذه البقعة الربانيّة المختارة، وركيزتها الكعبة المباركة ...

فمكة المكرمة، خصّها الله تعالى بـ:

(إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ).[[198]](#footnote-198)

ولعلّ (أَوّلَ) تدلّ على الأولوية المطلقة؛ فهو الأول تأسيساً، وهو الأول قرباً إلى الله سبحانه وتعالى، وهو الأول بركةً وهدًى وحرمةً، وهو الأول أمناً، وهو الأول فضائل ومناقب، وهو الأول في قبول عبادة الله ونيل رضاه، وهو الأول فيما يترتب من الأجر والثواب، والعفو والمغفرة، وهو الأول في مضاعفة الحسنات وإلغاء السيئات لمن قصده وزاره وأعلن استقامته وتوبته بصدق وإخلاص ...!

فاكتسبت أفضليتها على باقي البقاع من كونها موضع اختيار السماء؛ لاحتضان (أوّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ...)، وأحسنَ (قِبْلَةً) لإرضاء حبيبها رسول الله9 وتكريمه حينما رأته يقلّب وجهه المبارك في أطراف السماء هنا وهناك، لعلّه كان منه انتظاراً وترقباً لوعد السماء، أو رجاءً لاستجابتها، ورغبةً في تحقيق ما يتمنّاه ...، كما في الآية:

(قَدْ نَرَىٰ تَقَلّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ).[[199]](#footnote-199)

وحينها راح يتوجه إليها المسلمون كافةً في فرض ومستحب ودعاء ... وبهذا وغيره الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال، وبكعبتها المباركة، وبمعالم مسجدها الحرام وآياته، وطهارته وأشرفيته على البقاع، وبمواقعها الروحية والجغرافية الأخرى، جذبت مكة المكرمة إليها أفئدةً من الناس، جاؤوها من كلِّ فجٍّ؛ إما على أرجلهم، وإما ركباناً، والحنين إليها يرافقهم، والشوق يحدوهم، وأمل العودة إليها لا يفارقهم ...

استجابةً لدعاء إبراهيم عليه السلام:

(رَّبَّنَآ إِنّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَاةَ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُمْ مِّنَ ٱلثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ).[[200]](#footnote-200)

وتلبيةً لأذانه المبارك:

وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَميِقٍ \* لِيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ.[[201]](#footnote-201)

وامتثالاً لأمره تعالى:

(وَللَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّه غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ).[[202]](#footnote-202)

فتمسكاً بذلك وبغيره من خصائص هذه البقعة الطيبة، وما حدث فيها ووقع عليها، ووفاءً لها ولأهلها ولربوعها التي انبثقت منها رسالة التوحيد، فأشرق نور الإسلام، وشرائع السماء، وانطلقت من حرّائها أولى آيات التنزيل العزيز، وتواصلت فوق بقاعها تترى على رسول الله محمد9 ..

حتى غدت مكة أحبَّ البلاد إلى الله تعالى وأكرمَها، وأفضلَ البِقاع وأجلّها على وجه الأرض، ولقد سُمعَ النَّبيّ9 وهو واقفٌ بالحَزوَرةِ في سوقِ مَكَّة يقول:

«واللهِ إنَّكِ لخيرُ أرضِ اللهِ، وأحبُّ أرضِ اللهِ إليَّ، ولولا أنَّ أَهْلَكِ أخرَجوني منكِ ما خَرجتُ»!

وفي خبر آخر يقول عبد الله بن عدي بن حمراء:

رأيتُ رسولَ الله9 واقِفًا على الحَزوَرةِ، والحَزْوَرةُ: مرتفِعٌ يُقابِلُ المسعَى مِن جِهَةِ المشرِقِ، كان سُوقًا مِن أسواقِ مكَّةَ.

فقال النَّبيُّ9 مُخاطِبًا مكَّةَ: «واللهِ، إنَّكِ لخَيرُ أرضِ الله»، أي: أفضلُها وأعظمُها.

«وأحبُّ أرضِ اللهِ إلى اللهِ، ولولا أنِّي أُخرِجتُ مِنكِ»، أي: بأمرٍ مِن اللهِ، وذلك بَعدَما زاد أذَى قُريشٍ له ولِمَن أسلَم معَه. «ما خرَجتُ»، أي: لبَقيتُ بمكَّةَ.

وكان النَّبيُّ9 خرَج مُهاجِرًا مِن مكَّة إلى المدينةِ. وفي الحَديثِ: أفضليةُ مَكَّةَ المُكرَّمةِ على غيرِها مِن سائرِ البُلدانِ وفيه: مِن تَعظيمِ الأدبِ في مُفارَقةِ بيتِ اللهِ عزَّوجلَّ.

هذا وإكراماً لهذا العبد الصالح، والمؤمن المعذّب، الصحابي الجليل، بلال بن رباح الحبشي، نبدأ به، فهم يذكرون أنَّه لـّما هاجر من مكة إلى المدينة المنورة، ظلَّ يتغنّى ببيتين من الشعر يرددهما حنيناً إلى مكة وشوقاً إلى ديارها، وإلى مائها ونباتها، مكة التي عرفته بعد إسلامه على ترابها، رجلاً معذَّباً على رمالها، راحت تصهره والحجر الساخن عليه، وهكذا اشتدَّ تعذيبه على أيدي جلاوزة قريش وبعض زعمائها، فلم يذق في نواحيها إلّا البطش والإهانة والإذلال من قبل كبرائها. وقد علا سماءَ مكة أنينُه، وهو يردّد نشيده الخالد: أحد أحد أحد! ومع هذا بقى مشتاقاً إليها، يحنُّ إلى رباعها ومائها ونباتها ...

هذان البيتان من الشعر ظلَّ بلال في بلاد الهجرة؛ المدينة المنورة، ينشدهما باكياً، وكلّما ذهبت عنه حمّى المدينة:

ألَا لَيْتَ شِعْرِي هـلْ أبِيـتَنَّ لَيْـلَةً

بمكة عندي(حولي) إذْخِرٌ وجَلِيلُ

وَهَــلْ أرِدَن يَـوْمًـا مِـيَاهَ مجَنّـــَةٍ

وهــلْ يَبْـدُوَنْ لـي شَـامَةٌ وطَفِيلُ

يقول الشارح: فقد أحبَّ الصحابي الجليل بلال بن رباح مكة، وتمنَّى أنْ يَبيتَ ليلةً واحدةً في ضواحيها، ويُطفِئَ أشواقَه الحارَّةَ مِن مياه مِجَنَّةَ، وهي: ماءٌ عند عُكاظ على أميال يسيرة من مكة بناحية مرّ الظهران، وكان به سوق في الجاهلية، وأن يُمتِّعَ ناظرَيْه بمشاهدة إِذْخِرٍ وجليلٍ، وهما نبتان من الكلإ طيب الرائحة يكونان بمكة، وغيرها مِن النَّباتاتِ الخلويَّةِ الّتي حولها، وأن يُشاهدَ شامةَ وطَفِيلًا، وهما جبلان متجاوران جنوب غرب مكة على قرابة 90كم منها، وغيرَهما مِن جبالِ مكَّةَ الشَّامخةِ.

أقول: ويصل خبره إلى رسول الله9 وما ينشده حبًّا لمكة وحنيناً إليها، فيرفع9 يديه قائلاً:

«اللهم حبّب إلينا المدينة كحُبّنا مكّة أو أشدّ»!

يدعو9 بهذا، وقد ذاق9 هو وعدد من أصحابه المؤمنين أذى زعمائها المشركين حين راحوا وجلاوزتهم يعذِّبون على رمالها الملتهبة بحرارة الشمس المؤمنين برسالة السماء، وكان منهم بلال وعمّار بن ياسر وأبوه وأُمّه سمية حتى استُشهدا ونجا عمّار رضوان الله عليهم ... ولم يذوقوا إلّا مرارة الأذى والتعذيب والتسقيط والتجريح من أهلها قساة القلوب التي خلت من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى، حتى أنَّهم لم يكتفوا بذلك وبتكذيبه، والطعن بصدق نبوّته9 بل خططوا لقتله في تلك الليلة غدراً وهو على فراشه، إلّا أنَّهم فوجئوا بمن فدى نفسه لرسول الله9 بعليٍّ7 نائماً في فراشه، فخابت مؤامرتهم، وباؤوا بالفشل وغضب من الله تعالى، ونجا9 بهجرته إلى المدينة التي نوّرت به9 ونكتفي بما يقوله الشاعر حسّان بن ثابت:

ثوى بِمَكَّةَ بِضعَ عَشرَةَ حِجَّةً

يُذَكِّرُ لَو يَلقى خَليلاً مُؤاتِيا

وَيَعرِضُ في أَهلِ المَواسِمِ نَفسَهُ

فَلَم يَرَ مَن يُؤوِي وَلَم يَرَ داعِيا

فَلَمّا أَتانا وَاِطمَأَنَّت بِهِ النَوى

فَأَصبَحَ مَسروراً بِطَيبَةَ راضِيا

وَأَصبَحَ لا يَخشى عَداوَةَ ظالِمٍ قَريبٍ

وَ لا يَخشى مِنَ الناسِ باغِيـا

بَذَلنا لَهُ الأَموالَ مِن جُلِّ مالِنا

وَأَنفُسَنا عِندَ الوَغى وَالتَآسِيا

نُحارِبُ مَن عادى مِنَ الناسِ كُلَّهِم

جَمعاً وَإِن كانَ الحَبيبُ المُصافِيا

وَنَعلَمُ أَنَّ اللَهَ لا رَبَّ غَيرُهُ

وَأَنَّ كِتابَ اللَهِ أَصبَحَ هادِيا

وإلّا فإنّهم ذكروا أنَّ الشاعر الجاهلي القديم مضاض بن عمرو أقدم من تشوّق إلى مكة المكرمة وحنَّ...، حين راح يندب حظّه وحظّ قومه الذين أخرجوا من مكة... أما عن وقت إنشاده قصيدته الطويلة التي تحكي شوقه العظيم لمكة، لمّا وصل إليها، متعقباً إبلاً له، فوقف على جبل أبي قبيس وأنشدها... أما ابن إسحاق فيقول:.. فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهميّ بغزالي الكعبة و بحجر الركن، فدفنهما في زمزم، و انطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزناً شديداً، فقال عمرو بن الحارث بن مضاض في ذلك، و ليس بمضاض الأكبر:

و قائلة و الدمع سكب مبادر

وقد شرقت بالدمع منها المحاجر

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصّفا

أنيس ولم يسمر بمكّة سامر

فقلت لها والقلب منى كأنما

يلجلجه بين الجناحين طائر

بلى نحن كنّا أهلها، فأزالنا

صروف الليالى، و الجدود العواثر

و كنّا ولاة البيت من بعد نابت

نطوف بذاك البيت، و الخير ظاهر

و نحن ولينا البيت من بعد نابت

بعزّ، فما يحظى لدينا المكاثر

ملكنا فعزّزنا فأعظم بملكنا

فليس لحىّ غيرنا ثمّ فاخر...

إلى أن يقول:

و صرنا أحاديث وكنّا بغبطة

بذلك عضّتنا السّنون الغوابر

فسحّت دموع العين تبكى لبلدة

بها حرم أمن، و فيها المشاعر

و تبكى لبيتٍ ليس يؤذى حمامه

يظلّ به أمناً، و فيه العصافر

و فيه وحوش - لا ترام - أنيسة

إذا خرجت منه، فليست تغادر...

قال ابن هشام: هذا ما صحّ له منها. وحدثني بعض أهل العلم بالشعر أنَّ هذه الأبيات أوّل شعر قيل في العرب، وأنها وجدت مكتوبة في حجر باليمن، و لم يسمّ لي قائلها.[[203]](#footnote-203)

هذا وأنَّ هناك الكثير، وأخصُّ بالذكر أولئك الذين وهبتهم السماء ملكةَ الشعر وحُسنَ القريحة الشعرية، فقد تعلّقت نفوسهم ببقاع مكة وبمعالمها، وغدت تهفو أفئدتهم اشتياقاً إلى رؤية البيت وكعبته المباركة، حتى أنَّهم راحوا يهيمون حنيناً إليها، يشفيهم القرب منها، ويزيدهم شوقاً إليها، ولا يسليهم البعد عنها، لهذا تراهم وقد بذلوا الغالي والنفيس، وتكبدوا فراق الأحبة والأهل، وتجشّموا عناء السفر الشاق الطويل، حتى يصلوا إلى هذه الديار، فتصدح حناجرهم تكبيراً وتهليلاً واستغفاراً، وتذرف عيونهم دموعاً ملؤها الحنين والشوق والفرحة برؤية الكعبة المباركة ومعالم البيت الحرام حتى كأنَّ نفوسهم تردّد قول الشاعر:

أطوف به والنفس بعد مشوقة

إليه، وهل بعد الطواف تداني؟!

بقلبي من شوق ومن هيمان

وألثم منه الركن أطلب برد ما

فو الله ما أزداد إلّا صبابة

ولا القلب إلّا كثرة الخفقان

ويا منيتي من دون كلّ أمان

فيا جنة المأوى ويا غاية المنى

أبت غلبات الشوق إلّا تقرباً

إليك فما لي بالبعاد يدان

وما كان صدي عنك صدّ ملالة

ولي شاهد من مقلتي ولساني

دعوت اصطباري عنك بعدك والبكا

فلبى البكا والصبر عنك عصاني

وقد زعموا أنَّ المحبّ إذا نأى

سيبلى هواه بعد طول زمان

ولو كان هذا الزعم حقًّا لكان ذا

دواء الهوى في الناس كلّ أوان

بل إنَّه يبلى التصبر والهوى

على حاله لم يبله الملوان

وهذا محبٌّ قاده الشوق والهوى

بغير زمام قائد وعنان

أتاك على بعد المزار ولو ونت

مطيته جاءت به القدمان

انظر هذا فيما ذكرفي بدائع الفوائد لابن القيم:

فلقد ذكر هذه الأبيات بعد أن بيّن محاسن البيت، وعظم شأنه بما يدعو الناس إلى قصده وحجّه، وإن لم يطلب ذلك منهم، فقال: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ \* فيِهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كانَ آمِناً ...).[[204]](#footnote-204)

فوصفه بخمس صفات:

أحدها: أنه أسبق بيوت العالم وضع في الأرض.

الثاني: أنه مبارك، والبركة كثرة الخير ودوامه، وليس في بيوت العالم أبرك منه ولا أكثر خيراً ولا أدوم ولا أنفع للخلائق.

الثالث : أنَّه هدى، وصفه بالمصدر نفسه مبالغةً حتى كأنَّه هو نفس الهدى.

الرابع : ما تضمنه من الآيات البينات التي تزيد على أربعين آية.

الخامس : الأمن لداخله.

وفي وصفه بهذه الصفات دون إيجاب قصده ما يبعث النفوس على حجّه، وإن شطّت بالزائرين الديار، وتناءت بهم الأقطار.

ثمَّ أتبع ذلك بصريح الوجوب المؤكد بتلك التأكيدات. وهذا يدلك على الاعتناء منه سبحانه بهذا البيت العظيم، والتنويه بذكره والتعظيم لشأنه والرفعة من قدره، ولو لم يكن له شرف إلّا إضافته إياه إلى نفسه بقوله:

(... وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّـآئِفِينَ ...).[[205]](#footnote-205)

لكفى بهذه الإضافة فضلاً وشرفاً.

وهذه الإضافة هي التي أقبلت بقلوب العالمين إليه، وسلبت نفوسهم حبًّا وشوقاً إلى رؤيته، فهو المثابة للمحبين يثوبون إليه، ولا يقضون منه وطراً أبداً؛ كلّما ازدادوا له زيادةً، ازدادوا له حبًّا، وإليه اشتياقاً، فلا الوصال يشفيهم، ولا البعاد يسليهم كما قيل:

أطوف به والنفس بعد مشوقة

إليه، وهل بعد الطواف تداني؟!..[[206]](#footnote-206)

ولابن القيم أيضاً، وهو شمس الدين ابن قيم الجوزية المتوفى سنة751هجرية قصيدته الميمية (الرحلة إلى بلاد الأشواق) التي لعلّها توفّرت على أكثر من مئتين وعشرين بيتاً، نقتبس منها مقطعاً تحت عنوان: مشهد الحجيج.

يتضمن سبعةً وأربعين بيتاً، مما يذكره فيها اشتياق الحجيج لبيت استمدّ عظمته وجلاله وجماله وقدسيته من انتسابه إلى الله تعالى حين أضافه إليه، فهو بيت مبارك ببركة السماء! يقول فيه:

أمَــا وَالـذِي حَـجَّ الْمحِــبُّونَ بَيْتَــهُ

وَلـبُّوا لهُ عـندَ المَـهَلِّ وَأحْرَمُوا

وقدْ كَشفُـوا تِلكَ الرُّؤوسَ توَاضُعًا

لِعِـزَّةِ مَن تعْنو الوُجوهُ وتُسلِمُ

يُهــلـُّونَ بالبـيداءِ لبـيــك ربَّنــا

لكَ المُلكُ والحَمْدُ الذي أنتَ تَعْلمُ

دعــاهُـمْ فلبَّــوْهُ رِضًــا ومَحَبَّــةً

فلمّــَا دَعَـوهُ كان أقـربَ منهــمُ

ترَاهُمْ على الأنضاءِ شُعْثًا رؤوسُهُمْ

وغُبْــرًا وهُــمْ فيهـا أسَرُّ وأنْعَمُ

وَقدْ فارَقوا الأوطانَ والأهلَ رغبةً

ولــم يُثنِــهِمْ لـذَّاتُهُمْ والتَّنَعُّمُ

يَسِيرونَ مِن أقطارِها وفِجاجِــها

رِجـالاً ورُكْبانـاً ولله أسْلمُـوا

ولمَّـا رأتْ أبصـارُهُم بيتَـهُ الـذي

قلوبُ الوَرَى شوقًا إليهِ تَضَرَّمُ

كـأنهمُ لـمْ يَنْصَبُــا قـطُّ قــبْـلَهُ

لأنَّ شَقاهُمْ قد ترحَّلَ عنْهُـمُ

فلِلَّهِ كـمْ مِن عَبــْرةٍ مُهْـــــرَاقــةٍ

وأخـرى عـلى آثارِها لا تَقَــدَّمُ

وَقدْ شَرِقتْ عينُ المُــحِبِّ بدَمْعِها

فينظرُ مِن بينِ الدُّموعِ ويُسْجِمُ

إذا عَايَنَتْــهُ العَيْنُ زالَ ظــلامُهـــا

و زالَ عن القلبِ الكئيبِ التألُّمُ

ولا يَعْــرِفُ الطـرْفُ المُعـايِـنُ حسْنَــهُ

إلى أن يعودَ الطرْفُ والشوقُ أعْظمُ

ولا عجـبٌ مِـن ذا فحِينَ أضافـهُ

إلى نفسِهِ الرحمنُ؛ فهو المعظَّمُ

كسَاهُ منَ الإجْلالِ أعظمَ حُلـةٍ

عليها طِرازٌ بالمَلاحَةِ معْلَمُ

فمِنْ أجلِ ذا كلُّ القلوبِ تُحِبُّـهُ

وتَخْضَعُ إجْلالاً لهُ وتُعَظِّمُ

ورَاحُوا إلى التَّعْريفِ يَرْجُونَ رحمةً

ومغفـرةً مِمَّن يجـودُ ويُـكـرِمُ

فلِلَّهِ ذاكَ المـوقــفُ الأعـظــمُ الــذي

كموقفِ يومِ العَرْضِ بلْ ذاكَ أعظمُ

ويــدْنُو بـهِ الجبّـارُ جَـلَّ جلالُهُ

يُباهِي بهمْ أمْلاكَه فهو أكرَمُ

يقولُ عِبـادِي قدْ أتـونِي مَحَبَّـةً

وَإنِّي بهمْ بَرٌّ أجُودُ وأرْحَمُ

فأشْهِدُكُمْ أنِّي غَفَرْتُ ذنُوبَهُـمْ

وأعْطيْتُهُمْ ما أمَّلوهُ وأنْعِمُ

فبُشراكُمُ ياأهلَ ذا المَوقفِ الذِي

به يَغفرُ اللهُ الذنوبَ ويَرحمُ

فكمْ مِن عتيـقٍ فيـِـه كَمَّـلَ عِتقـهُ

وآخرَ يَسْتسعَى وربُّكَ أرْحَمُ

ومَا رُؤيَ الشيطانُ أغيظَ في الوَرَى

وأحْـقرَ منـهُ عندها وهو ألأَمُ

وَ ذاكَ لأمْــرٍ قـد رَآه فغــاظـــــهُ

فأقبلَ يَحْثُو التُّرْبَ غَيْظاً وَيَلطِمُ

و مــا عاينتْ عينـاه مِــن رحمـةٍ أتـتْ

ومغفرةٍ مِن عندِ ذي العرْشِ تُقْسَمُ

بَنَى ما بَنى حتى إذا ظــنَّ أنـه

تمَكَّنَ مِن بُنيانِهِ فهو مُحْكَمُ

أتَى اللهُ بُنيَانًا له مِن أساسِـهِ

فخرَّ عليه ساقطاً يتهدَّمُ

وَكمْ قـدْرُ ما يعلو البناءُ ويَنْتـهـي

إذا كان يَبْنِيهِ وذو العرش يهدِمُ

وراحُوا إلى جَمْعٍ فباتُوا بمَشـعَرِ الْــ

ـحَرَامِ وصَلَّوْا الفجْرَ ثمَّ تقدَّموا

إلى الجَمْرةِ الكُبرَى يُريدون رَمْيَـهـا

لـوقتِ صلاةِ العيـدِ ثمَّ تيَمَّمُوا

منـازلَهمْ للنـحْرِ يَبغـونَ فضلَـــهُ

وإحياءَ نُسْكٍ مِن أبيهمْ يُعَظَّمُ

فلوْ كان يُرضِي اللهَ نَحْرُ نفوسِهـمْ

لدانُوا بهِ طوْعًا وللأمرِ سلَّمُوا

كما بَذلُوا عنـدَ الجِهـادِ نُحورَهُــمْ

لأعدائِهِ حتَّى جرَى منهمُ الدَّمُ

ولكنَّهمْ دانُوا بوضْعِ رؤوسِهمْ

و ذلِـكَ ذلٌّ للعبيدِ ومَيْسَمُ

ولمَّـا تقضَّـوْا ذلـكَ التَّـفَثَ الـذِي

عليهمْ وأوْفَوا نذرَهُمْ ثمَّ تَمَّمُوا

دعاهُم إلى البيـتِ العتيقِ زيـارةً

فيَـا مرحَبًا بالزائِرين وأكرمُ

فلِلهِ مــا أبْـهَــى زيــارتَـهُـمْ لــــهُ

وقدْ حُصِّلتْ تلكَ الجَوائزِ تُقْسَمُ

وَللهِ أفضــالٌ هنـــاكَ ونِـعْـمَــةٌ

وبِرٌّ وإحْسَانٌ وجُودٌ ومَرْحَمُ

وعـادُوا إلى تلكَ المنـازلِ مِن مِنَى

ونالُوا مناهُمْ عندَها وتَنَعَّمُوا

أقامُـوا بها يــومًا ويـومًا وثـالثًــا

وأذِّنَ فِيهمْ بالرحيلِ وأعْلِمُوا

و راحُوا إلى رمْـيِ الجمارِ عَشِيَّــةً

شعارُهُمُ التكْبيرُ واللهُ معْهُمُ

فلو أبْصـرَتْ عينــاكَ موقفَهـمْ بهــا

وَقدْ بسَطوا تلكَ الأكفَّ لِيُرْحَمُوا

ينـادونَـــهُ يا ربِّ يا ربِّ إنَّنــــا

عبيدُكَ لا ندْعو سواكَ وتَعْلمُ

وها نحنُ نرجـو منــكَ ما أنتَ أهلُهُ

فأنتَ الذي تُعْطِي الجزيلَ وتُنْعِمُ

ولمَّا تقضَّــوْا مـِن مِنًـى كـلَّ حاجــةٍ

وسالتْ بهمْ تلكَ البِطاحُ تقدَّموا

إلــى الكعبــةِ البيـتِ الحَـرامِ عشيــةً

و طافُوا بها سبْعًا وصَلَّوْا وسَلَّمُوا

وقصيدة أخرى طالما راح يتغنّى بها المنشدون:

أنخ ركابـك يا من شئت مغفرةً

بأبي قبيسٍ واقصد ذلك الحرم

و تابـع السير فـي ذلّ وفـي وجـل

وناجِ ربّ البيت في حجر وملتزم

وطف ببيت الله واسـأله مكرمـةً

يرقيك منزلة ذو الجود والكرم

وأسع ما بين الصفا والمروة مرتملاً

و كـبرِ المـولى يا سـاعِ في الحرم

وزمزمُ لا تنس تضلـع منهـا مرتويًـا

بنيةٍ سبقت تشفي كلّ ذي سقم!

هذا ومن الملاحظ أنَّ مكة المباركة، وجدناها قد احتلت مكانةً ساميةً حين أخذت من الشعراء صوراً وألواناً وأغراضاً شعريةً مما تجود به قرائحهم، ففي الفخر نجد عمَّ رسول الله9 أبا طالب رضوان الله تعالى عليه، يقول قصيدته اللامية الطويلة مفتخراً ومتعوّذاً فيها بالبيت الحرام وبمكانه مما يُحيكه بعض الخصوم من قومه كيداً وتآمراً واعتداءً... وهذا جزءٌ منها:

ولـمّـا رأيـتُ القـوم لا ودَّ فيـهـم

وقد قطعوا كلّ العرى والوسائل

وقد صـارحونا بالعدواة والأذى

وقد طاوعوا أمـر العدو المزايل

وقـد حالفـوا قومـاً علينـا أظنّــةً

يعضون غيظاً خلفنـا بـالأنامل

صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة

وأبيض عضب من تراث المقاول

وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي

وأمسكت من أثوابه بالوصائل

قيــامـاً معـاً مستقبـليـن رتاجــه

لـدى حيث يقضـي حلفه كلّ نافل

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم

بمفضى السيول من إساف ونائل

أعوذ بربّ الناس من كلّ طاعن

علينـا بسـوء أو ملح ببـاطــــل

و مـن كاشح يسعى لنـا بمعيبـة

ومن ملحق في الدين ما لم نحاول

وثور ومن أرسى ثبيراً مكانـه

وراق ليـرقى في حراء ونـازل

وبالبيت حقّ البيت من بطن مكة

و بـالله إنَّ الله ليـس بغافل

وبالحجر المسود إذا يمسحونه

إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة

عـلى قدميـه حافيـاً غير ناعل

وأشواط بين المروتين إلى الصفا

وما فيهما من صورة وتماثل

و مـن حجَّ بيـت الله مـن كـلّ راكب

ومن كلّ ذي نذر ومن كلّ راجل

  إلى أن يقول:

وكان لنا حوض السقاية فيهم

ونحن الكدي من غالب والكواهل

شبــاب مـن المـطيبيـن و هاشـم

كبيض السيوف بين أيدي الصياقل...

وهذا الأعشى بن ميمون بن قيس، وهو شاعر جاهلي، يفاخر بهذه المواقع أيضاً، ويهجو عمير بن عبد الله بن المنذر، أويعاتب رجلاً؛ مع أنه ذو شرف يقول له:

فما أنت من أهـل الحجون ولا الصفا

ولا لك حقّ الشرب من ماء زمـزم

ولا جعـل الـرحمـن بيتـك في العــلا

بأجياد غربي الصفــا والمحــــرم.[[207]](#footnote-207)

وقد يقترن ذكرُ مكة ومدحُها هي ومعالمها بممدوح، والمدح واحد من الصور الشعرية، كما نطق الفرزدق مدحاً للإمام زين العابدين علي بن الحسين8، وكانت مناسبتها:

لما حجّ هشام بن عبد الملك في أيام أبيه، طاف بالبيت وجهد أن يصل إلى الحجر الأسود؛ ليستلمه، فلم يقدر على ذلك بسبب كثرة الزحام، فنصب لنفسه كرسيًّا وجلس عليه، ينظر إلى الناس مع جماعة من أعيان الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: فطاف بالبيت. فلما انتهى إلى الحجر تنحّى له الناس حتى استلمه، فقال رجل من أهل الشام لهشام:

من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة؟

فقال هشام: لا أعرفه.

وكان الفرزدق حاضراً، فقال: أنا أعرفه، ثمّ اندفع، فأنشد هذه القصيدة:

هَذا الَّذي تَعرِفُ البَطحاءُ وَطأَتَهُ

وَالبَيتُ يَعرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

هَذا اِبنُ خَيرِ عِبادِ اللَهِ كُلِّهِمُ

هَذا التَقِيُّ النَقِيُّ الطاهِرُ العَلَمُ

هَذا ابنُ فاطِمَةٍ إِن كُنتَ جاهِلَهُ

بِجَدِّهِ أَنبِياءُ اللَهِ قَد خُتِموا

وَلَيسَ قَولُكَ مَن هَذا بِضائِرِهِ

العُربُ تَعرِفُ مَن أَنكَرتَ وَالعَجَمُ

كِلتا يَدَيهِ غِياثٌ عَمَّ نَفعُهُما

يُستَوكَفانِ وَلا يَعروهُما عَدَمُ

سَهلُ الخَليقَةِ لا تُخشى بَوادِرُهُ

يَزينُهُ اِثنانِ حُسنُ الخَلقِ وَالشِيَمُ

حَمّالُ أَثقالِ أَقوامٍ إِذا اِفتُدِحوا

حُلوُ الشَمائِلِ تَحلو عِندَهُ نَعَمُ

ما قالَ لا قَطُّ إِلّا فـي تَشَهُّـدِهِ

لَولا التَشَهُّدُ كانَت لاءَهُ نَعَمُ

عَمَّ البَرِيَّـةَ بِالإِحسـانِ فَاِنقَشَـعَت

عَنها الغَياهِبُ وَالإِملاقُ وَالعَدَمُ

إِذا رَأَتـهُ قُرَيـشٌ قـالَ قائِلُهـا

إِلى مَكارِمِ هَذا يَنتَهي الكَرَمُ

يُغضي حَياءً وَيُغضى مِن مَهابَتِهِ

فَـمـا يُكَلـَّمُ إِلّا حينَ يَبتَسِمُ

بِكَفِّــهِ خَيــزُرانٌ ريحُــــهُ عَبِــقٌ

مِن كَفِّ أَروَعَ في عِرنينِهِ شَمَمُ

يَكـــادُ يُمسِكُـهُ عِرفـانُ راحَتِـــهِ

رُكنُ الحَطيمِ إِذا ما جاءَ يَستَلِمُ

اللهُ شَرَّفَـهُ قِـدمـاً وَ عَظَّمَهُ

جَرى بِذاكَ لَهُ في لَوحِهِ القَلَمُ

التي أغضبت هشام بن عبد الملك (ت125هجرية)، فأمر بحبسه بين مكّة والمدينة.[[208]](#footnote-208)

وجيزة نافعة:

مع السيد الشـريف الرضي=، المولود في بغداد (359هـ)، والمتوفى فيها (406هـ)، وحجازياته؛ وهي قصائد عاطفية نظّمها وهو في الحجاز. والمعروفة بأنَّها «المقطعات الشعرية التي لها وجه اتصال بالحجاز مباشرةً أو بالتأدية إليه».

و يبدو أنَّ خير تعريف لها، كما ذهبوا إليه، هو ما ذكره الدكتور مصطفى كامل الشيبي:

«الحجازيات، مصطلح واضح الدلالة على مضمونه، يجري في الشهرة على نسق مع هاشميات الكميت وخمريات أبي نواس وزهديات أبي العتاهية، ويعني المقطعات الشعرية التي لها وجه اتصال بالحجاز، مباشرة أو بالتأدية إليه، من نظم الشريف الرضي وهي بالمفهوم الحديث (آلبوم) صور تذكارية على هيئة أشعار تجمع ذكريات زياراته الكثيرة لأرض الحجاز أيام إمارته الطويلة للحجّ وما قبلها حين كان يرافق أباه، أبا أحمد الموسوي، الأمير الذي سبقه وأورثه الإمارة».

وقد بلغت أربعين قصيدةً، تتوفّر على حكاياته مع الحجاز، يذكر أمكنة فيه ويصفها بقعةً بقعةً، هضبةً هضبةً، حجارةً حجارةً، فلا الخيف ينساه ولا العقيق، ولا المحصّب والصفا واللوى، ولا رامة وكثبان ويلملم... بل حتى أنَّه لم يترك ذكر ظبائها ولا وصف غزلانها في أشعاره المذكورة...، كان حريصاً أن يمرَّ بأرض الحجاز وبيئته مروراً ليس عابراً كما يفعل الآخرون، بل مروراً كأنه يجعل حجارتها تنطق بوجده، وتثير عنده ذكرياتها، فتراه يطوف حولها بقلبه، ويناجيها بعواطفه، ويتغزل بها في شعره، ويخلدها اسماً و وصفاً في أبياته الرائعة.

إنها بيئة الحجاز، ما أجلَّها مهبط الوحي والتنزيل، ومهوى أفئدة المؤمنين، ومنازل الدعاة من الأنبياء والصالحين والشهداء، حبيبة قلوب المتقين العارفين والحجّاج والمعتمرين...، كلُّ هذه المفردات الجميلة والمعاني الطيبة الجليلة القدر؛ قد احتلّت مكانها في فكر وعقيدة ووجدان السيد الشريف الرضي، وبالتالي تركت آثارها فيه، فلم تفارقه في نظمه لحجازيّاته التي صارت مدار بحث المؤرخ والأديب والشاعر...!

فتعالوا معنا لنعيش مع سيدنا الجليل في بعض أشعاره:

فالأخشبان جبلان يُعدّان من المعالم الجغرافية والتاريخية والأثرية، يضافان ـ كما يقول ياقوت الحموي ـ تارةً إلى مكة وتارةً إلى منى، وهما واحد أحدهما: أبو قبيس، والآخر قعقعان... على أنَّ غير ياقوت من الجغرافيين، مع قولهم إنَّ أحد الجبلين هو أبو قبيس، اختلفوا في تعيين الجبل الآخر.

كان لهما مع غيرهما كمنى والمشعر والخيف والجمار وزمزم والمقام... ذكرٌ في حجازياته، وهو في هذه الأبيات يُبين مدى اشتياقه إلى هذه الأماكن ومحبوبيته لها.

حيث يقول:

أُحِبُّكِ ما أَقامَ مِنىً وَجَمعٌ

وَما أَرسى بِمَكَّةَ أَخشَباها

وَما رَفَعَ الحَجِيجُ إِلى المُصَلّى

يَجُرّونَ المَطِيَّ عَلى وَجاها

وَما نَحَروا بِخَيفِ مِنىً وَكَبّوا

عَلى الأَذقانِ مُشعَرَةً ذُراها

نَظَرتُكِ نَظرَةً بِالخَيفِ كانَت

جَلاءَ العَينِ مِنّي بَل قَذاها

وَلَم يَكُ غَيرُ مَوقِفِنا فَطارَت

بِكُلِّ قَبيلَةٍ مِنّا نَواها

فَواهاً كَيفَ تَجمَعُنا اللَيالي

وَآهاً مِن تَفَرُّقِنا وَآها

فَأُقسِمُ بِالوُقوفِ عَلى أَلالٍ

وَمَن شَهِدَ الجِمارَ وَمَن رَماها

وَأَركانِ العَتيقِ وَبانِيَيها

وَزَمزَمَ وَالمَقامِ وَمَن سَقاها

لَأَنتِ النَفسُ خالِصَةً فَإِن لَم

تَكونيها فَأَنتِ إِذاً مُناها

نَظَرتُ بِبَطنِ مَكَّةَ أُمَّ خِشفٍ

تَبَغَّمُ وَهيَ ناشِدَةٌ طَلاها

وَأَعجَبَني مَلامِحُ مِنكِ فيها

فَقُلتُ أَخا القَرينَةِ أَم تُراها

فَلَولا أَنَّني رَجُلٌ حَرامٌ

ضَمَمتُ قُرونَها وَلَثَمتُ فاها

ولم يكن السيد الشريف الرضي أول من ذكر الأخشبين، فقد ذكر من قبل مزاحم العقيلي، وهو شاعر غزلي بدويّ (ت120هجرية):

خليلي هل لي من حيلة تعلمانها

يقرب من ليلى إلينا احتيالها

فإنَّ بأعلى الأخشبين أراكة

عدتني عنها الحرب دان ظلالها

ممنعة في بعض أفنائها العلا

يروح إلينا كلّ وقت خيالها

إلّا أنَّ ياقوت الحموي يرى في هذا الشعر ما يدل على أنَّ الأخشبين الواردين فيه هما غير اللذين في مكة، وأنهما مكان واحد؛ لأنَّ الأراكة لا تكون في مكانين.[[209]](#footnote-209)

وأيضاً تعالوا معنا نصغ إلى السيد الشريف الرضي وهو يذكر ظباء الحجاز وبعض بقاعه في أبيات يعدّونها من أجمل حجازياته، وهذه بعض أبياتها:

وظبية من ظباء الأنس عاطلة

تستوقف العينُ بين الخمص والهضم

لوأنها بفناء البيت سانحةً

كصدتها وابتدعتُ الصيد في الحرمِ

أحبّك ما أقام منى وجمعٌ

وما أرسى بمكة أخشباها

لأنت النفس خالصة فإن لم

تكونيها فأنت إذن مناها

نظرتك نظرة بالخيف كانت

جلاء العين بل كانت قذاها

ولم يك غير موقفنا وطارت

بكلّ قبيلة منا نواها ....

\* \* \*

يا ظَبيَةَ البانِ تَرعى في خَمائِلِهِ

لِيَهنَكِ اليَومَ أَنَّ القَلبَ مَرعاكِ

الماءُ عِندَكِ مَبذولٌ لِشارِبِهِ

وَلَيسَ يُرويكِ إِلّا مَدمَعي الباكي

هَبَّت لَنا مِن رِياحِ الغَورِ رائِحَةٌ

بَعدَ الرُقادِ عَرَفناها بِرَيّاكِ

عِندي رَسائِلُ شَوقٍ لَستُ أَذكُرُها

لَولا الرَقيبُ لَقَد بَلَّغتُها فاكِ

سَقى مِنىً وَلَيالي الخَيفِ ما شَرِبَت

مِنَ الغَمامِ وَحَيّاها وَحَيّاكِ

إِذ يَلتَقي كُلُّ ذي دَينٍ وَماطِلَهُ

مِنّا وَيَجتَمِعُ المَشكوُّ وَالشاكي...

وكذا نراه يخاطب غزالاً، ويحمله أشواقه:

ألا يا غزالَ الرمل من بطنِ وجرةٍ

أللواجِدِ الظمآنِ منك شروعُ

ألا هل إلى ظل الأثيل تخَلُّص

وهل لثنياتِ الغُوير طلوعُ

وهل بليت خيمٌ على أيمنِ الحِمى

وزالت لنا بالأبَرقين رُبوع

ولم أنسَ يوم الجِزعِ حُسناً فَلَستُه

بعيني على أنّ الزيالَ سَريعُ

ولا يكتفي بذلك، بل راح وهو بعيد عن تلك البقاع والآثار، يناشد كلَّ مسافر إلى تلك الديار الحبيبة على قلبه، ويحملهم شوقه وحنينه إليها:

أقول لركب رائحين لعلّكم

تحلّون من بعدي العقيقَ اليمانيا

خذوا نظرةً مني فلاقوا بها الحِمى

ونجداً وكثبان اللوى والمطاليا

ومُروا على ابيات حيٍّ برامةٍ

فقولوا لديغ يبتغي اليوم راقيا

عدمتُ دوائي بالعراق فربما

وجدتم بنجدٍ لي طبيباً مُداويا

وقولوا لجيرانٍ على الخيف من منى

اكم من استبدلتم بجواريا

وقال أيضاً:

أَيُّها الرائِحُ المُغِذُّ تَحَمَّل

حاجَةً لِلمُعَذَّبِ المُشتاقِ

أَقرِ عَنّي السَلامَ أَهلَ المُصَلّى

وَبَلاغُ السَلامِ بَعدَ التَلاقي

وَإِذا ما مَرَرتَ بِالخَيفِ فَاِشهَد

أَنَّ قَلبي إِلَيهِ بِالأَشواقِ ....

ضاعَ قَلبي فَاِنشُدهُ لي بَينَ جَمعٍ

وَمِنىً عِندَ بَعضِ تِلكَ الحِداقِ

وَاِبكِ عَنّي فَطالَما كُنتُ مِـن

قَبلٍ أُعيرُ الدُموعَ لِلعُشّاقِ.[[210]](#footnote-210)

ولأبي العلاء المعري أربعة أبيات يقول فيها:

سَبّحِ وَصَلِّ وَطُف بِمَكَّةَ زائِراً

سَبعينَ لا سَبعاً فَلَستَ بِناسِكِ

جَهِلَ الدِيانَةَ مَن إِذا عَرَضَت لَهُ

أَطماعُهُ لَم يُلفَ بِالمُتَماسِكِ.[[211]](#footnote-211)

وهذا يحيى بن حبش... شهاب الدين السهروردي، الفيلسوف المقتول، والمولود عام (549هـ) المختلف في سبب وكيفية قتله، ولم أجد فيما تيسـّر لي تاريخ قتله. يكتب عشرة أبيات شعر حزينة، كما في الديوان المنسوب إليه، يذكر فيها شوقه ومتعته الروحية في البقاع المقدسة:

قف بنا يا سعدُ ننزل هاهنا

فأثيلات النَّقا ميعادنا

وابتغِ لي عبرةً أبكي بها

فدموعي نفذت بالمنحنى

هذه الخيف وهـاتيـك مِنى

فترفَّق أيّهـا الحادي بنـا

واحبس التدليج عنا ساعةً

نندب الحيَّ ونبكي الوطنا

أهل مكّة هكذا مكّتكم

كلّ من حجَّ إليها فُتنا

قتلت سُمركم سادتنا

لستُ أعني بكم سُمرَ القَنا

كلُّ من آمل شيئاً ناله

يوم عيدٍ في مُنى إلا أنا

قلتُ يا صيّاد قلبي حلّه

حرم الصّيد على من في منى

قال من تعني وقد أبرز لي

من خبا البُرقع وجهاً حسنا

قلتُ إياك فأوما خجلاً

قال والصياد من قلت أنا

فيما جاء بعضها عن ابن رجب (ت795هجرية)، في المجلس الثاني في ذكر الحجّ وفضله والحث عليه، دون أن يذكر اسم الشاعر، فيقول:

كان عمر بن عبد العزيز إذا رأى من يسافر إلى المدينة النبوية يقول له:

أقرىء [إقرأ] رسول الله9 مني السلام.

وروي أنه كان يبرد عليه البريد من الشام:

هذه الخيف وهاتيك منى

فترفق أيها الحادي بنا

واحبس الركب علينا ساعةً

نندب الربع ونبكي الدمنا

فلذا الموقف أعددنا البكا

ولذا اليوم الدموع تقتنی

أتراكم في النقا والمنحنا

أهل سلع تذكرونا ذكرنا

انقطعنا ووصلتم فاعلموا

واشكروا المنعم يا أهل منى

قد خسرنا وربحتم فصلوا

بفضول الربح من قد غبنا

سار قلبي خلف أحمالكم

غير أن العذر عاق البدنا

ما قطعتم وادياً إلا وقد

جئته أسعى بأقدام المنى

آه وأشواقي إلى ذاك الحمى

شوق محروم وقد ذاق العنا

سلموا عني على أربابه

أخبروهم أنني خلف الضنا

أنا مذ غبتم على تذكاركم

أترى عندكم ما عندنا

بيننا يوم أثيلات النقا

كان عن غير تراض بيننا

زمنا كان وكنا جيرة

فأعاد الله ذاك الزمنا

من شاهد تلك الديار وعاين تلك الآثار، ثم انقطع عنها لم يمت إلّا بالأسف عليها والحنين إليها:

ما أذكر عيشنا الذي قد سلفا

إلّا وجف القلب وكم قد وجفا

واهاً لزماننا الذي كان صفا

وا أسفا وهل يرد فائتاً وا أسفا.[[212]](#footnote-212)

ولا بدّ من الإشارة أنَّ بعض الشعراء - كما يبدو لي - راح يذكر هذين البيتين أو الثلاثة مطلعاً لقصيدته كما في البداية والنهاية لابن كثير(ت774هجرية)، 16: 325 والهامش ذكر خمسة أبيات عن المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لأبي الفرج ابن الجوزي المتوفي (597هجرية) 17: 340.

في ترجمة علي بن أفلح... وقد أورد ابن الجوزي أشياء حسنة من نظمه ونثره،... ومن ذلك قوله:

هذه الخَيف وهاتيك منى

فترفّق أيها الحادي بنا

واحبس الركب علينا ساعةً

نندب الربع ونبكي الدِّمنا

فلذا الموقف أعددنا البُكا

ولذا الدِّمن دموعي تُقتنى...

ولعبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي اليماني (ت803هجرية)، وهو شاعر، متصوف، قصيدة في ديوانه من تسعة عشر بيتاً راح يصف فيها ما يعانيه من وَلهٍ وشوق لمكة وما حولها من البقاع، يُقال إنَّه أنشدها، وكان على مقربة من المدينة المنورة، وما أن أتمَّ بيتها الأخير حتى توفي؛ لتفاقم مرضه عليه، وهذه قصيدته من ديوانه:

يا راحلينَ إلى منىً بقيادي

هيجتُموا يومَ الرحيل فؤادي

سرتم وسار دليكم يا وحشتي

والعيس أطربني وصوت الحادي

وحرمتموا جفني المنام لبعدكم

يا ساكنين المنحنى والوادي

فإذا وصلتُم سالمينَ فبلّغوا

منّي السلام أهيلَ ذاك الوادي

وتذكّروا عند الطواف متيماً

صبّاً فني بالشوق والإبعادِ

لي من ربا أطلال مكّة مرغبٌ

فعسى الإلهُ يجودُ لي بمرادي

ويلوحُ لي ما بين زمزم والصفا

عند المقام سمعت صوت منادي

ويقول لي يا نائماً جدَّ السُرى

عرفاتُ تجلو كلّ قلبٍ صادي

تاللَه ما أحلى المبيت على منی

في يوم عيد أشرفِ الأعيادِ

الناسُ قد حجّوا وقد بلغوا المنى

وأنا حججتُ فما بلغتُ مرادي

حجّوا وقد غفر الإلهُ ذنوبَهُم

باتوا بِمُزدَلَفَه بغيرِ تمادِ

ذبحوا ضحاياهُم وسال دماؤُها

وأنا المتَيَّمُ قد نحرتُ فؤادي

حلقوا رؤوسَهمو وقصّوا ظُفرَهُم

قَبِلَ المُهَيمنُ توبةَ الأسيادِ

لبسوا ثياب البيض منشور الرّضا

وأنا المتيم قد لبست سوادي

يا ربِّ أنت وصلتَهُم وقطَعتني

فبحقِّهِم يا ربّ حلّ قيادي

باللَه يا زوّارَ قبرِ محمّدٍ

من كان منكُم رائحٌ أو غادِ

لِتُبلغوا المُختارَ ألفَ تحيّةٍ

من عاشقٍ متقطِّع الأكبادِ

قولوا له عبدُ الرحيم متيِّمٌ

ومفارقُ الأحبابِ والأولادِ

صلّى عليكَ اللهُ يا علمَ الهدى

ما سارَ ركبٌ أو ترنَّمَ حادِ

أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشـري، لقب بجار الله لمجاورته بمكة زمناً، ولما كان في طريقه إليها نظّم قصيدته الرائيّة:

سيري تماضر حيث شئت وحدّثي

إني إلى بطحاء مكة سائر

حتى أنيخ وبين أطماري فتىً

للكعبة البيت الحرام مجاور

والله أكبر رحمةٍ، والله أك

ثر نعمةٍ، وهو الكريم القادر

يا من يسافر في البلاد منقباً

إني إلى البلد الحرام مسافر

إن هاجر الإنسان عن أوطانه

فالله أولى من إليه يهاجر

سأروح بين وفود مكّة وافداً

حتى إذا صدروا فما أنا صادر

حسبي جوار الله حسبي وحده

عن كلّ مفخرةٍ يعدّ الفاخر

ولما عاد منها إلى بلده اشتدَّ شوقه وحنينه إليها فأنشدَّ:

بكاءٌ علـى أيـامِ مكةَ إنَّ بي

إليهـا حنينٌ الـنِّيبِ فاقـدةُ البكـرِ

تذكـَّرتُ أيـامًا بـهـا فكـأنَّني

قد اختلفت زرقُ الأسنَّةِ في صدري

أبيِتُ على الصخر المبارك باكياً

كما أنَّتِ الخنساءُ تبكي على صخر

و حينَ تخطينا المناقبَ وارتمتْ

بنا العيسُ تهوي في مسالكها القفرِ

و قلتُ ألا أينَ الحطيمُ وزمزمٌ

و ماليَ محجوزًا عن الركنِ والحجرِ

صفرتُ وراءَ الغورِ صفرةَ مفلسٍ

رأي يدَهُ صفرًا من البيضِ والصفرِ

و قلتُ لقلبي قدْ ملكتكَ مرَّةً

فما أنتَ إلاَّ طائرُ طارَ في وكرِ

وتوفي ليلة عرفة سنة (538هجرية).

أبو اليمن ابن عساكر الدمشقي، جاور بمكة نحو أربعين سنة. وتوفي في جمادى الأولى سنة ست وثمانين وستمائة بالمدينة النبوية، له قصيدة فيها شكوى وموعظة ونصيحة...، عنوانها هو بيتها الأول نفسه:

يا من تبوأ من مشاعر مكة

متبوأ بين الصفا والمروة

وأبسط له كفّ السؤال فإنه

جمّ النوال ببسط ظلّ النعمة

واخضع له واضرع إليه وناده

متنصلاً مما جنيت بذلة

وارفع إلى مولاك شكواك التي

طالت بها نجواك أبعد شقة

وانظر لأمرك حيث أمرك منظر

لابدّ من بعد الكرى من يقظة

إلى أن يقول:

فأوى إلى حرم ولاذ بمأمن

مستوثقاً منها بأوثق عروة

ألقى العصا فيها وأوضع كي بها

تضع الخطا والحوب عنه بتوبة

واغسل ذنوبك بالدموع لعلّه

أن يجتبيك من لدنه برحمة...

الشاعر أحمد شوقي ( ت 1932 م ) في رائعته، التي يبدأها بجبل عرفات .. ويُعدُّ الوقوف عنده أهم مناسك الحجّ؛ ( الحجّ عرفة ):

إلى عرفات الله يا خير زائر

عَلَيكَ سَلامُ اللَهِ في عَرَفاتِ

ويوم تولى وجهة البيت ناضراً

وسيم مجالي البشر والقسمات

وَفي الكَعبَةِ الغَرّاءِ رُكنٌ مُرَحِّبٌ

بِكَعبَة قُصّادٍ وَرُكنِ عُفاةِ

وَما سَكَبَ الميزابُ ماءً وَإِنَّما

أَفاضَ عَلَيكَ الأَجرَ وَالرَحَماتِ

وَزَمزَمُ تَجري بَينَ عَينَيكَ أَعيُنًا

مِنَ الكَوثَرِ المَعسولِ مُنفَجِراتِ

وَيَرمونَ إِبليسَ الرَجيمَ فَيَصطَلي

وَشانيكَ نيرانًا مِنَ الجَمَراتِ

لَكَ الدينُ يا رَبَّ الحَجيجِ جَمَعتَهُم

لِبَيتٍ طَهورِ الساحِ وَالعَرَصاتِ

أَرى الناسَ أَصنافًا وَمِن كُلِّ بُقعَةٍ

إِلَيكَ اِنتَهَوا مِن غُربَةٍ وَشَتاتِ

تَساوَوا فَلا الأَنسابُ فيها تَفاوُتٌ

لَدَيكَ وَلا الأَقدارُ مُختَلِفاتِ

عنت لك في الترب المقدس جبهة

يدين لها العاتي من الجبهات

منورة كالبدر شماء كالسها

وتخفض في حقّ وعند صلاة

ويا رب هل تغني عن العبد حجّة

وفي العمر ما فيه من الهفوات

وأنت ولي العفو فامح بناصع

من الصفح ما سودت من صفحاتي...

وله أيضاً:

يا كعبة العلم في الإسلام من قدم

لا يزعجنّك إعصار الأباطيل

إن كان قومك قد جاروا عليك وقد

جاءوا لهدمك في جيش الزغاليل...

الله أرسل طيراً بين أرجلها

قنابل الصخر ترمى صاحب الفيل

للدّين والبيت ربٌّ لا يقاومه

حمر الثياب ولا سود الأساطيل

الشاعر محمد إقبال ( ت 1938 م ) وبعض شواهده الشعرية:

يقول الد كتور فهمي النجار:.. يرتبط إقبال بالعالم العربي المسلم برباط العقيدة التي هي العروة الوثقى، ويعبر عن هذه الصلة المتينة في صورة جميلة، فيقول في قصيدته «شكوى»:

أنا أعجميُّ الدنِّ لكن خمرتي

صنع الحجاز وكرمها الفينان

إن كان لي نغم الهنود ولحنهم

لكنَّ هذا الصوت من عدنان...

وله:

صوت قيثارتي التي سمعوها

أعجميٌّ لكنَّ لحني حجازي...

ويتغنّى إقبال بأرض الحجاز، منبت الوحي، وأرض البطولات، فيقول في قصيدة «شكوى» مبيناً أنها وطن كلّ مسلم على أرض المعمورة، وإليها يحنُّ قلب كلّ مؤمن:

أشواقنا نحو الحجاز تطلّعت

كحنين مغترب إلى الأوطان

إنَّ الطيور وإن قصصت جناحيها

تسمو بفطرتها إلى الطيران...

وله أيضاً:

أنا أعجمي الحبّ إلّا أنني

أطلقتُ في الحرم الشريف لساني

داري وقبلتي وفخاري

لقد عاش محمد إقبال شاعر الإسلام - مدة حياته - في حبّ النبيّ9 والشوق إلى مدينته، وتغنّى بها شعره الخالد...

ويقول عنه أيضاً: ويبقى محمد إقبال يشتاق إلى أرض الحجاز حتى الدقائق الأخيرة من حياته، فينشد:

نغمات مضين لي هل تعود

ونسيم من الحجاز سعيد

أذنت عيشتي بوشك رحيلٍ

هل لعلم الأسرار قلب جديد...

نظم شعر إقبال بالعربية كلّ من د. عبد الوهاب عزام، وكذا الصاوي الشعلان... أما أبو الحسن ندوي فقد ترجمه نثراً...[[213]](#footnote-213)

نكتفي بهذه الشواهد الشعرية من بعضهم، وإلّا هناك الكثيرون من الشعراء تجلّت قرائحهم؛ لتحكي وجدانياتهم في لوحات شعرية فنيّة مؤثرة شوقاً إلى مكة المكرمة وما فيها، وحنيناً ومدحاً وثناءً ووصفاً لها... وإذا ما تتبعها القارئ يجد وكأنَّهم يتنافسون في قصائدهم عنها، وفي حنينهم وشوقهم ووصفهم لها!

\* \* \*

1. . جواهر الکلام، الشيخ الجواهري 19: 419 . [↑](#footnote-ref-1)
2. . محقق و باحثٌ ديني . [↑](#footnote-ref-2)
3. . انظر تفصيلها عند الطبري في تفسيره: الآية: 124. [↑](#footnote-ref-3)
4. . انظر في هذا كلّه الطبري (ت310 هـ) في جامع البيان في تفسير القرآن؛ وابن الأثير في تاج العروس للزبيدي 13: 658؛ لسان العرب لابن منظور 10: 499؛ ومفردات القرآن للراغب: 490-491؛ تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت 685هـ) الآية 128 البقرة؛ تفسير القرآن، ابن عبد السلام (ت660 هـ)؛ الصافي في تفسير كلام الله الوافي للفيض الكاشاني (ت1090 هـ )؛ تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة (ت1224هـ)؛ تفسير روح المعاني، الآلوسي (ت1270 هـ)؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي؛ الكشاف للزمخشري: الآية: 124 البقرة؛ تفسير مكّي، مكّي بن أبي طالب (٤٣٧ هـ)؛ تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا (ت1354هـ)... [↑](#footnote-ref-4)
5. . المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وجماعته: 919؛ القاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً، سعدي أبوالجيب: 352، نَسَكَ؛ لسان العرب لابن منظور10: 498-490؛ النهاية لابن الأثير5: 45؛ أنيس الفقهاء: 144؛ تاج العروس، الزبيدي نَسَكَ ١٣: 658؛ مفردات الراغب: نَسَكَ؛ معجم ألفاظ الفقه الجعفري، الدكتور أحمد فتح الله: 425: النسك؛ ديوان أبي العلاء المعري: الشارخ: الشباب؛ رأي في أبي العلاء؛ الرجل الذي وجد نفسه، أمين الخولي: 34 . [↑](#footnote-ref-5)
6. . تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (ت 885 هـ): الآيتان؛ التحرير والتنوير لابن عاشور؛ مفاتيح الغيب للرازي، الآيات . [↑](#footnote-ref-6)
7. . في ظلال القرآن: الآية . [↑](#footnote-ref-7)
8. . البرهان في تفسير القرآن، هاشم الحسيني البحراني (ت 1107هـ): الآية . [↑](#footnote-ref-8)
9. . البحر المحيط، أبو حيان (ت 754 هـ): الآية . [↑](#footnote-ref-9)
10. . البحر المحيط، أبو حيان (ت754 هـ). [↑](#footnote-ref-10)
11. . مواهب الرحمن في تفسير القرآن، للسيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري 2: 41-42 . [↑](#footnote-ref-11)
12. . انظر جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري (ت310 هـ): الآية؛ مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي (ت 548 هـ)؛ تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت671 هـ)؛ تفسير الكشاف، الزمخشري (ت538 هـ)؛ تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت685 هـ): الآية؛ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، للشيخ ناصرمكارم الشيرازي 1: 383 . [↑](#footnote-ref-12)
13. . انظر مجمع البيان للطبرسي؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت774 هـ)؛ التفسير الكبير للإمام الطبراني (ت360 هـ)؛ تفسيرالمنار، محمد رشيدبن علي رضا (ت1354هـ)؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي؛ تفسير الدرّ المصون، السمين الحلبي (ت756 هـ)؛ تفسيرفتح القدير، الشوكاني (ت1250 هـ)؛ تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (ت685هـ)؛ تفسير اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل (ت880 هـ)؛ تفسير الكشاف للزمخشري (ت538 هـ)؛ جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (ت310 هـ)؛ مفاتيح الغيب للرازي (ت606 هـ): الآية... [↑](#footnote-ref-13)
14. . جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (ت310 هـ): الآية. [↑](#footnote-ref-14)
15. . مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الرازي (ت 606 هـ). [↑](#footnote-ref-15)
16. . كتاب أحكام القرآن للجصاص، قمحاوي: الآية . [↑](#footnote-ref-16)
17. . البحر المحيط، أبو حيان (ت754 هـ): الآية . [↑](#footnote-ref-17)
18. . جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري (ت310 هـ)؛ روح المعاني، الآلوسي (ت1270هـ)؛ التحرير والتنوير، لابن عاشور؛ مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي (ت548 هـ)؛ مفاتيح الغيب، للرازي: الآية. [↑](#footnote-ref-18)
19. . انظر في هذا كله شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١: الصفحة مقدمة المحقق 4، 10: 78 عن زهر الآداب 1: 59؛ السيرة النبوية، لابن هشام 1: 110و4: 26،27 من شعر حسان في بكاء قتلى مؤتة؛ مفاتيح الغيب، الرازي (ت 606 هـ) : الآية من سورة الكوثر، القول الثالث؛ أنساب الأشراف، للبلاذري2: 23،76،79 عن المدائني؛ البيان والتبيين، للجاحظ3: 324 ـ325؛ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر: عقيل بن أبي طالب؛ الاستيعاب في معرفة الصحابة، لابن عبد البر: أمُّ هانئ؛ الطبقات، لابن سعد 8 : 151؛ أسد الغابة، ابن الأثير 5: 624؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي1: 158،218 رقم: 35؛ معجم أنصار الحسين ـ الهاشميّون ـ الجزء الأول، دائرة المعارف الحسينية، محمد صادق محمد الكرباسي: 46؛ مجلة ميقات الحج، العدد 14 الخاص بالإمام عليٍّ7، والعدد 18: 122 أبوطالب مأوى الرسول والرسالة، زوجته فاطمة بنت أسد:130-132؛ أمُّ هانئ، في العدد 56 مجلة ميقات الحجّ. [↑](#footnote-ref-19)
20. . انظر في هذا كله: السيرة النبوية، لابن هشام 1: 162،229؛ تاريخ الطبري2: 313؛ بحار الأنوار، للعلامة المجلسي 18: 208،209، وفي أجزاء أخرى، 35: 24،25،43، 38: 237؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم 3: ٥٦٧ الحديث رقم (٦٤٦٣)؛ وأنساب الأشراف، للبلاذري1: 75، ٢: ٣٤٦؛ وانظر المقالة: العباس بن عبد المطلب عمّ النبي9 في العدد 54 من هذه المجلة، الحلقة 1؛ أخبار مكة، للأزرقي2: 56، 223ـ224؛ مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور: العباس بن عبد المطلب؛ مناقب آل أبي طالب، لابن شهرآشوب٢: ١٧٩؛ طبقات ابن سعد 4: 44؛ المعجم الكبير، للطبراني 17: 191؛ كتاب الغدير، للشيخ الأميني 7: 200-376؛ عيون أخبار الرضا، للشيخ الصدوق1: 64 رقم 223؛ قاموس الرجال، للتستري 6: 24، الرقم 3899؛ نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ7 2: 157؛ وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 13: 197، ١٣: ١٩٨و199؛ طبقات ابن سعد 4: ٤٤. [↑](#footnote-ref-20)
21. . مسند الإمام أحمد بن حنبل 7: 418-419 رقم 4414؛ فتح الباري، شرح صحيح البخاري352:7 ؛ تفسير القرطبي، سورة آل عمران: الآية 122؛ والأنساب للبلاذري: 72... [↑](#footnote-ref-21)
22. . انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد2: 118ـ 120، 11: 250؛ كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البرّ 3: 339 رقم 1588 ترجمة عبد الله بن عباس؛ أنساب الأشراف، للبلاذري2: 69ـ70 عقيل بن أبي طالب؛ وفي هامش الصفحة 69 قول ابن سعد في ترجمة عقيل من الطبقات4: 42 ط بيروت؛ كتاب الثقات، لابن حبّان 5: 391؛ التاريخ الكبير، للبخاري 7: 266 رقم 1128؛ كتاب بحار الأنوار، للعلامة المجلسي 44: 354؛ مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصفهاني: 106 وهامشها، منشورات الشريف الرضي؛ مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب2: 352؛ وقعة صفين لنصر بن مزاحم؛ الجمل، للشيخ المفيد. [↑](#footnote-ref-22)
23. . شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد 14: 47؛ وانظر 64 - 65: الفصل الثاني ... كتاب المغازي، للواقدي 2: 696 . [↑](#footnote-ref-23)
24. . سورة الحجرات: 11ـ12. [↑](#footnote-ref-24)
25. . مسند أحمد بن حنبل تحقيق أحمد شاكر2: 352، الهامش؛ الاستيعاب لابن عبد البر، باب عقيل: عقيل بن أبي طالب، 3: 78 رقم 1834؛ أسد الغابة، لابن الأثير 3: 424، 4: 61. رقم 3732؛ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد 12: 94؛ الطبقات، لابن سعد3: ٢٩٤، 1: 121؛ فتوح البلدان، للبلاذري 3: ٥٤٩؛ تاريخ الطبري 3: ٢٧٧؛ البيان والتبيين، للجاحظ 1: 322؛ أنساب الأشراف، للبلاذري2: 69،73، 74 والهامش؛ وقت صلاة الجمعة في الموطإ لمالك؛ تاريخ دمشق، لابن عساكر8:  41؛ عمدة الطالب، لابن عنبة 31 والهامش؛ البداية والنهاية، لابن كثير 7: 47 . [↑](#footnote-ref-25)
26. . مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور 17: 115؛ الأغاني 4: 183؛ وقريباً منه ذكره ابن سعد في طبقاته 1: 121 و 4: 8؛ الطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار 4: 12؛ والأخير ذكره الشيخ الكليني في الكافي، الحديث563 في روضة الكافي: 375؛ تاريخ الطبري2: 292؛ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد 14: 199؛ جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري (ت310 هـ)؛ مجمع البيان، للشيخ الطبرسي: الآية؛ السيرة النبوية لابن هشام 2: 687. [↑](#footnote-ref-26)
27. . سير أعلام النبلاء 1: 218؛ وانظر الطبقات لابن سعد 4:،43،30؛ الاستيعاب 4: 64؛ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد11: 250؛ الإصابة: ٤: ٤٣٨ الرقم٥٦٤٤؛ طبقات ابن سعد 4: 61؛ التهذيب، لابن حجر: 83؛ الكافي، للشيخ الكليني ٨: ٢٠٢ ح ٢٤٤. [↑](#footnote-ref-27)
28. . جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري (ت310 هـ)؛ مجمع البيان، للشيخ الطبرسي: الآية. [↑](#footnote-ref-28)
29. . طبقات ابن سعد 4: 44؛ شرح الأخبار، القاضي نعمان 3: 241؛ الفائق، للزمخشري 3: 63. [↑](#footnote-ref-29)
30. . هو الشيخ شمس الدين بن شهاب الدين الرملي المنوفى المصـري الأنصاري المشهور بالشافعي الصغير من علماء القرن العاشر الهجري، ولقّبه البعض بمجدد القرن العاشر. [↑](#footnote-ref-30)
31. . أخبار الحاج وطريق مکة المعظمة، مصدر سابق 1: 726. [↑](#footnote-ref-31)
32. . تاريخ الفاخري، مصدر سابق: 127. [↑](#footnote-ref-32)
33. . تاريخ ابن لعبون،  مصدر سابق: 154. [↑](#footnote-ref-33)
34. . عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق 2: 233. [↑](#footnote-ref-34)
35. . م. ن، 2: 237. [↑](#footnote-ref-35)
36. . الشبانات، سعد بن عبد العزيز، الصّمّان بحوث وتحقيقات ميدانية وتأريخية لمنطقة الصُلب والصّمّان، تقديم حمد الجاسر، دار عالم الکتب، الرياض، ط2، 1420هـ 2000م 1: 143. [↑](#footnote-ref-36)
37. . إتحاف الورى بأخبار أم القرى، مصدر سابق 4: 50. [↑](#footnote-ref-37)
38. . م. ن، 4: 56. [↑](#footnote-ref-38)
39. . سورة آل عمران: 97 . [↑](#footnote-ref-39)
40. . عنوان المجد في تاريخ نجد، مصدر سابق 2: 372 . [↑](#footnote-ref-40)
41. . إتحاف الورى بأخبار أمِّ القرى، مصدر سابق 4: 70 . [↑](#footnote-ref-41)
42. . رابغ: هي إحدى محافظات منطقة مکة المکرمة وهي مدينة قديمة تقع على ساحل البحر الأحمر في إقليم تهامة، تبعد عن جدة حوالي140کيلومتر في اتجاه الشمال، يحدها من الشمال منطقة المدينة المنورة، ومن الجنوب محافظة جدّة، ومن الشرق منطقة المدينة المنورة ومحافظة خليص، يقطعها طريق دولي إلى جزئين شمالي و جنوبي، وکانت قديماً من ديار بني ضمرة من قبيلة کنانة، بها ميقات (الجحفة) وهو ميقات لأهل مصر والشام. البلادي، د. عاتق بن غيث، معجم معالم الحج، دار مکة للنشر والتوزيع،  مکة المکرمة، الطبعة الثانية، 1431هـ، 2010م: 654. [↑](#footnote-ref-42)
43. . يعني الکوليرا (الهيضة): والکوليرا، والتي تعرف أحيانا باسم الکوليرا الآسيوية أو الکوليرا الوبائية، هي من الأمراض المعوية المُعدية التي تُسببها سلالات جرثوم ضمة الکوليرا المنتجة للذيفان المعوي. وتنتقل الجرثومة إلى البشر عن طريق تناول طعام أو شرب مياه ملوئة ببکتيريا ضمة الکوليرا من مرضي کوليرا آخرين. [↑](#footnote-ref-43)
44. . إتحاف الورى بأخبار أم القرى، مصدر سابق 4: 27 . [↑](#footnote-ref-44)
45. . م. ن، 4: 60 . [↑](#footnote-ref-45)
46. . سورة  الحج: 27 . [↑](#footnote-ref-46)
47. . تاريخ الخليج [الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: 444. [↑](#footnote-ref-47)
48. . التاريخ السياسي لإمارة الجبور في شرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: 47. [↑](#footnote-ref-48)
49. . أدما:  هي قرية لبنانية من قری قضاء کسروان في محافظة جبل لبنان. [↑](#footnote-ref-49)
50. . العيوني، علي بن المقرب ديوان ابن المقرب، تحقيق و شرح: عبد الفتاح محمد الحلو، مکتبة التعاون الثقافي: الأحساء، الطبعة الثانية: 1408هـ ، 1988م: 548. [↑](#footnote-ref-50)
51. . تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، مصدر سابق: 34. [↑](#footnote-ref-51)
52. . تاريخ الخليج[الفارسي] وشرق الجزيرة العربية، مصدر سابق: 446. [↑](#footnote-ref-52)
53. . موسوعة ويکيبيديا العالمية على شبکة الإنترنت. [↑](#footnote-ref-53)
54. . مجلة الرسالة الإسلامية. بغداد. العدد 12 من السنة 23: (1400هـ ـ1981م):  34. [↑](#footnote-ref-54)
55. . عبد الله، الدکتور محمد مرسي، إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى1793ـ1818م، المکتب المصري الحديث؛ القاهرة، الطبعة الأولى،1978م: 42 . [↑](#footnote-ref-55)
56. . سفرنامه، ناصرخسرو، مصدر سابق: 38. [↑](#footnote-ref-56)
57. . أخبار الحاج وطريق مکة المعظمة، مصدر سابق 2: 47. [↑](#footnote-ref-57)
58. . قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: 93ـ94. [↑](#footnote-ref-58)
59. . مرات: محافظة تقع في الجهة الشمالية الغربية لمدينة الرياض بالمملکة العربية السعودية وتتبع إدارياً لمنطقة الرياض. [↑](#footnote-ref-59)
60. . قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: 95. [↑](#footnote-ref-60)
61. . م. ن.: 97. [↑](#footnote-ref-61)
62. . يصاقبها:  أي يجاورها. [↑](#footnote-ref-62)
63. . قوافل الحج المارة بالعارض، مصدر سابق: 102. [↑](#footnote-ref-63)
64. . الدمشقي، السيد مرتضى بن علوان، رحلة مرتضى بن علوان إلى الأماکن المقدسة والأحساء والکويت والعراق،  تحقيق و تعليق: أ. د. سعيد بن عمر آل عمر، مکتبة المتنبي:  الدمام، الطبعة الثانية: 1425هـ: 111. [↑](#footnote-ref-64)
65. . الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (المتوفى: 346هـ)، المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة: القاهرة الطبعة الأولى: (د.ت): 28. [↑](#footnote-ref-65)
66. . البروسوي، محمد بن علي، الشهير بابن سباهي زاده (ت997هـ / 1589م)، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تقديم و تحقيق: المهدي عيد الرّواضية، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1427هـ 2006م: 131. [↑](#footnote-ref-66)
67. . أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، مصدر سابق: 733. [↑](#footnote-ref-67)
68. . سفرنامه، ناصر خسرو، مصدر سابق: 142. [↑](#footnote-ref-68)
69. . أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك،  مصدر سابق: 131. [↑](#footnote-ref-69)
70. . الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي: بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ 1993م. 5: 442. [↑](#footnote-ref-70)
71. . ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، مطبعة بريل: مدينة ليدن، الطبعة الأولى: 1881م: 50. [↑](#footnote-ref-71)
72. . الصمّان، بحوث وتحقيقات جغرافية ميدانية، مصدر سابق 1: 141. [↑](#footnote-ref-72)
73. . رحلة ابن علوان،  مصدر سابق: 111. [↑](#footnote-ref-73)
74. . أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان الأرحبي البکيلي الهمداني (280ـ بعد 336هـ)، من أعظم جغرافيي جزيرة العرب في عصره، وکان شاعراً کذلك، وله إحاطة بعلوم الفلك والحکمة والفلسفة والکيمياء. سجن في أخريات حياته، وکان من أهم ما کتب الجوهرتين العتيقتين. قضی بعد السجن عام 336هـ. [↑](#footnote-ref-74)
75. . خرشيم: لعل المراد بها (خُرَيشيف): قال ياقوت: «خِرشَاف: موضع بالبيضاء من بلاد بني جذيمه بسيف البحرين في رمال وعثة تحتها أحساء عذبة الماء عليها نخل بعل»، ويقول الجاسر في معجمه أنه: «بسيف القطيف». معجم البلدان 2: 359، حمدالجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية المنطقة الشرقية: (البحرين قديماً)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشـر، الرياض، الطبعة الأولى، 1400هـ، 2: 598. [↑](#footnote-ref-75)
76. . يعرفان الآن باسم (سلّح ورويغب)، وهما منهلان يقعان غرب الدهناء، قال صاحب المعجم:  «وهي هجرة من هجر البادية، للسهول لآل منجل، والمحانية منهم في أعلى شعب من شعاب وجه العرمة الغربي، وبأسفله أبارق شقر تضاف إليه، فيقال (شُقران رويغب) وعند الأقدمين يجمع مع ماءها (السّلْح) فيقال: «السّلْحَيْن، کالحفرين، قال الهمداني: إلى الحفيرين وإلى السلحين»، بن خميس، عبد الله بن محمد، معجم اليمامة للبحث والترجمة والنشـر، الرياض المملکة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1398هـ 1978م، 1: 490. [↑](#footnote-ref-76)
77. . العَرْمَة: ماءٌ عدّ، يقع في ناحية الرقاش الشرقية، شمال وادي القمرا،  وسمّي بهذا الاسم نسبة إلى مالکه العرم الشيباني، وهو في أطراف بلاد عتيبة مما يلي بلاد الدواسر، جنيدل، سعد بن عبد الله، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، دار اليمامة، الرياض، ط.1. (د.ت) 3: 938. [↑](#footnote-ref-77)
78. . الحابسية: لعلّه يقصد من: أحباس، تجعل للماء، والحبس الماء المستنقع، وقيل الحبس حجارة تبنى على مجرى الماء لتحبسه للساربة، ويسمى الماء، معجم البلدان مصدر سابق 2: 213. [↑](#footnote-ref-78)
79. . قولهم مکان زلق أي دحض، وزلقت رجله تزلق زلقاً، والزلاقة: الموضع الذي لا يمکن الثبوت عليه من شدة زلقه،  والتشديد للتکثير، معجم البلدان، مصدر سابق 3: 146. [↑](#footnote-ref-79)
80. . لعل مراده وادي الفروق وهو يقع في الجزء الجنوبي الغربي من إقليم الأحساء، انظر: القحطاني، الدکتور حمد محمد، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إقليم الأحساء 1288ـ1331هـ/1871ـ1913م، ذات السلاسل: الکويت، ط.1.1432هـ 2012م: 30. [↑](#footnote-ref-80)
81. . أبرق: الجبل أو الحزم تکسوه رقعة من الرمال فيتکوّن من ذلك لونان يطلق عليه أبرق وجمعها أبارق، ويقصد بذلك ما لمع من أشعة الشمس. الصمّان، مصدر سابق 1: 155. [↑](#footnote-ref-81)
82. . برقة الثور: قال ياقوت: برقة الثور: قال أبو زياد: برقة الثور جانب الصمان، معجم البلدان، مصدر سابق 1: 392. [↑](#footnote-ref-82)
83. . تقع هضبة الصمّان في الجزء الشرقي من الجزيرة العربية بين درجتي (24ـ28)، ويبلغ طولها 500کم، ومتوسط عرضها 100کم تقريباً، وينحدر سطح الصمّان نحو الشـرق والشمال قليلاً (بمعدل 7 /1 متر في الکيل الواحد)، الصمّان، مصدر سابق 1: 153. [↑](#footnote-ref-83)
84. . وهو لطريق المعروف بدرب القوافل المسمى زري قديماً، ودرب مزاليج حديثاً. وهو کالتالي من اليمامة إلى الأحساء والعکس صحيح: يبدأ من الرياض ثم يمر بمورد (أبوجفان) في العرمة ثم يجتاز الدهناء ماراً بالمصليبيخ ثم الميسونية، ثم الثفنة والبيضة ثم الصلب ثم بالمحْنيِّ ثم ربيداء ثم الشعب والفروق ثم النعلة والغوار حتى منهل ويسة إلى الأحساء، الصمّان، مصدر سابق 1: 151. [↑](#footnote-ref-84)
85. . الدبدبة: تقع شرقي الصمان وهي بين البصرة واليمامة. [↑](#footnote-ref-85)
86. . صحصح: جمعها صحاصح، وهي الأرض الواسعة الجرداء المسنوية، الصمّان، م. س.: 177. [↑](#footnote-ref-86)
87. . وکلامه هنا غير صحيح، فقد باعد بين وسيع و دحرض حيث وضع دحرض في الصحصحان قرب الصمّان، وهذا لا يستقيم فليس قرب الصمّان في طريق الأحساء أي آبار معتبرة حتى هو نفسه قال في موضع آخر: «وليس بالصمان ماء عدّ إلّا ما کان مياه العرمة قربها»، راجع الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأکوع الحوالي، مکتبة الإرشاد: صنعاء، الطبعة الأولى1410هـ/1990م: 252. [↑](#footnote-ref-87)
88. . ماء الدحضرين موردين في العرمة أحدهما اسمه دحرض والآخر اسمه وسيع وجمعا بصيغة دحرضين، وهو في غرب الأحساء ناحية منطقة الفروق وما حولها. [↑](#footnote-ref-88)
89. . الصحيح (الدُو): وتسمي الدبدبة تقع شرقي الصمان، وهي بلد لبني تميم، قال ذو الرمة:

    حتى نساء تميمِ وهي نازحةٌ بباحهِ الدُّو فالصّمان فالعقدِ

    المصدر: المضري، غيلان بن عقبة بن مسعود العدوي، ديوان ذي الرمة، شرحه وضبط نصوصه الدکتور عمر فاروق الطبّاع، دار الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى1419هـ/1998م: 153. [↑](#footnote-ref-89)
90. . لعله إشارة إلى حمراء کون تربة صحراء الدهناء حمراء، وقد عبر عنها هنا بسمراء. [↑](#footnote-ref-90)
91. . أرض سهب: تعني الأرض مستوية. [↑](#footnote-ref-91)
92. . صحراء الدهناء: هي صحراء رملية حمراء في الجزيرة العربية تمتد من النفود شمالاً إلى الربع الخالي، وهي عبارة عن شريط رملي ضيق يتراوح عرضه ما بين 40 و 80کم، ويمتد على شکل قوس من الشمال إلى الجنوب لمسافة تزيد على 1000 کم بمحاذاة جبل طويق. وتصل صحراء الدهناء بين صحراء النفود الکبير في شمال الجزيرة وصحراء الربع الخالي في جنوبها، کما تشکل عند الکثير من الجغرافيين الحد الفاصل بين إقليمي نجد والأحساء، وتتشکل الدهناء من کثبان رملية عالية تمتد بشکل طولي وتسمى «عروقاً»، راجع معجم اليمامة، مصدر سابق 1: 436. [↑](#footnote-ref-92)
93. . حيث کانت وصية الشاعر ذو الرمة أن يدفن بديار بني تميم، على کثبان حُزْوَى، وهي ديار محبوبته ميّة، ديوان ذي الرمة، مصدر سابق: 5. [↑](#footnote-ref-93)
94. . ذو الرُمَّة: هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي الربابي التميمي، کنيته أبو الحارث، وذو الرّمّة شاعر عربي من الرباب من تميم، من شعراء العصر الأموي، ومن فحول الطبقة الثانية في عصره (77ـ117هـ) ديوان ذي الرمة، مصدر سابق:5ـ 16. [↑](#footnote-ref-94)
95. . دفن في رمال حزوى: وتقع رمال حزوى شمال شرق مدينة الرياض بـ: 250کيلاً، شمال مدينة رماح ويربط بين رماح والبلدان الناشئة بالصّمّان خط إسفلتي يمر ببلدة شوية وبلدة حزوى (العمانية) ورمل حزوى يحف بالبلدتين؛ ويقع القبر في أعلى قمة من رمال حزوى مطل على خبراء (خسيفة) التي غسلوه وصلوا عليه فيها، ثم حملوه إلى قبره الذي حفروه في الرمال وبطنوه بأغصان الأشجار والمدر الطين اليابس (اللبن) حسب وصيته. [↑](#footnote-ref-95)
96. . عثاعث: هي الأرض الرملية، قال ذو الرمة:

    تريك وذا غدائر وارداتٍ يصبن عثاعث الحجبات سودُ

    ديوان ذي الرمة، مصدر سابق: 155. [↑](#footnote-ref-96)
97. . الخَلُّ: هو الطريق النافذُ بين الرَّمال المتراکمة والجمع: أخُلّ، وخِلالٌ. قال زهير بن أبي سلمى:

    ظلت على نيسم (خلٍّ) جازعِ صعب الصعود صبب المطالع، الصّمّان، مصدر سابق:169. [↑](#footnote-ref-97)
98. . ينکش: يزف و يغيض، وتعضب: تنقطع. [↑](#footnote-ref-98)
99. . النظيم: ما انتظم من أي شيء مثل الخباري أو الأجواء کالجواء النظيم بالصمان، م. س.: 190. [↑](#footnote-ref-99)
100. . ينکش: يزف و يغيض، وتعضب: تنقطع. [↑](#footnote-ref-100)
101. . الغرابات: جمع غرابة: موضع في شعر لبيد وهي أمواه لخزاعة أسفل کلية، وقال الحفصـي: الغرابات قرب العرمة من أرض اليمامة، وأنشد الأصمعي:

     لمن الدار تعفّى رسمُها بالغرابات فأعلى العرمة

     معجم البلدان، مصدر سابق 4: 189. [↑](#footnote-ref-101)
102. . المراد هنا ماء وسيع الذي بالعرمة المذکور سابقاً، وقد يطلع عليه (وشيع) بالشين بدل السين، قال ياقوت: والوشيع: خشبة غليظة توضع على رأس البئر. في نوادر أبي زياد: وسيع، بالسين مهملة، هو ماء لبني الزبرقان قرب اليمامة. وجاء في معجم اليمامة: وما (وشيع) و(وسيع) إلّا منهلاً واحداً في جنوب غرب العرمة الجنوبية، ووادي وسيع ينحدر من ظهر العرمة الجنوبية متجهّا للجنوب الغربي ويصب فوق الروضة (التوضيحية). معجم اليمامة 2: 441. معجم البلدان، م.س.5: 378. [↑](#footnote-ref-102)
103. . ويعني أبو جفان: وهو منهل قديم من مناهل (العرمة) الجنوبية، يرده المسافرون على الإبل بين (الرياض) و(الأحساء)، وهو إلى (الرياض) أقرب وآبار (أبو جفان) تقع على خط العرض 50/30/24 وخط الطول 02/43/47 وعدد آباره الظاهرة الآن أربع وعشـرون بئراً أشهرها تسمى (القموص) . ويبعد (أبو جفان) عن (الرياض) مئة کيل جهة الشرق. ويبدو أن (أبو  جفان) يحمل هذا الاسم منذ القدم، فقد يبدأ المتقدمون بعض أسماء الأماکن بکلمة (أبو) أو (أم) مثل قولهم (أم أوعال) (227) وأن سبب سميته بهذا الاسم وجود قلات تنتظم أسفل الوادي قبل انحداره مع منحدر جبال (العرمة)، وهذه القلات مدورة الشکل منها واحدة فوهتها مستديرة کالجفنة (القصعة) والعرب يسمون القلات المتقاربة المتتابعة في المجرى المائي النظيم. [↑](#footnote-ref-103)
104. . القاع: هو ما انبسط من الأرض الحرة السهلة الطين التي لا يخالطها رمل فيشـرب ماءها، وهي مستوبة ليس فيها تطامن ولا ارتفاع، والمقصود هنا في ناحية العرمة. معجم البلدان، م.س.4: 298. [↑](#footnote-ref-104)
105. . معنى سهب: السَّهْبُ: الفَلَاةُ جمعه سهب وقال الفَضْلُ بنُ العَبَّاس اللَّهَبِيُّ:

     ونَحْلُلْ من تِهَامَةَ کُلَّ سَهْبِ نَقِيِّ التُّرْبِ أوْدِيَةً رِحَابا

     ويقول صاحب بن خميس في المعجم: السهباء بلاد لحنيفة، وهي منطقة واسعة في الخرج وروضة من أکبر رياض (اليمامة)، هي منخرق وادي حنيفة، مدفع سيوله يکبر سيله احياناً ويعظم، ثم ينتهي بهذا المنخرق فيتبدد ويضيع. والسهباء على مقربة من (الخِضرمة) قصبة اليمامة، وقاعدتها الحضارية الأولى أيام بني حنيفة، وأيام بني الأخيضر، معجم اليمامة، مصدر سابق 2: 39. [↑](#footnote-ref-105)
106. . وتطلق عادة مع کلمة برقة فيقال (برقة أنقد)، قال ياقوت: قال الحفصي: أنقد جبل باليمامة. معجم البلدان 1: 391. [↑](#footnote-ref-106)
107. . الروضة: بلدة أکبر وأشهر بلدان سدير وأقدمها، أعلى بلدة في وادي (الفقي)، ما عدا قرية صغيرة تدعى (المَعْشَبَة)، فالروضة أول بلدة تستقبل سيل هذا الوادي. معجم اليمامة، م.س. 1: 485. [↑](#footnote-ref-107)
108. . قال أبو عبيد البکري في معجم ما استعجم: «خضرمة»: موضع مذکور في رسم اللهابة، ورسم الغورة. وقال الأصمعي: الخضرمات: رکايا باليمامة، وأنشد للعجّاج:

     إذْ حسبوا أنّ الجهاد والظّفرْ إيضاع بين الخضرمات وهجرْ

     وقال الصّوليّ: خضرمة: قرية باليمامة، وتقع (الخضرمة) في جو أسفل وادي الخرج في الموضع الذي تقوم فيه بلدة (اليمامة) في العهد الحاضر، أو قريب من ذلك الموضع. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، مصدر سابق 2: 501؛ معجم اليمامة، مصدر سابق 1: 388. [↑](#footnote-ref-108)
109. . صفة جزيرة العرب، مصدر سابق: 138. [↑](#footnote-ref-109)
110. . العبودي، محمد بن ناصر، معجم بلاد القصيم، [د.ن]، الطبعة الثانية1410هـ/1990م، 4/1406. [↑](#footnote-ref-110)
111. . معجم البلدان، مصدر سابق 3: 457. [↑](#footnote-ref-111)
112. . أحمد بن عمر، أبو على ابن رسته (ت نحو300هـ/نحو 912م) هو جغرافي فارسي، من أهل إصفهان. حجّ سنة290هـ وصنف کتاب «الأعلاق النفيسة»، وصف بها الکثير من المدن والبلاد؛ الکتاب يقع في سبعة أجزاء، لکن لم يصلنا منه إلّا الجزء الأخير. [↑](#footnote-ref-112)
113. . تقع منطقة ضرية بمنطقة القصيم، وهي تبعد عن الرس 150کم، وتبعد عن عفيف 90کم،  وعن الدوادمي 190کم. [↑](#footnote-ref-113)
114. . ابن رسته، أبو على أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل: مدينة ليدن، الطبعة الأولى: 1891م: 182. [↑](#footnote-ref-114)
115. . معجم البلدان، مصدر سابق 3: 457. [↑](#footnote-ref-115)
116. . أبوالقاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبه (نحو205ـ نحو280هـ) مؤرخ وجغرافي اشتهر بکتابه الجغرافي کتاب المسالك والممالك، الذي وصف فيه المسافات بين البلدان وقد عمل في خدمة الخليفة العباسي المأمون. [↑](#footnote-ref-116)
117. . معجم البلدان، مصدر سابق 2: 115. [↑](#footnote-ref-117)
118. . م. ن. 2: 223. [↑](#footnote-ref-118)
119. . م. ن. 4: 42. [↑](#footnote-ref-119)
120. . معجم البلدان، مصدر سابق 4: 272. [↑](#footnote-ref-120)
121. . م. ن. 2: 440. [↑](#footnote-ref-121)
122. . م. ن. 4: 302. [↑](#footnote-ref-122)
123. . معجم البلدان، مصدر سابق 5: 95. [↑](#footnote-ref-123)
124. . م. ن. 5: 362. [↑](#footnote-ref-124)
125. . م. ن. 1: 281. [↑](#footnote-ref-125)
126. . معجم معالم الحجاز، مصدر سابق 1: 145. [↑](#footnote-ref-126)
127. . معجم البلدان، مصدر سابق 4: 108. [↑](#footnote-ref-127)
128. . معجم معالم الحجاز، مصدر سابق 5: 1035. [↑](#footnote-ref-128)
129. . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مصدر سابق 14: 31. [↑](#footnote-ref-129)
130. . معجم البلدان، مصدر سابق 1: 414. [↑](#footnote-ref-130)
131. . المسالك والممالك، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه، مطبعة بريل: مدينة ليدن، الطبعة الأولى 1881م: 146ـ147. [↑](#footnote-ref-131)
132. . الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى، محمد الفهد العيسى، مکتبة العبيکان، الطبعة الأولى، 1415هـ /1995م: 13. [↑](#footnote-ref-132)
133. . معجم اليمامة، مصدر سابق: 529. [↑](#footnote-ref-133)
134. . الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق: 23. [↑](#footnote-ref-134)
135. . المسالك والممالك، مصدر سابق: 147. [↑](#footnote-ref-135)
136. . أبو بکر بن بهرام الحنفي الدمشقي (ت1102هـ)، جغرافي عثماني. ولد في دمشق ونشأ فيها ثم رحل إلى إسطنبول وأکمل دراسته هناك، وأتقن کثيراً من العلوم والفنون وتميز في الرياضيات بشکل خاص، وترقى في الدرجات العلمية. واتصل بالوزراء وکان مقرباً من الصدر الأعظم الوزير أحمد باشا الکبرلي المعروف بالفاضل، ثم تولى القضاء في حلب، وکان مشهوراً بفضله وعلمه، ألف أبوبکر للسلطان محمد الرابع مصنفاً ضخماً باللغة الترکية بعنوان: «جغرافياي کبير» ويقع في ستة أجزاء وله موجز يقع في جزئين، ويعتقد بعض الباحثين أن لهذا الکتاب عنواناً أخر باللغة العربية هو: «نصرة الإسلام والسرور في تحرير أطلس مينور». [↑](#footnote-ref-136)
137. . الدمشقي، أبي بکر بن بهرام، جزيرة العرب في کتاب مختصـر الجغرافيا الکبير، تحقيق: مسعد سويلم الشامان، مرکز حمد الجاسر، الرياض، الطبعة الأولى 1428هـ، 398ـ400. [↑](#footnote-ref-137)
138. . العبيد، عبد الرحمن بن عبد الکريم، الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية، نادي المنطقة الشرقية الأدبي: الدمام، الطبعة الأولى، 1413هـ/1993م 1: 264. [↑](#footnote-ref-138)
139. . جزيره العرب في کتاب مختصر الجغرافيا الکبير، مصدر سابق، الهامش: 298. [↑](#footnote-ref-139)
140. . الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضـى (ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفکر: بيروت، الطبعة الأولى 1414هـ 17: 417. [↑](#footnote-ref-140)
141. . کتاب المناسك وأماکن طرق الحاجّ ومعالم الجزيرة: لأبي إسحاق إبراهيم الحربي، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى1389هـ /1969م: 573. [↑](#footnote-ref-141)
142. . القطيعي، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل (ت: 739هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمکنة والبقاع، دار الجيل: بيروت، الطبعة الأولى1412هـ 2: 851، معجم البلدان، مصدر سابق 3: 423. [↑](#footnote-ref-142)
143. . البکري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت487هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفی السقا، عالم الکتب: بيروت، الطبعة الثالثة1403هـ، 4: 1109. [↑](#footnote-ref-143)
144. . الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية، مصدر سابق 2: 84. [↑](#footnote-ref-144)
145. . الصّمّان، مصدر سابق 1: 27. [↑](#footnote-ref-145)
146. . معجم البلدان، مصدر سابق 2: 493. [↑](#footnote-ref-146)
147. . معجم ما استعجم، مصدر سابق 2: 551. [↑](#footnote-ref-147)
148. . جزيرة العرب في کتاب مختصر الجغرافيا الکبير، مصدر سابق، الهامش: 298. [↑](#footnote-ref-148)
149. . کتاب المناسك وأماکن طرق الحاجّ، مصدر سابق: 619. [↑](#footnote-ref-149)
150. . معجم اليمامة، مصدر سابق 1: 416. [↑](#footnote-ref-150)
151. . جزيرة العرب في کتاب مختصر الجغرافيا الکبير، مصدر سابق: 281. [↑](#footnote-ref-151)
152. . جزيرة العرب في کتاب مختصر الجغرافيا الکبير، مصدر سابق: 281. [↑](#footnote-ref-152)
153. . لسان العرب، ابن منظور 12: 565. [↑](#footnote-ref-153)
154. . معجم البلدان، مصدر سابق 5: 195. [↑](#footnote-ref-154)
155. . مراصد الاطلاع على أسماء الأمکنة والبقاع، مصدر سابق 3: 1310. [↑](#footnote-ref-155)
156. . علي، الدکتور جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، الطبعة الثانية، 1993م، 13: 40. [↑](#footnote-ref-156)
157. . جزيرة العرب في کتاب مختصر الجغرافيا الکبير، مصدر سابق: 399. [↑](#footnote-ref-157)
158. . المعجم الجغرافي للبلاد العربيه السعودية عالية نجد، مصدر سابق: 535. [↑](#footnote-ref-158)
159. . مراصد الاطلاع على أسماء الأمکنة والبقاع، مصدر سابق 1: 338. [↑](#footnote-ref-159)
160. . م ن . [↑](#footnote-ref-160)
161. . المعجم الجغرافي للبلاد العربيه السعودية عالية نجد، مصدر سابق 2: 534. [↑](#footnote-ref-161)
162. . جزيرة العرب في کتاب مختصر الجغرافيا الکبير، مصدر سابق: 399. [↑](#footnote-ref-162)
163. . العيسى، محمد الفهد، الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، مکتبة العبيکان، الرياض، الطبعة الأولى1415هـ/1995م: 13. [↑](#footnote-ref-163)
164. . معجم البلدان، مصدر سابق 4: 66. [↑](#footnote-ref-164)
165. . جزيرة العرب في کتاب مختصر الجغرافيا الکبير، مصدر سابق: 279. [↑](#footnote-ref-165)
166. . م. ن. 380. [↑](#footnote-ref-166)
167. . الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق: 11. [↑](#footnote-ref-167)
168. . معجم اليمامة، مصدر سابق 1: 416. [↑](#footnote-ref-168)
169. . جزيرة العرب في کتاب مختصر الجغرافيا الکبير، مصدر سابق: 381. [↑](#footnote-ref-169)
170. . الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق: 23. [↑](#footnote-ref-170)
171. . معجم اليمامة، مصدر سابق 1: 64. [↑](#footnote-ref-171)
172. . جزيرة العرب في کتاب مختصر الجغرافيا الکبير، مصدر سابق: 282. [↑](#footnote-ref-172)
173. . بن خميس، عبد الله بن محمد،  المجاز بين اليمامة والحجاز، منشورات دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى1390هـ /1970م: 50. [↑](#footnote-ref-173)
174. . معجم ما استعجم، البکري الأندلسي، مصدر سابق 4: 1204. [↑](#footnote-ref-174)
175. . معجم البلدان، مصدر سابق 5: 96. [↑](#footnote-ref-175)
176. . المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: 49. [↑](#footnote-ref-176)
177. . المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد، مصدر سابق: 761. [↑](#footnote-ref-177)
178. . م. ن.: 764. [↑](#footnote-ref-178)
179. . الجاسر، حمد، ترتيب: التعليقات والنوادر عن أبي علي هارون بن زکريا الهجري، دراسة ومختارات، القسم الثالث: المواضع، الطبعة الأولى1413هـ/1992م: 1428. [↑](#footnote-ref-179)
180. . معجم البلدان، ياقوت الحموي 2: 309. [↑](#footnote-ref-180)
181. . صفة جزيرة العرب، مصدر سابق: 260. [↑](#footnote-ref-181)
182. . جزيرة العرب في کتاب مختصر الجغرافيا الکبير، مصدر سابق: 399. [↑](#footnote-ref-182)
183. . المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: 60. [↑](#footnote-ref-183)
184. . جزيرة العرب في کتاب مختصر الجغرافيا الکبير، مصدر سابق: 399. [↑](#footnote-ref-184)
185. . المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: 240. [↑](#footnote-ref-185)
186. . جزيرة العرب في کتاب مختصر الجغرافيا الکبير، مصدر سابق: 226ـ227. [↑](#footnote-ref-186)
187. . معجم معالم الحجاز، مصدر سابق 6: 1109. [↑](#footnote-ref-187)
188. . المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: 240. [↑](#footnote-ref-188)
189. . م. ن.: 15. [↑](#footnote-ref-189)
190. . م. ن.: 213. [↑](#footnote-ref-190)
191. . معجم معالم الحجاز، مصدر سابق 4: 705. [↑](#footnote-ref-191)
192. . المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق: 216. [↑](#footnote-ref-192)
193. . م. ن. [↑](#footnote-ref-193)
194. . جزيرة العرب في کتاب مختصر الجغرافيا الکبير، مصدر سابق: 231. [↑](#footnote-ref-194)
195. . م. ن.: 403. [↑](#footnote-ref-195)
196. . کتاب المناسك وأماکن طرق الحاج، مصدر سابق: 347. [↑](#footnote-ref-196)
197. . م. ن.: 348. [↑](#footnote-ref-197)
198. . سورة آل عمران: 96 . [↑](#footnote-ref-198)
199. . سورة البقرة: 144 . [↑](#footnote-ref-199)
200. . سورة إبراهيم: 36 . [↑](#footnote-ref-200)
201. . سورة الحج: 27ـ 29. [↑](#footnote-ref-201)
202. . سورة آل عمران: 97 . [↑](#footnote-ref-202)
203. . فتح الباري، شرح صحيح البخاري:5330؛ وصحيح البخاري: 1889؛ صحيح ابن حبان:5600؛ وموقع الموسوعة الحديثية - الدرر السنية - ، بتصرف؛ المستدرك على الصحيحين، رقم 4314؛ ديوان حسّان بن ثابت؛ السيرة النبوية، لابن هشام1: 75؛ البداية والنهاية، لابن كثير2: 235؛ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، عبد الرحمن السهيلي2: 11ـ12؛ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الفاسي 1: 178. [↑](#footnote-ref-203)
204. . سورة آل عمران: 96 ـ97 . [↑](#footnote-ref-204)
205. . سورة الحج: 26 . [↑](#footnote-ref-205)
206. . انظر بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبوعبد الله، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد . [↑](#footnote-ref-206)
207. . السيرة النبوية، ابن هشام الحميري١: 176؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسي١٩: ٢؛ ثمارالقلوب، للثعالبي1: 13؛ ديوان الأعشى: 214؛ المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (ت458هجرية)، تحقيق عبدالحميد هنداوي 3: 85 عن ديوان الأعشى: 173؛ تاج العروس، الزبيدي ١٨: ١٣٢. [↑](#footnote-ref-207)
208. . ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدّم له علي فاعور: 511 . [↑](#footnote-ref-208)
209. . معجم البلدان، ياقوت الحموي1: 122؛ معالم مكة التأريخية والأثرية، عاتق بن غيث البلادي؛ ديوان الشريف الرضي؛ والشريف الرضي، حياته وشعره، نور الدين حسن جعفر: 17. [↑](#footnote-ref-209)
210. . حجازيات الشريف الرضي، مصطفى كامل الشيبي: 25؛ كتاب الشريف الرضي، دراسات في ذكراه الألفية؛ شعراؤنا القدامى، شراره عبداللطيف:  الشريف الرضي، دراسة ومختارات، الشـركة العالمية للكتاب، ط1،  1992م . [↑](#footnote-ref-210)
211. . ديوان أبي العلاء المعري . [↑](#footnote-ref-211)
212. . انظر في هذا ديوان السهروردي المقتول؛ لطائف المعارف، لابن رجب: 241 . [↑](#footnote-ref-212)
213. . من كتاب الشاعر والمفكّر الإسلامي محمد إقبال، د. فهمي النجار: 144وهامشها، بتصرف . [↑](#footnote-ref-213)